

نقطة النظر الشكرية عن الامامية



كتاب يقوم بإبطال دعوى الوهابية والدمشقية
في اتهام الإمامية بتكفير جميع أهل السنة

بقلم
أبو محمد الساعدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نقى ظاهرة التكفير عند الامامية

كاتب:

ابومحمد ساعدى

نشرت فى الطباعة:

مشعر

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٢	نفى ظاهرة التكفير عند الامامية
١٢	اشارة
١٢	اشارة
١٦	مقدمة المعهد
١٧	مقدمة المؤلف
١٧	اشارة
٢٠	منهجية البحث في هذا الكتاب
٢٢	المدخل: في بيان خطورة التكفير وحقيقته
٢٢	التكفير سلاح ذو حدين
٢٢	اشارة
٢٧	خوارج النهروان تداهمكم
٢٧	اشارة
٢٨	هو النفاق بعينه !!
٣٠	الباب الأول: موقف الوهابية من سائر المسلمين
٣٠	توطئة: الوهابية أولى بسمه التكفير
٣٦	الفصل الأول: موقف ابن تيمية من الإمام على وأهل السنة
٣٦	المبحث الأول تحامل ابن تيمية على الإمام على
٣٦	اشارة
٤١	الموضع الأول: اتهام الإمام على بحب الرئاسة
٤١	الموضع الثاني: اتهام الإمام على بالجور وعدم الإنصاف
٤١	الموضع الثالث: اتهام الإمام على بقتل المسلمين
٤١	الموضع الرابع: لا مصلحة للمسلمين بقتلهم

- الموضع الخامس: ترك قتال معاوية أفضل وأصلح للأمم ٤٢
- الموضع السادس: اتهام الإمام على ٧ بترك الفتح وقتل المسلمين ٤٢
- الموضع السابع: قوله بأن الإمام على ٧ لم يجز من حروبه الثلاثة إلا ضعفاً ٤٢
- الموضع الثامن: زعمه أن الإمام علياً يشرب الخمر ٤٢
- الموضع التاسع: اتهام فضيع ٤٣
- الموضع العاشر: كذب صريح ٤٣
- الموضع الحادى عشر: يلعن الإمام على ٧ ويحكم عليه بالخلود فى النار ٤٤
- الموضع الثانى عشر: اتهام الإمام على ٧ بعدم الإيمان والعدل ٤٤
- الموضع الثالث عشر: اتهام الإمام على ٧ بالنفاق ٤٥
- المبحث الثانى ابن تيمية يخطئ أهل السنة ٤٥
- الفصل الثانى: تبادل التهم بين الوهابية وسائر علماء أهل السنة ٤٩
- المبحث الأول تكفير الوهابية لأهل السنة ٤٩
- المبحث الثانى علماء السنة يردون على ابن تيمية ٥٦
- المبحث الثالث مخالفة علماء الوهابية لفتاوى الجميع ٦٨
- أولاً: ابن باز يحدد طول الله تعالى بـ (ستين ذراعاً) ٦٨
- ثانياً: فتوى الشيخ عبدالله بن محمد فى لعبة الكرة ٧١
- ثالثاً: فتوى الشيخ المفتى الأسبق محمد بن إبراهيم بتحريم التصوير ٧١
- رابعاً: الفتوى بتحريم لبس ما اعتاد عليه الإفرنج والأعاجم ٧٣
- خامساً: فتوى الشيخ اللحيدان بحرمه التعليم فى المدارس ٧٤
- المبحث الرابع علماء أهل السنة يكفرون الوهابية ٧٦
- إشارة ٧٦
- مناظرة سليمان لأخيه مؤسس الحركة ٧٩
- محمد بن عبد الوهاب يناقض نفسه بنفسه ٨٠
- موقف علماء أهل السنة من أباطيل الوهابية ٨١

- أولاً: مفتى الحنابلة ٨٣
- ثانياً: الإمام ابن عابدين الحنفي ٨٤
- ثالثاً: الشيخ أحمد الصاوي المالكي ٨٤
- رابعاً: فتوى ابن تيمية ٨٥
- خامساً: مقدمة كتاب (ضلالات الوهابية وجهالة المتوهبين) ٨٥
- سادساً: الشيخ السني الحنبلي سليمان بن سحيم ٨٦
- سابعاً: الشيخ عثمان بن منصور الحنبلي السلفي النجدي ٨٦
- ثامناً: الشيخ ابن عفالق الحنبلي ٨٦
- تاسعاً: الشيخ السني الحداد الحضرمي ٨٦
- عاشراً: فتوى الحافظ أبو الحسن الأشعري ٨٧
- الحادي عشر: فتوى الشيخ عبد الغني النابلسي ٨٧
- الثاني عشر: الحافظ السبكي ٨٨
- الفصل الثالث تبين المواقف بين علماء أهل السنة والوهابية من الإمامية ٩٠
- المبحث الأول علماء السنة المنصفون يثنون على المذهب الإمامي ٩٠
- المبحث الثاني الوهابية تكفر الشيعة الإمامية ٩٧
- خاتمة الباب ١١٠
- خاتمة الباب تذكير ببعض الكتب المؤلفة في الرد على الوهابية ١١٠
- الباب الثاني الدمشقية والافتراءات على الشيعة الإمامية ١٢٣
- توطئة ١٢٣
- إشارة ١٢٣
- نبذة مختصرة عن حياة الدمشقية وعقيدته ١٢٧
- عقيدة الدمشقية في الله تعالى ١٢٨
- الفصل الأول الدمشقية والموقف المناصر لإسرائيل ١٣١
- جهل أم عدا؟ ١٣١

- ١٣١الدمشقية يشن حرباً على من حارب إسرائيل اللقيطة
- ١٣١ اشارة
- ١٤٥الحاصل:
- ١٤٦الفصل الثانى نفى ظاهرة تحريف القرآن عند الإمامية
- ١٤٦اتهام الشيعة بالقول بتحريف القرآن الكريم باطل (رمتنى بدائها وانسلت)
- ١٤٦الجواب النقضى
- ١٥٤أقوال علماء السنة بأن الإمام على قام بجمع القرآن
- ١٥٦أقوال فقهاء وعلماء الإمامية المتقدمين فى نفى التحريف
- ١٥٩أقوال المعاصرين من فقهاء وعلماء الإمامية فى نفى التحريف
- ١٦٣والحاصل من جميع ما تقدم:
- ١٦٥التأويل أو التفسير المزجى لا يعنى التحريف فى القرآن
- ١٦٥المناقشة:
- ١٦٦الجواب:
- ١٦٧الجواب:
- ١٦٨الجواب:
- ١٧٠الفصل الثالث: الخلط بين مفهومي الناصبى والسنى
- ١٧٠تمهيد
- ١٧٠ اشارة
- ١٧٦جعل الناصبى هو السنى مغالطة وخلط فى المفاهيم
- ١٧٧وفى الجواب نقول:
- ١٧٧تعريف علماء السنة للناصبى
- ١٨٣مفارقات ارتكبتها أرباب الجرح والتعديل من أهل السنة
- ١٨٣ اشاره
- ١٨٣١- توثيق الناصبى إبراهيم بن هشام الغسانى الدمشقى (ت ٥٢٨هـ).

- ٢- توثيق الناصبي إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني (ت ٢٥٩هـ) ١٨٤
- ٤- توثيق أزهر بن عبدالله الحرازي (ت ١٢٨ أو ١٢٩هـ) ١٨٥
- ٥- توثيق إسحاق بن سويد العدوي (ت ١٣١هـ) ١٨٦
- ٦- توثيق أسد بن موسى الأموي (ت ٢١٢ هـ) ١٨٦
- ٧- توثيق أسد بن وداعة الشامي (ت ١٣٧هـ) ١٨٧
- ٨- توثيق حريز بن عثمان الرحبي (ت ١٦٣هـ) ١٨٨
- الشيعة لا تحكم بكفر المخالف ١٩٢
- أقوال علماء الشيعة الإمامية في المخالف ١٩٣
- رأى السيد الخوئي في المخالف ١٩٦
- الفصل الرابع الإمامية لا تحكم بكفر المسلمين ١٩٨
- الإمامية لا تحكم بكفر المسلمين ١٩٨
- اشاره ١٩٨
- عوداً على بدء ٢١٢
- البحث الأول بطلان دعوى تكفير الإمامية للفرق الشيعية من غير الإمامية ٢١٣
- البحث الثاني بطلان دعوى تكفير الإمامية للشيخة والإخبارية ٢١٨
- البحث الثالث بطلان دعوى تكفير الإمامية لأهل السنة جميعاً ٢٢٢
- توطئة ٢٢٢
- اشاره ٢٢٢
- أولاً: إن الكفر على أقسام وأنواع جاء ذكرها في القرآن الكريم ٢٢٥
- اشاره ٢٢٥
- ١- كفر الجحود بالربوبية والحق ٢٢٦
- ٢- كفر النعمة ٢٢٧
- ٣- الكفر بترك ما أمروا به ٢٢٧
- ٤- كفر البراءة ٢٢٧

- ٢٢٨ ٥- كفر التكذيب بالحق
- ٢٢٨ ٦- كفر الشك والظن
- ٢٢٩ ٧- كفر الإعراض
- ٢٢٩ ٨ - كفر النفاق
- ٢٣١ ثانياً: أن الإمامية لم تعد المنكر للإمامة كافرًا بالكفر الظاهر
- ٢٣٦ ثالثاً: إنقسام أهل السنة إلى مستضعف وغير مستضعف
- ٢٣٨ رابعاً: الجهل بأهمية الإمامة ودورها في قيادة الأمة
- ٢٣٩ البحث الرابع الإمامية تحكم بكفر محاربي الإمام علي
- ٢٣٩ المناقشة:
- ٢٥٤ الفصل الخامس تكفير الإمامية لأهل البدع في الدين
- ٢٥٤ حقيقة البدعة وأقسامها وفلسفة تحريمها
- ٢٦٠ البحث الأول بيان معنى البدعة
- ٢٦٠ الأمر الأول: البدعة لغة
- ٢٦٢ الأمر الثاني: البدعة في الاصطلاح
- ٢٦٢ ١- تعريف البدعة عند علماء الإمامية
- ٢٦٤ ٢- تعريف البدعة عند علماء السنة
- ٢٦٦ البحث الثاني أدلة تحريم البدعة
- ٢٦٦ الدليل الأول: القرآن الكريم
- ٢٦٨ الدليل الثاني: السنة الشريفة
- ٢٧٠ الدليل الثالث: الإجماع
- ٢٧٠ الدليل الرابع: العقل
- ٢٧١ البحث الثالث بيان أقسام البدعة
- ٢٧١ التقسيم الأول: بدعة شرعية بلحاظ موافقتها للشرعية أو مخالفتها لها
- ٢٧٧ التقسيم الثاني: بلحاظ كونها توجب تشريعاً في الدين أو لا توجب ذلك

- ٢٨١ البحث الرابع فلسفة تحريم البدعة
- ٢٨١ أولاً: استلزامها الكذب على الله تعالى أو اتهامه بعدم إكمال الدين وإتمامه
- ٢٨٤ ثانياً: استلزامها التدخّل في التشريع الإلهي تحليلاً أو تحريماً، نقصاً أو زيادة.
- ٢٨٥ ثالثاً: استلزامها التلاعب بما أنزل الله تعالى في كتابه من أحكام وعقائد
- ٢٨٥ البحث الخامس تحقق البدعة المذمومة
- ٢٨٥ القول الأول: هو كون وقوعها بعد رحيل النبي
- ٢٨٧ مناقشة هذا القول:
- ٢٩٠ القول الثاني: كونها دعوة وإشاعة
- ٢٩٥ المصادر والمراجع
- ٣١٦ تعريف مركز

نفي ظاهرة التكفير عند الامامية

اشاره

سرشناسه : ساعدى، ابو محمد، ١٣٤٦ -

عنوان و نام پديد آور : نفي ظاهره التكفير عند الاماميه: كتاب يقوم بابطال دعوى الوهابيه .../ بقلم ابو محمد الساعدى.

مشخصات نشر : تهران: نشر مشعر، ١٣٩١.

مشخصات ظاهري : ٣١٠ ص.

شابك : ٧-٤٠٧-٥٤٠-٩٦٤-٩٧٨

وضعيت فهرست نويسى : فيپا

يادداشت : عربى.

يادداشت : كتابنامه: ص. [٢٨٥] - ٣٠٢؛ همچنين به صورت زير نويس.

موضوع : وهابيه -- دفاعيه ها و رديه ها

موضوع : شيعه اماميه -- دفاعيه ها و رديه ها

موضوع : تكفير

موضوع : اهل سنت و شيعه

رده بندي كنگره : BP٢٠٧/٦/س١٧ن٧ ١٣٩١

رده بندي ديويى : ٢٩٧/٤١٦

شماره كتابشناسى ملي : ٢٩١٦٨١٨

ص : ١

اشاره

مقدمة المعهد

ص ٥

لم يكن الخلاف بين الوهابية وسائر المذاهب الإسلامية وليد الساعة، بل وجد منذ اللحظة الأولى التي قام بها ابن تيمية باتهام وتخطئة جميع علماء المسلمين، سواء من عاصره أم من سبقه قبل ذلك، بدعوى ابتعادهم عن التوحيد وعدم انتهاج المنهج القويم للدين الإسلامي، حتى أن ذلك جلب له الويل من قبل جميع علماء المسلمين، فكان أقل ما قاموا به أن رموه في السجن، وحدروا الأمة الإسلامية من أفكاره المسمومة، وقد خمدت نار الفتنة والفرقة بموته في السجن آنذاك، وعندها أضحت الأمة الإسلامية في راحة من أمره.

ولكن سرعان ما خرج قرن الشيطان من جديد في الأمة الإسلامية، فتجددت المعركة من جديد، وراحت ضحيتها الكثير من علماء وأبناء الأمة الإسلامية بسبب تلك الفتنة التي أجاج نارها في مهبط الوحي والتنزيل، مجدد الفرقة ومحیی البدعة محمد بن عبد الوهاب، باسم الدعوة إلى التوحيد ونبد الشرك الوثنية، فهبت الأمة بأجمعها للوقوف بوجه هذا التيار الجارف، ولكن دون جدوى، حيث راح يقاتلهم قتالاً عنيفاً بعدما يحكم بكفرهم وخروجهم عن الدين الحنيف، فيقتل منهم العالم والشيخ الكبير والطفل الصغير ويسبي النساء ويغتصب الأموال، والتاريخ الإسلامي حافل بنقل هذه الوقائع المؤلمة والمعاناة المريرة التي لم تمر بها الأمة الإسلامية في حياتها على أيدي الطواغيت والسفاحين الذي تسلطوا على رقابها، كيزيد والحجاج وغيرهم.

والعجيب أن هؤلاء الوهابيون لا يبدؤون بالهجوم على خصمهم ومقاتلته قبل أن يحكموا بكفره وخروجه عن الدين والملء، ثم يهاجمونه باسم الدفاع عن الدين والدعوة إلى التوحيد،

وقد ساعدتهم في الوقت الحاضر ما يمتلكونه من موارد اقتصادية مهمّة، وحكومات موالية لهم وللإستكبار العالمي، الذي ما برح يزرع الفرقة والفتنة بين صفوف المسلمين، مضافاً إلى امتلاكهم وسائل الإعلام المتطورة والحديثة في إيصال صوتهم إلى أبعد نقطة في العالم الثالث، حتّى بدأ بعض أبناء المذاهب الإسلامية يتقهقرون أمامهم ويستسلمون لرأيهم، نعم إن الأكثرية من أهل السنة وقاطبة الإمامية لا تنطلي عليهم أكاذيب ومغالطات الوهابية؛ إذ تجدهم يقفون مواقف مشرفة أمام هذا المدّ الوهابي، الذي بات بفضل الوعي الثقافي والديني لأبناء الأمة الإسلامية غير خفي على أحد، خصوصاً وهو يرى مواقفها المناصرة لأعداء الدين والإنسانية، والتي تكشف عنها فتاوى كبارهم في العصر الحاضر، كابن جبرين وابن عثيمين وغيرهم، التي يفتون فيها بقتل ومقاتلة المسلمين وتحريم مقاتلة اليهود والإسرائيليين.

وهذا الكتاب المائل بين يديك غيظ من فيض، يوضّح لك فيه الكاتب العزيز بعض المواقف المخزية لهذه الغدّة السرطانية، التي زرعتها ابن تيمية وأحيا أمرها محمّد بن عبدالوهاب من جديد في جسد الأمة الإسلامية، وكيف أنّ هؤلاء بأساليبهم الشيطانية ومواقفهم البغيضة للشيعة الإمامية، يحاولون تضليل الأمة وإبعادها عن منهج أهل البيت، وكيف أنّهم يحاولون خلط الأوراق وقلب الحقائق باسم الدين؛ لكسب النصير والتأييد لهم من أبناء الأمة الإسلامية، التي أراد لها الإسلام أن تكون قائدة للعالم الإنساني، وأرادوا لها أن تكون مقودة للشيطان الأكبر المتمثّل بالإستكبار العالمي؟!

وفي الختام لا يسعنا إلّا أن نتقدّم بجزيل الشكر والامتنان للباحث الكريم أبو محمّد الساعدي، ولجميع الأخوة العاملين في معهد الحج والزيارة، على أمل أن يستفيد منه كلّ من يروم طلب الحقيقة والواقع، سائلين المولى العليّ القدير للجميع بالتوفيق والسداد.

إنّه وليّ التوفيق

معهد الحج والزيارة

قسم الكلام والمعارف

مقدمة المؤلف

إشارة

الحمد لله الذي إليه مصائر الخلق، وعواقب الأمر. نحمده على عظيم إحسانه وتير برهانه، و نواى فضله و امتنانه، حمداً يكون لحقه قضاء ولشكره أداء، و إلى ثوابه مقرباً ولحسن مزیده موجباً. ونستعين به استعانته راج لفضله، مؤمِل لنفعه، واثق بدفعه، معترف له بالطول، مدعن له بالعمل والقول. ونؤمن به إيمان من رجاه موقناً: وأناب إليه مؤمناً، وخنع له مدعناً، وأخلص له موخداً، وعظمه ممجداً، ولاذ به راغباً مجتهداً، لم يولد سبحانه فيكون في العز مشاركا، ولم يلد فيكون موروثاً هالكاً.

وأصلى وأسلم على أشرف الخلق أجمعين المسمى في السماء بأحمد وفي الأرض بأبى القاسم محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين. إن ظاهرة التكفير التي ظهرت بوادرها ونمت في الأمة الإسلامية، واحدة من الأساليب الشيطانية التي استغلها عدو الإسلام في حرب المسلمين بعيداً عن خطرهم وضرباتهم الموجهة على مختلف المستويات العلمية والعملية، التي قامت أسسها على أصول ومبادئ القاعدة المعروفة باسم (فرق تسد)؛ إذ إن من أراد التحكم والسيطرة على غيره قام بزرع الفرقة والاختلاف بين أبناء تلك المنطقة، حتى يتسنى له دخولها بسهولة والسيطرة عليها بلا مؤونه، فالنزاع الداخلى من أهم الأخطار التي تمرّ به الأمة الإسلامية، وحاله كحال الغدة السرطانية، التي تبدأ صغيرة في جسم الإنسان، قابلة للمعالجة، ولكن ما أن تُهمل وتترك، إلا أخذت بتناميها وتزايدها واستفحالها على قوى الجسم، حتى تنهك قواه، وتضعف مقاومته،

ص ٨

عندئذ يصعب على الطبيب معالجتها؛ فلا يرى بدءاً إلا باستئصالها وإلا فالموت والهلاك المحتوم، وهكذا هو حال زرع الفتنة والفرقة بين أبناء الأمة الواحدة، فما لم تتوقاها أو نعالجها منذ اللحظات الأولى فإنها تستشري وتنتشر في جسد هذه الأمة، التي وصفها المولى تبارك وتعالى بقوله: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) [آل عمران: ١١٠]، فما دامت الفتنة والفرقة منكراً وخطراً على وحدة الأمة وكيانها، فلماذا لا ننهي عنها، ونقف بوجهها وبوجه كل من يدعو لها؟

ونحن إذ نعيش عصر التقدم والمدنية والتنور العلمي في مختلف المجالات الحياتية، فلماذا نجعل عقولنا فنتركها وراء ظهورنا؟ ولماذا نبقي نركض وراء دعاة الجاهلية الأولى؟ ولماذا وإلى متى نبقي ننتظر تدخل عدونا لحل مشاكلنا والحل بأيدينا؟ إلى متى نبقي نحارب دعوة ديننا، والقرآن والسنة والعلماء عندنا؟ وإلى متى ومتى ومتى...؟!

فيا إخوة الإيمان، ويا دعاة الإسلام، ويا علماءنا الأعلام، اتبها لما يخطط إليه الأعداء وقوى الاستكبار العالمي، وما يروم الوصول إليه، فالإسلام والمسلمين في عهدكم، وهم اليوم يستغيثون بكم، وطلّاب الحرية والتحرر يدعونكم، فهلما سمعتم دعوتهم، ونصرتهم استغاثتهم، واستجبتهم لمطالبهم؟! وما هو التكفير يغزوكم في قعر دياركم، وما هو ينازعكم لينتصر عليكم، فلماذا هذا السكوت المخيم عليكم؟ ولماذا كل هذا الخنوع والاستسلام لعدوكم؟ ألقوته وضعف حجّتكم، أم لخوفكم من شره وشراره، أم ماذا؟ فإنكم بسكوتكم هذا تقضون على شوكتكم وقوتكم، وتشتتوا أبناء أمتكم، وعندها فلا فائدة بدعوة المصالحة الوطنية والوحدة الإسلامية !!

وعليه فمن هذا المنطلق الرامي إلى بيان الحق وكشف الحقيقة والواقع، وإلى بيان زيف الأقوال والمدّعات باسم الدين والدفاع عن التوحيد من قبل بعض الأعلام المأجورة التي جئدت كل قواها من أجل ضرب الإسلام، وإيقاد الفتنة بين أبنائه، من خلال كيل التهم لدعاة الحق، وتشويه الحقائق بمختلف الوسائل التبليغية المتاحة لها، كافتراءات داعية الضلال عبدالرحمن محمد سعيد دمشقية، وبعض أذيال الوهابية، لما وجدوا أنفسهم عاجزين

على مجابهة الحق بالحق، لجأوا لهذه الأباطيل والافتراءات كوسيلة لتضليل الأمة الإسلامية حاولنا أن نضع النقاط على الحروف، ليُتضح للقارئ بأن مذهب أهل البيت:، الذي غرست بذرتة بيد النبي الأكرم محمد ٩ منذ اللحظة الأولى (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) وإلى يومنا هذا باق ينتهج النهج القويم، ويسير على الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم من آل محمد:، فهو كما قيل عنه: «وكفاه فخراً أن يثبت حقايتته من كتب خصمه»، وهل بعد الحق إلّا الباطل؟!

منهجية البحث في هذا الكتاب

الكتاب الذى بين يديك عزيزى القارئ، يبين لك آراء علماء المسلمين من غير الشيعة الإمامية حول هذه الجماعة التكفيرية، التى اتخذت من التكفير سمة لها، ومنهجاً لحركتها ودعوتها، ثم راحت ترمى به غيرها ممن لا- يعتقد بفكرها ولا يؤمن بمنهجها؛ لأنها جماعة ضيقت على نفسها، وحجرت على عقلها، فكان دعواتها يعتمدون فى حركتهم التبليغية عبر وسائلهم الإعلامية، إطلاق الأكاذيب والدعوات الفارغة، والافتراءات الواضحة، كل ذلك فى سبيل الوقيعة بمن يخالفهم فى فكرهم وعقيدتهم، وسيرتهم العملية. وقد برز من بين دعواتها فى عصرنا الحاضر (عبدالرحمن محمد سعيد دمشقية)، وهو من له القدرة على تحمّل عواقب هذا الأمر، فلم يكتف بنتائج الهزيمة التى تلقاها عبر مناظراته لبعض مفكرى ومثقفى أهل السنة والشيعة الإمامية، حتى جاء ليكتب بلا خجل ولا وجل من فضيحة الأمر وانكشاف الواقع، عن حقيقة (أعنى بها تكفير الإمامية لجميع أهل السنة) باتت لا تخفيها ضباب الأوهام وغبار الاتهام؛ لأنها أكذوبة أضحت فى ظلّ وسائل الإعلام والتبليغ المعاصر أوضح من الشمس فى رائعة النهار؛ إذ لا خوف من سطو الحكام، ولا من انفجار أزمته ناسفة ينسفون بها المسلمين أثناء صلاتهم؛ لأنه بإمكان مسلم اليوم أن يتحدّث مع جميع الناس من غرفته، ومن محلّ إقامته، عبر شبكة الاتصال المعلوماتية العالمية (Internet)، التى جعلت من العالم الثالث قرية واحدة صغيرة.

ص ١٠

وقد غفل هذا المسكين فأجهد نفسه ليؤلف عنها كتاباً بعنوان (ظاهرة التكفير عند الشيعة الإمامية)، ولكن حاله كحال مَنْ ركب على فرسه وأراد الانطلاق به، فكَبَّ به وسقط من عليه في اللحظة الأولى، فهكذا هو حال هذا المسكين (الدمشقي)، فقد أوقعه حظه الرديء مع حزب الله لبنان - الذي بات واضحاً للجميع في عمله ومنهجه وأهدافه، ويكفيه فخراً أن أميركا وإسرائيل عدوّه الأوّل من يقوم بمساعدتهما من حكام الدول الإسلامية - ليتهجم عليه باسم الدين وأهل التوحيد، ونسى بأنّه بذلك يدافع عن اليهود القتلة، ويخدم المخطط الصهيوني في المنطقة العربية، وكأنّه بتهجمه على أمينه السيّد العلامة حسن نصرالله، يعيد إلى ذاكرتنا إطلاق ابن عثيمين لفتاواه، التي حرّم فيها مساعدة حزب الله أثناء حربه لعدو الإنسانية (إسرائيل) بل لم يكتفِ بذلك، حتّى صرّح فيها بحرمة الدعاء بالنصرة لحزب الله؛ وحجته في ذلك بأنهم يقاتلون أصحاب كتاب، الله أكبر! فما أجرأه على الله تعالى، وخيانة الإسلام!!

وعليه فقد جاء البحث في هذا الكتاب في مدخل وباين، تعرّضنا في المدخل إلى بيان حقيقة التكفير وخطورته على الأمة الإسلامية، وأمّا الباب الأوّل فقد تضمّن توطئة وثلاثة فصول، كان الأوّل في بيان موقف ابن تيمية من الإمام عليّ ٧ وأهل السنّة، وأمّا الثاني في (تبادل التهم بين الوهابية وسائر علماء أهل السنّة)، وأمّا الثالث فكان في توضيح (تباين المواقف بين علماء السنّة والوهابية من الإمامية).

وأما الباب الثاني، فقد جاء تحت عنوان (افتراءات الدمشقية على الشيعة الإمامية)، وقد جاء في توطئة تضمّنت التعريف بـ (عبدالرحمن محمّد سعيد دمشقية)، ثم بعد ذلك بدأنا في مباحث الفصل الأوّل، الذي كان البحث فيه عن مواقف الدمشقية المناصرة لإسرائيل، وتهجمه على أمين حزب الله لبنان السيّد العلامة حسن نصرالله، وأمّا الفصل الثاني فتعرّضنا فيه لإبطال مزاعم الوهابية والدمشقية بدعوة التحريف عند الشيعة الإمامية، وفي الفصل الثالث استعرضنا فيه بياناً وافياً لمسألة الخلط بين مفهومي الناصبي - سنياً كان أم شيعياً - والسني المخالف للإمامية في العقيدة والفكر، وكيف أنّ الإمامية وأهل السنّة

- عدا الوهابية - يجمعون على تكفير الناصبي دون المخالف، وإن لم تعدد الإمامية مؤمناً إمامياً اثني عشرياً، ولكنه مسلم لا يجوز تكفيره، وفي الفصل الرابع خصص البحث فيه لدفع مزاعم الدمشقية في أن الإمامية تكفر جميع المسلمين، بحيث لم يسلم منها حتى فرق الشيعة والإمامية ممن خالفها في الرأي أو الرؤيا، كفرق الزيدية والإسماعيلية والإخبارية والشيخية والواقفية وغيرها، فضلاً عن فرق أهل السنة، وقد أثبتنا فيه كذب هذه الدعوى وبطلانها بشكل مبين وواضح ومستدل عليه.

والجدير بالذكر هو أننا قد أغضضنا النظر عن بعض المسائل الجزئية التي جاءت في كتابه (ظاهرة التكفير عند الإمامية)؛ لأنه لا فائدة من الخوض فيها، خصوصاً وأن أغلبها مجرد ادعاءات عارية عن الصحة، من قبيل أن الإمامية تنظر إلى غيرها نظرة دونية، في حين أن هذه المدرسة (الإمامية) قد انتهجت في الفكر والتربية والأخلاق منهج أهل البيت، فتخرج منها كبار العرفاء والزهاد والعلماء والتوار، الذين أشرفوا صفحات التاريخ الإسلامي بأسمائهم، ابتداءً من عمار بن ياسر وأبي ذر الغفاري وسلمان والمقداد والأشتر وانتهاءً بالإمام الخميني = والصدر = في عصرنا الحاضر.

وهذا ما سيوضح لنا من خلال البحوث القادمة في هذا الكتاب، سائلاً المولى العلي القدير أن ينفع به طلاب الحق وأهله، إنه نعم المولى المحيب.

وما توفيقى إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله أولاً وآخراً، وأصلى الصلاة وأسلم على الحبيب المصطفى الأجد أبي القاسم محمد وعلى آله المخصوصين بذكره والمطهرين بنص كتابه، الذين لا تتم الصلاة على النبي ٩ إلا بالصلاة عليهم.

المدخل: في بيان فطوره التكفير وحقيقته

التكفير سلاح ذو حدين

إشارة

ص ١٣

المدخل: فى بيان خطوره التكفير وحقيقته

ص ١٥

التكفير سلاح ذو حدّين

التكفير أعظم خطر على الأُمّة الإسلاميه، فهو عدوّها اللدود من الداخل، الذى أخذ على نفسه أن ينهش بجسدها حتّى يسقطها، ويحطّم جميع قواها؛ وذلك عند انعدام المناعة وأساليب المعالجة، وما أشدّه على المسلمين من خطر؛ إذ النتائج وخيمه، والعواقب أليمه، وهذا ليس بجديد عليكم لتتخذوا به، بل هو واحد من أساليب النفاق الذى دبّ فى وسط هذه الأُمّة المرحومه، وما زالت فروعه وتدبّ فى جسد الأُمّة الإسلاميه، ولكن فى هذه المرّة بعناوين وأسماء منمقه ومزخرقه بأنواع الجواهر وأزهى الألوان البارقه، فعلى سبيل المثال، تجدوا بعضهم يطلقون على أنفسهم دعاة التوحيد، أو أهل التوحيد، وأهل السلف، ولكن التوحيد والسلف برىء منهم ومن أفعالهم الشنيعه التى يرتكبونها فى كلّ يوم وليله، من قتل الأبرياء وانتهاك الحرمات والمقدّسات، والتجاوز على حقوق الآخرين وحرّياتهم، وسلب أموالهم، وغيرها من الأفعال المحرمه والقبائح والأفعال اللإنسانيه واللا أخلاقيه، فضلاً عنها لا إسلاميه ودينيه!!

وبهذا يقوم التكفير بالقضاء على التوحيد بنفس دعائه له بهذه الطريقه البشعه، التى أوجبت تنفر الناس من الإسلام والمسلمين، حتّى أصبحوا لا يعرفون الإسلام إلّا وهو مقترن باسم الإرهاب والقتل والتكفير واستباحه الأموال والأعراض وانتهاك الحرمات، هذا ما يدعو إليه اليوم دعاة الوهايه عبر ما يسمّى بتنظيمها الإرهابى (القاعدة)، لو تسمع من وسائل الإعلام سوى ما تقوم به هذه الجماعه من عمليات إجراميه

ص ١٦

باسم الدعوة إلى الدين ومحاربة أعدائه، والدين الإسلامي برىء منهم ومن أفعالهم الشنيعة بحق الإنسان والإنسانية، فلم يكن دين الإسلام في يوم من الأيام أداة انتقام واستئصال للإنسانية والتجاوز على حقوق الآخرين، بل كان منذ اللحظة الأولى دعوة إلى السلام والأمن وتحقيق الحرية التي حرمت منها الإنسانية طوال تاريخ حياتها تحت الطواغيت والجبابرة، فهو دين الرحمة لا-دين النعمة والعذاب، فقد شوّته صورته هذه القاعدة الإرهابية التي زرعتها أعداء الدين في قلب المسلمين، لمحاربة الإسلام والمسلمين، فانتبهوا يا أولى الألباب !!

خوارج النهروان تداهمكم

إشارة

خوارج أمس هم خوارج اليوم، فالذى بقر بطن النساء وقتل الأطفال الأبرياء عند النهروان، تجده يبقر النساء ويقتل الأطفال اليوم في مختلف البلدان الإسلامية بحجة الشرك في مرأى ومسمع من علماء وقادة الأمة الإسلامية، نقل الطبرى حكاية عن خوارج النهروان جاء فيها: «وأقبلوا إلى المرأة، فقالت: إنى إنما أنا امرأة ألا- تتقون الله، فبقروا بطنها، وقتلوا ثلاث نسوة من طيبى، وقتلوا أم سنان الصيداوية».(١)

وهذه بنفسها اليوم ولكن الوسيلة اختلفت، فقد كان السيف وسيلتهم، واليوم التفخيخ والتفجير والأحزمة الناسفة، وهم بهذه التفجيرات يدعمون بفتاوى علمائهم ليضفوا على أفعالهم الإجرامية صفة شرعية، وهم بذلك يقتلون عشرات، بل مئات، بل ألوف النساء والشيوخ والأطفال في العراق وأفغانستان وباكستان، بدم بارد، وبلا رحمة أو شفقة على أحد، فماذا نقول لهؤلاء التكفيريين؟ فلماذا المسلمين بالذات؟ ولماذا هؤلاء الأبرياء بالذات؟ هل أصبحت الروضة التي يتعلم بها هؤلاء الصبية معسكراً وجبهة لمقاتلتكم؟ أم أن السوق الذى تذهب المرأة والشيخ الكبير لتوفير متطلباتهم، أم المستشفى الذى يذهبون لمعالجة

١- تاريخ الأمم والملوك تاريخ الطبرى، محمّد بن جرير الطبرى، ج ٤، ص ٦١؛ الكامل فى التاريخ، ابن الأثير، ج ٣، ص ٣٤٢؛ تاريخ الإسلام، الذهبى، ج ٣، ص ٥٨٨.

ص ١٧

آلامهم وأوجاعهم؟ أم.. هل كانت كل هذه معسكرات مواجهة معكم، وجبهات قتال في مقابلتكم؟ مالكم كيف تحكمون؟ أم حكم الجاهلية تبغون؟

هو النفاق بعينه !!

إن هذه الجماعة التكفيرية بدأت تحارب فكر أهل البيت: باسم الدفاع عن أهل البيت، ولم تكتفِ بمحاربتهم ومحاكمة كل ما لهم من أثر باق على وجه الأرض، أو من يتمسك به ويدعو إليه، بل راحت تطلق الدعوات عبر وسائلها الإعلامية المختلفة، أنها تدعوا الناس إلى محبة أهل البيت، الذين أوصى الله تعالى ونبئهم بهم خيراً، وأوجبا محبتهم على جميع الناس، كما جاء في صحيح مسلم:

أنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي (١).

ولكن هذه الجماعة عمدت إلى هدم معالم الأثرية، وكل ما يدل عليهم، ويربط الأمة بهم، مضافاً إلى قتل شيعتهم، وتبديع كل من يحاول الاقتراب أو إظهار محبتهم أو إحياء ذكرهم، فأعلنت حرباً شعواء عليهم من خلال محاربة شيعتهم ومحبيهم، وهى بذلك تريد طمس ما تبقى من معالمهم وآثارهم العلمية والخارجية، وحادثه الحرمين الشريفين للإمامين العسكريين فى سامراء العراق، حيث قاموا بتفجيرهما فى عام (٢٠٠٥م) ليست ببعيدة، وشاهد حتى على همجية هذه الجماعة التكفيرية، إن تناسينا جرائمها يوم قيامها، وما لحق بالحرم المكي الشريف والبقيع، وهجومها وتجاوزها على حرم الإمام الحسين ونهب كل ما فيه من الذخائر النفيسة والمعالم الأثرية القيمة، وغارتها على أهل نجد واليمن وغيرها من الجرائم التاريخية البشعة التى قامت بها هذه الجماعة التكفيرية؛ فلم يكن تفجيرهم للإمامين العسكريين فى سامراء؛ لأن الشيعة تزورهم؛ لأن مثل ذلك يعود بالنفع المادى العظيم

١- صحيح مسلم، النيسابورى، ج٧، ص ١٢٣.

على ذويهم وأهاليهم في سامراء، من خلال ما يتلقونه من الهدايا التي تقدم لخدمته هذين المرقدين الشريفين وحرّاسهما، مضافاً إلى ما يمارسه أهل هذه البلدة من بيع السلع التجارية على آلاف الزوّار الذين ما برحوا يأتون من كلّ فجّ عميق، ولكنهم فجّروهما لطمس معالم وآثار أهل البيت: التي باتت تهددهم في عقر ديارهم، وتكشف أكوذبهم؛ لأنها أدله حية وشواهد تاريخية لما عاناه آل النبي من أمة غلب على هواها الشيطان، وبات يتحكّم فيها الطاغوت، فهم بذلك يعلنونها حرباً على آل الرسول ٩، بدأت جذوتها بغضب خلافتهم والتجاوز على إرثهم بعدم السماع لحجتهم، ثمّ تلتها قتل أميرهم الإمام علي، ثم قتل أبنائه واحداً تلو الآخر، قتله شرّ من قتله، فرحل حسنهم بالسم شهيداً، وحسينهم بالسيف مذبحاً، وحریمهم للشام مسيية، ثم لم يكتفِ يزيد المجون والخمر والكفر إلا أن ينتهك حرمة مدينة النبي وحرقت بيت الله الحرام بالمنجنيق(١)، فما هي إلا ثلاث سنوات، سنة قتل الإمام الحسين، وسنة نهب المدينة في واقعة الحرة، وسنة أحرق بيت الله بالمنجنيق.

وها هي اليوم أحفاده يحرقون بيوت النبي، وهي كما قال الله تعالى: (فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) [النور: ٣٦]، كما جاء ذلك في قصة فقيه أهل البصرة مع الإمام الصادق ٧ الذي جاء ليسأل الإمام عن مسائل، فقال له الإمام ٧: من أنت؟ قال: أنا قتادة بن دعامة البصري، فقال له أبو جعفر: أنت فقيه أهل البصرة؟ قال: نعم، فقال له أبو جعفر: ويحك يا قتادة، إن الله جلّ وعز خلق خلقاً من خلقه فجعلهم حججاً على خلقه، فهم أوتاد في أرضه، قوام بأمره، نجباء في علمه، اصطفاهم قبل خلقه أظلة عن يمين عرشه، قال: فسكت قتادة طويلاً ثم قال: أصلحك الله، والله لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدام ابن عباس فما اضطرب قلبي قدام واحد منهم ما اضطرب قدامك قال له أبو جعفر: ويحك أتدرى أين أنت؟ أنت بين يدي

١- أنظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، ج ٢، ص ٢٦٢؛ ومعجم البلدان، الحموي، ج ٢، ص ٢٤٩؛ قال فيه: ورمى الكعبة بالمنجنيق من أشنع شيء جرى في أيام يزيد، وغيرها.

(فِي بُيُوتِ أذنِ اللَّهِ أَنْ تُزْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصِيَالِ) فأنت ثم، ونحن أولئك، فقال له قتادة: صدقت والله، جعلني الله فداك، والله ما هي بيوت حجارة ولا طين(١).

فالأيام هي الأيام، اليوم هو بالأمس بالنسبة لهذه الحركة مع تغير طفيف في أسلوبها وكيفية دعوتها، والأمة في سباتها، لا تسمع منها إدانته، ولا موقف مشرف، نعم، إذا كانت أضحت رعاتها قادة الوهابية، فإنك تجد لها موقف وتسمع لها صوت يسجله لهم التاريخ، ألا وهو إطلاق الفتاوى بهدم ما تبقى من معالم وآثار أهل البيت:، وقتل أتباعهم ومحبيهم، وتبديع كل من له صلة بهم أو يظهر المحبة لهم، في العراق أو مصر أو أفغانستان أو باكستان أو إيران أو لبنان أو غيرها من البلدان الإسلامية، حتى راحت ضحية هذه الفتاوى الآلاف من الشيعة الإمامية، وأحرقت مراقد لأبناء الأئمة والصحابة وبعض الصالحين في العراق، الذي عاش الأمرين على أيدي القوات المحتلة من جهه، وعلى يد فرق التكفير من جهه أخرى؛ إذ لم يكتفوا هؤلاء بما فعله صدام وزمرته الكافرة، بل راحوا يجددون العهد لأعداء الإنسانية بقتل ما تبقى من أبناء وذرية رسول الله من ولد فاطمة (الذين يعرفون في أوساطنا بالسادة) بحجة تشييعهم للإمام علي. \$

ولا- أعلم كيف يفكر هؤلاء، ويريدون من أبناء علي وفاطمة أن يكونوا أتباعاً لهم على منهجهم الانحرافي، وهم أعلم بما يتدبنون به ويتبعونه، فأهل البيت: أعلم بما في البيت، فعجيب أمر هؤلاء، إمياً أن تكون من أتباع يزيد وزمرته القذرة، وإمياً أن تختار الموت لنفسك، والطمس والمحاربة لفكرك ومذهبك، فإن تعجب فعجباً لقولهم !!

الباب الأول: موقف الوهابية من سائر المسلمين

توطئة: الوهابية أولى بسمه التكفير

ص ٢١

الباب الأول: موقف الوهابية من سائر المسلمين

توطئة: الوهابية أولى بسمه التكفير

قال تعالى:

(وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأُولِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) [فاطر: ٤٣].
 (...كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ)
 [الرعد: ١٧].

ظاهرة التكفير التي يتبجح الوهابيون برمي الآخرين بها، لهي أجدر بهم عن غيرهم من سائر الفرق الإسلامية الأخرى، على اختلاف أطرافها وأفكارها ومذاهبها؛ إذ لم يشهد التاريخ الإسلامي حملة تكفيرية عشوائية كحملة الوهابية على سائر الفرق الإسلامية المخالفة لها في الفكر والعقيدة؛ إذ كان شعارهم الأول في قيام هذه الحركة في الأوساط الإسلامية، حيث سوغوا لأنفسهم جميعاً برمي كل من خالفهم الرأي والعقيدة بالخروج عن الدين والملة، مستغلين بذلك حب الناس للتوحيد والدين الإسلامي، وبالخصوص عوام الناس وسداجهم؛ لأن مثل هذه الترهات والأكاذيب والشعارات المبطنه لا تنطلي على من له أدنى معرفة بالدين وأهله، فضلاً عن علمائه ومفكره المتبحرين بمعارف الدين أصولها وفروعها، وأدل دليل على الشيء وقوعه، وهذا ما شهد به وكشف عنه أقرب الناس إليهم وأعرفهم بدعوتهم وأهدافها، ألا وهو سليمان بن عبد الوهاب العالم بالفقہ الحنبلي، وشقيق محمّد بن عبد الوهاب، فتأمل بما يقوله لك، حيث يصف هذه الظاهرة التكفيرية في خطابه الموجه لهم:

وأما هذه الأمور التي تكفرون بها المسلمين فلم يسبقكم إلى التكفير بها أحد من أهل العلم ولا عدوها في المكفّرات، بل ذكرها من ذكرها منهم في أنواع الشرك، وبعضهم ذكرها في المحرمات، ولم يقل أحد منهم: إن من فعله فهو كافر مرتد... (١).

وأما الشوكاني فقد قال في كتابه (الدواء العاجل في دفع العدو الصائل) وهو يصف حالهم أثناء هجومهم على أهل اليمن من المسلمين:

.. فكّرت في ليلة من الليالي في هذه الفتن التي قد نزلت بأطراف هذا القطر اليمني، وتأججت نارها وطار شررها، حتّى أصاب كلّ فرد من ساكنيه منها شواظ، وأقلّ ما قد نال من هو بعيد عنها ما صار مشاهداً معلوماً من ضيق المعاش، وتقطّع كثير من أسباب الرزق وعقم المكاسب، حتّى ضعفت أموال الناس وتجاراتهم ومكاسبهم، وأفضى إلى ذهاب كثير من الأملاك، وعدم نفاق نفائس الأموال، وحبائس الذخائر، ومن شك في هذا فلينظر بعين البصيرة حتّى يدفع عنه ريب الشك بطمأنينة اليقين.

هذا حال من هو بعيد عنها لم تطحنه بكلكلها، ولا وطنته بأخفافها، وأما من قد وفدت عليه وقدمت إليه، وخبطته بأشواظها، وطوته بأنيابها، وأناخت وقرّت بناحيته كالقطر اليماني وما جاوره فيالله كم من بحار دم أريقت !!! ومن نفوس أزهدت !!! ومن محارم هتكت !!! ومن أموال أبيحت !!! ومن قرى ومدائن طاحت بها الدوائح، وصاحت عليها الصوائح بعد أن تعطلت وناحت بعرضاتها المقفرات النوائح، فلما تصوّرت هذه الفتنة أكمل تصوّر، وإن كانت متقررة عند كلّ أحد أكمل التقرر، ضاق ذهني عن تصورها، فانقلبت إلى النظر في الأسباب الموجبة لنزول المحن وحلول النقم، من ساكني هذا القطر اليمني على العموم ... (٢).

١- الصواعق الإلهية في الردّ على الوهابية، للشيخ سليمان بن عبد الوهاب، ص ٧. ولكن من طرائف الأمور، هو أن يقوم الشيخ محمّد بن عبد الوهاب في الردّ على أخيه سليمان بن عبد الوهاب، معتبراً إياه تاركاً للتوحيد كافراً، كما جاء في كتابه الذي ردّ به عليه الذي سمّاه مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد. والعجيب هو أن كلّ من كتب عن تاريخ نجد والسعودية يذكر شيخ الحنابلة وعالمهم فيصفه بالعلم والورع والتقوى، وأنه علامة نحرير، فتأمل !!

٢- الدواء العاجل في دفع العدو الصائل، الشوكاني، ص ٥٣، تحقيق حامد الفقي.

إلى أن قال:

فقد سلط الله على أهل الإسلام طوائف من عدوهم، عقوبه لهم، حيث لم ينتهوا عن المنكرات، ولم يحرصوا على العمل بالشرية المطهرة، كما وقع من تسليط الخوارج في أول الإسلام، ثم تسليط القرامطة والباطنية بعدهم، ثم تسليط الترك حتى كادوا يطمسون معالم الإسلام، وكما يقع كثيراً من تسليط الفرنج ونحوهم، فاعتبروا يا أولى الأبصار، إن في هذا لعبرة لمن ألقى السمع وهو شهيد... فبهذا يدفع الله الشرور عن البلاد والعباد، ويحول بينهم وبين من قد صار في بعض أطرافها من الطوائف التي تقاتل عباد الله مقاتلة أهل الشرك المحقق!!! بل يتجاوزون ذلك إلى ما لا يبيحه الشرع!!! كما بلغنا أنهم يقتلون النساء الحوامل والصبيان! ويشقون بطون الحوامل!! فإن الشارح صلى الله عليه وسلم نهى عن مثل هذا وزجر عنه، ولم يحل للمسلمين أن يقتلوا صبيان المشركين وعجائزهم ونسائهم... (١).

الفصل الأول: موقف ابن تيمية من الإمام علي وأهل السنة

المبحث الأول: تعامل ابن تيمية على الإمام علي

إشارة

١- الدواء العاجل في دفع العدو الصائل، الشوكانى، صص ٦٥-٦٨.

المبحث الأول تحامل ابن تيمية على الإمام علي

لا يسلم من لسان وقلم ابن تيمية أحد أبداً، كما سيأتي في المبحث الثاني كيف أنه كان يخطئ علماء أهل السنة وينسب إليهم الجهل، وهذا أمر بالنسبة إليه طبيعي؛ لأنه يرى نفسه عالماً في قبال هؤلاء الذين لا يراهم يعلمون شيئاً، ولكن الأدهى من ذلك كله أن يضع نفسه في مقابل الإمام علي الذي شهد له المولى تبارك وتعالى ونييه الأعظم محمد بأنه عنده علم الكتاب كما جاء ذلك في الروايات المعتمدة والصحيحة، عند بيان المراد من قوله تعالى: (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ)، فضلاً عن شهادة كبار الصحابة والتابعين في فضله وعلمه، بل وكل من عرف الإمام علي عن قرب أو عن بعد، أو قرأ في سيرته، فعلمه ومقامه ومنزلته كالشمس في رابعة النهار لا تحتاج إلى من يعرفها ويكشف عنها، فقد رفعت بنورها وظهورها جميع الحجب عن نفسها، بل صارت منيرة ومزيلة لظلمة غيرها سوى الليل الذي أبي أن يكون معها فيرى نورها ويزيل بنورها ظلمته عن نفسه؛ إذ هي تسير مساراً غير مساره.

فليس بغريب أن يقوم ابن تيمية وهو من انتهج نهجاً مخالفاً لعلي، بل لا يطبق أن يسمع اسم الإمام علي، لينسب إليه الجهل وعدم الإيمان وقتل المسلمين، وغيرها من التهم والافتراءات الداللة على تجاوز هذا الرجل وعداوته للإمام علي، حيث وجدناه مدافعاً عن الناكثين للعهد والمارقين والقاسطين، وكل من وقف بوجه الإمام علي وأعلن العداوة

ص ٣٠

والبغضاء وقتل ذريته من آلّه الأطهار، كيزيد بن معاوية وغيرهم، وإليك بعض أقواله وسهامه الموجّه بتّجاه الإمام على، ولا أرى أحداً من المسلمين يقبل بذلك إلّا إذا كان على هوى ابن تيمية؛ لأنّ الجميع أفتوا بكفر من تهجّم على صحابي من الصحابة، أو على أحد من الخلفاء، وإن لم يخصّ الإمام على بالذكر كفتاوى ابن حنبل وغيره الآتي ذكرها في هذا الكتاب. وهنا ننقل لك بعض أقوال ابن تيمية التي ملء كتبه فيها في تحامله على الإمام على، حيث وجدناه يخطئ الإمام على في عدّة مواضع، كما جاء ذلك في كتاب في الدرر الكامنة^(١) بأنّ ابن تيمية قد خطأ أمير المؤمنين علياً في مواضع خالف فيها نص الكتاب، وأنّ العلماء نسبه إلى النفاق؛ لقوله في عدّة مواضع:

الموضع الأول: اتّهام الإمام على بحبّ الرئاسة

قال ابن تيمية: «إنّه كان مخذولاً، وأنّه قاتل للرئاسة لا للديانة»^(٢).

الموضع الثاني: اتّهام الإمام على بالجور وعدم الإنصاف

قال ابن تيمية: «وليس علينا أن نبايع عاجزاً عن العدل علينا ولا تاركاً له، فأئمة السنته يسلمون أنّه ما كان القتال مأموراً به لا واجباً ولا مستحباً»^(٣).

الموضع الثالث: اتّهام الإمام على بقتل المسلمين

قال ابن تيمية: «... وإن لم يكن على مأموراً بقتالهم، ولا- كان فرضاً عليه قتالهم بمجرد امتناعهم عن طاعته مع كونهم ملتزمين شرائع الإسلام»^(٤).

الموضع الرابع: لا مصلحة للمسلمين بقتلهم

١- أنظر: الدرر الكامنة، ابن حجر العسقلاني، ج ١، ص ١١٤.

٢- المصدر السابق.

٣- منهاج السنة، ابن تيمية، ج ٢، ص ٢٠٣.

٤- المصدر السابق، ص ٢١٤.

ص ٣١

الموضع الرابع: لا مصلحة للمسلمين بقتلهم
قال ابن تيمية: «فلا رأى أعظم ذمًا من رأى أريق به دم أولف مؤلفه من المسلمين، ولم يحصل بقتلهم مصلحة للمسلمين لا في دينهم ولا في دنياهم، بل نقص الخير عمًا كان، وزاد الشر على ما كان» (١).

الموضع الخامس: ترك قتال معاوية أفضل وأصلح للأمة

قال ابن تيمية: «وإن عليًا مع كونه أولى بالحق من معاوية لو ترك القتال لكان أفضل وأصلح وخيرًا» (٢).

الموضع السادس: اتهام الإمام علي ٧ بترك الفتح وقتل المسلمين

قال ابن تيمية: «فإن عليًا قاتل على الولاية، وقتل بسبب ذلك خلق كثير عظيم، ولم يحصل في ولايته لا قتال للكفار، ولا فتح لبلادهم، ولا كان المسلمون في زيادة خير» (٣).
فتسفيه ابن تيمية لقتال علي دليل على أنه يضمم ضغينة لسيدنا علي ٧، ويؤيد هذا قول الحافظ ابن حجر في لسان الميزان عند ترجمة والد الحلبي الذي ألف ابن تيمية كتابه منهاج السنة النبوية في الرد عليه ونصه: «وكم من مبالغه له لتوهين كلام الحلبي أدت به أحيانًا إلى تنقيص علي رضي الله عنه» (٤).

الموضع السابع: قوله بأن الإمام علي ٧ لم يجن من حروبه الثلاثة إلا ضعفًا

قال ابن تيمية: «فما زاد الأمر إلّا شدة، وجانبه إلّا ضعفًا، وجانب من حاربه إلّا قوة والأمة إلّا افتراقًا» (٥).

الموضع الثامن: زعمه أن الإمام عليًا يشرب الخمر

١- منهاج السنة، ج ٣، ص ١٥٦.

٢- المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٠٣.

٣- المصدر السابق، ج ٧، ص ١٩١.

٤- الدرر الكامنة، ج ٦، ص ٣١٦.

٥- منهاج السنة، ج ٧، ص ٤٥٢.

ص ٣٢

قال ابن تيمية: «وقد أنزل الله تعالى في علي: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ). سورة النساء. لَمَّا صَلَّى فَقَرَأَ وَخَلَطَ» (١).

والجواب: ما رواه الحاكم في المستدرک بالإسناد إلى علي:

دعانا رجل من الأنصار قبل تحريم الخمر فحضرت صلاة المغرب فتقدم رجل فقرأ: (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) فالتبس عليه، فنزلت: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ) الآية. ثم قال الحاكم:

هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وفي هذا الحديث فائدة كثيرة، وهي أن الخوارج تنسب هذا السكر وهذه القراءة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب دون غيره، وقد برأه الله منها، فإنه راوى هذا الحديث (٢).

الموضع التاسع: اتهام فضيخ

ابن تيمية يجعل علياً مصداقاً لقوله تعالى: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) [القصص: ٨٣].

فيقول: «فمن أراد العلو في الأرض والفساد لم يكن من أهل السعادة في الآخرة. وعلى إنما قاتل لأن يكون له العلو في الأرض، إنه إنما قاتل ليطاع هو» (٣).

الموضع العاشر: كذب صريح

قال ابن تيمية: «أما قتال الجمل وصفين، فقد ذكر علي أنه لم يكن معه نص من النبي، وإنما كان رأياً، وأكثر الصحابة لم يوافقوه على هذا القتال» (٤).

١- منهاج السنة، ج ٤، ص ٦٥.

٢- المستدرک علی الصحیحین، الحاكم النيسابوري، ج ٢، ص ٣٠٧.

٣- منهاج السنة، ج ٤، ص ٥٠٠.

٤- المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٣.

إلى أن قال: «إنّ القتال كان قتال فتنه بتأويل، لم يكن من الجهاد الواجب ولا المستحب» (١).
 وكأنّه لم يسمع قول النبى الأكرم محمّد ٩ الذى رواه عقاب بن ثعلبة، عن أبى أيوب الأنصارى فى خلافة عمر بن الخطاب، قال: «أمر رسول الله على بن أبى طالب بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين» (٢)؛ ولذلك لمّا أشكل عليه بقتال الناكثين بحرب الجمل والقاسطين فى حرب صفين، والمارقين فى حرب الخوارج، قال: «عهد إلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتال الناكثين والقاسطين والمارقين» (٣).
 قال الهيثمى فى مجمع الزوائد: «وفى رواية: أمرت بقتال الناكثين. فذكره. رواه البزار والطبرانى فى الأوسط، وأحد إسنادى البزار رجاله رجال الصحيح غير الربيع بن سعيد ووثقه ابن حبان» (٤).

الموضع الحادى عشر: يلعن الإمام على ٧ ويحكم عليه بالخلود فى النار

قال ابن تيمية: «وقتل خلقاً كثيراً من المسلمين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون ويصلون» (٥).
 فهو بهذا القول يريد أن يقول للمسلمين: ألم تقرأوا قوله تعالى: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ لَهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) [النساء: ٩٣]. وكأنّه نسى قول النبى فيه: «أنت أخى فى الدنيا والآخرة» (٦).

الموضع الثانى عشر: اتهام الإمام على ٧ بعدم الإيمان والعدل

- ١- منهاج السنة، ج ٧، ص ٥٧.
- ٢- المستدرک على الصحيحين، ج ٣، ص ١٣٩.
- ٣- المعجم الأوسط، الطبرانى، ج ٨، ص ٢١٣؛ المعيار والموازنة، أبو جعفر الاسكافى، ص ٣٧؛ المستدرک على الصحيحين، ج ٣، ص ١٣٩؛ مسند أبى يعلى الموصلى، ج ١، ص ٣٩٨، وغيرها.
- ٤- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج ٧، ص ٢٣٨.
- ٥- منهاج السنة، ج ٦، ص ٣٥٦.
- ٦- سنن الترمذى، محمّد بن عيسى الترمذى، ج ٥، ص ٣٠٠؛ المستدرک على الصحيحين، ج ٣، ص ١٤؛ الاستيعاب، ابن عبد البر، ج ٣، ص ١٠٩٩؛ وغيرها.

ص ٣٤

قال ابن تيمية:

إنّ الرافضة تعجز عن إثبات إيمان علي وعدالته... فإن احتجوا بما تواتر من إسلامه وهجرته وجهاده، فقد تواتر إسلام معاوية ويزيد وخلفاء بني أمية وبني العباس، وصلاتهم وصيامهم وجهادهم(١).

الموضع الثالث عشر: اتهام الإمام علي ٧ بالنفاق

قال ابن تيمية: «لم يعرف أنّ علياً كان يبغضه الكفار والمنافقون»(٢).

وغيرها من الأقوال التي تنم عن بغضه وعداوته للإمام علي ٧، الذي لا يختلف فيه اثنان من أعداء الإسلام، فضلاً عن كونهم من أهل الإسلام.

وقال العلامة علوي بن طاهر الحداد في كتابه (القول الفصل فيما لبني هاشم من الفضل) في الجزء الثاني منه ما نصّه:

وفي منهجهم من السب والذم الموجّه المورد في قالب المعارض ومقدمات الأدلة في أمير المؤمنين علي والزهاء البتول والحسينين وذريتهم ما تقشعر منه الجلود وترجف له القلوب، ولا سب لعكوف النواصب والخوارج على كتابه المذكور إلّا كونه يضرب على أوتارهم ويتردد على أطلالهم وآثارهم، فكن منه ومنهم على حذر(٣).

والحاصل ممّا تقدّم وغيره ممّا جاء في كتبه التي ملأها بمثل هذه الأكاذيب والأحقاد الدفينه للإسلام وقادته الميامين، أنّ هذا الرجل لا يستحق أن يسمّى مسلماً فضلاً عن شيخ الإسلام الذي ما برح أن يذكر قبله، ولا منهجه مناهجاً للإسلام، فما لكم كيف تحكم، أفحكم الجاهلية تبغون؟! وحرام عليكم أن تضلوا الناس بمدحكم لهذا الرجل بعدما عرفتموه وعرفتم مواقفهم تجاه الدين وعلمائهم، وهذا ما سنقوم بنقله من أقوالكم فيه وردودكم عليه في محله.

المبحث الثاني ابن تيمية يخطئ أهل السنة

١- منهاج السنة، ج ٢، ص ٦٢.

٢- المصدر السابق، ج ٧، ص ٤٦١.

٣- القول الفصل فيما لبني هاشم من الفضل، العلامة علوي بن طاهر الحداد، ج ٢، ص ٤١٧.

قال ابن تيمية (١) في مجموع فتاوى:

وأيضاً فإنّ السلف أخطأ كثير منهم في كثير من المسائل، وأنفقوا على عدم التكفير

١- أقول: يعرف ابن تيمية بجرأته على الدين وعلمائه، سواء من كان من أهل السنّة أم من الشيعة، ولكن هذا لا يعنى أن يبقى علماء المسلمين مكتوفى الأيدى أمام هجمات ابن تيمية وتسفيه لآرائهم، وتضعيفه للأحاديث الصحيحة والمعتبرة، بمجرد عدم موافقتها لعقيدته التي بناها على أهوائه الخاصّة، فمن جملة الكتب التي ألفت ضد ابن تيمية من قبل علماء المسلمين، ما سنذكر بعضها لك، وهي: ١ رسالة في الردّ على ابن تيمية في التجسيم والاستواء والجهه، شهاب الدين أحمد بن يحيى الكلابي الحلبي ت ١٧٣٣. ٢ الدرّة المضيئة في الردّ على ابن تيمية - علي بن عبد الكافي شيخ الإسلام التقى السبكي. ٣ السيف الصقيل في ردّ ابن تيمية وابن قيم الجوزية - تقى الدين السبكي. ٤ شفاء السقام في زيارة خير الأنام عليه الصلاة والسلام - تقى الدين السبكي. ٥ الإنصاف والاتّصاف لأهل الحقّ من الإسراف، تقى الدين أبى بكر بن أحمد الحصنى ت ٨٢٩. ٦ المقالة المرضية في الردّ على ابن تيمية - قاضى قضاء المالكية تقى الدين بن عبدالله محمود الاقناعى. ٧ فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان، سلامة القضاء العزامى. ٨ البراهين الساطعة في ردّ بعض البدع الشائعة - سلامة القضاء. ٩ تطهير الفؤاد من دنس الاعتقاد - محمّد بخيتى المطيعى. ١٠ خير الحجّة في الردّ على ابن تيمية في العقائد - احمد بن حسين بن جبرئيل شهاب الدين الشافعى. ١١ الدرّة المضيئة في الردّ على ابن تيمية - محمّد بن علي الشافعى الدمشقى المعروف بابن الزملى. ١٢ الردّ على ابن تيمية في الاعتقادات - محمّد حميد الدين الحنفى الفرغانى. ١٣ ابن تيمية، حياته وعقائده وموقفه من الشيعة وأهل البيت - صائب عبد الحميد. ١٤ ردّ على الشيخ ابن تيمية - نجم الدين بن أبى الدر البغدادى. ١٥ الردّ على ابن تيمية في مسألة الطلاق - عيسى بن مسعود المنكلاوى. ١٦ نجم المهتدين برجم المعتدين - الفخر بن المعلم. ١٧ اعتراضات على ابن تيمية في علم الكلام - احمد بن إبراهيم السروطى الحنفى. ١٨ ابن تيمية ليس سلفياً - منصور محمّد عويس. ١٩ رسالة في الردّ على ابن تيمية في الطلاق - محمّد بن علي المازنى. ٢٠ إكمال المنّة في نقض منهاج السنّة - سراج الدين حسن بن عيسى الكهنوى. ٢١ رسالة في مسألة الزيارة، محمّد بن علي المازنى. ٢٢ شرح ظلمات الصوفية والرد على ابن تيمية، محمود محمود غراب. ٢٣ شمس الحقيقة والبداية على أهل الضلالة والغواية - احمد علي بن أبى المنى. ٢٤ مقدّمه الرسائل السبكية - كمال أبو المنى. ٢٥ مقدّمه التوفيق الربانى في الردّ على ابن تيمية الحرانى - كمال أبو المنى.

بذلك، مثل ما أنكر بعض الصحابة أن يكون الميت يسمع نداء الحي، وأنكر بعضهم أن يكون المعراج يقطفه، وأنكر بعضهم رؤية محمد صلى الله عليه وآله وسلم ربّه، ولبعضهم في الخلافة والتفضيل كلام معروف، وكذلك لبعضهم في قتال بعض، ولعن بعض، وإطلاق تكفير بعض أقوال معروفة، وكان شريح يذكر قراءة من قرأ (بل عجب) ويقول: إن الله لا يعجب، فبلغ ذلك إبراهيم النخعي فقال: إنما شريح شاعر يعجبه علمه، كان عبد الله أفقه منه، وكان يقول: (بل عجب)، فهذا أنكر قراءة ثابتة، وأنكر صفته دلّ عليها الكتاب والسنة، واتفقت الأمة على أنه إمام من الأئمة، وكذلك بعض السلف، أنكر بعضهم حروف القرآن، مثل إنكار بعضهم قوله (أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا)، وقال: إنما هي «أولم يتبين الذين آمنوا»، وإنكار الآخر قوله: (وَقَصَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْتَدُوا إِلَّا إِيَّاهُ)، وقال: إنما هي «ووصى ربك»، وبعضهم كان قد حذف المعوذتين، وآخر يكتب سورة القنوت، وهذا خطأ معلوم بالإجماع والنقل المتواتر، ومع هذا لم يكن تواتر النقل عندهم بذلك لم يكفروا، وإن كان يكفر بذلك من قامت عليه الحجّة بالنقل المتواتر (١).

وقد قام بالردّ علي ابن تيمية الحافظ الذهبي برسالة مفصلة، جاء فيها:

الحمد لله على ذلتي، يا ربّ ارحمني وأقلني عثرتي، واحفظ عليّ إيماني، وا حزناه على قلّمه حزني، ووا أسفاه على السنّة وأهلها، وا شوقاه إلى إخوان مؤمنين يعاونونني على البكاء، وا حزناه على فقد أناس كانوا مصاييح العلم وأهل التقوى وكنوز الخيرات، آه على وجود درهم حلال وأخ مؤنس، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وتباً لمن شغله عيوب الناس عن عيبه، إلى كم ترى القذاة في عين أخيك وتنسى الجذع في عينيك؟ إلى كم تمدح نفسك وشقاشقك وعبارتك وتذم العلماء وتتبع عورات الناس؟ مع علمك بنهي الرسول: (لا- تذكروا موتاكم إلّا بخير فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا) بل أعرف أنك تقول لي لتنصر نفسك: إنما الوقعة في هؤلاء الذين ما شموا رائحة الإسلام، ولا عرفوا ما جاء به محمّد ٩ وهو جهاد، بل والله عرفوا خيراً كثيراً مما إذا عمل به فقد فاز، وجهلوا

١- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج ١، ص ٤٢٩؛ وأنظر: الحقائق الإسلامية في الردّ على مزاعم الوهابية، مالك ابن الشيخ داود، ص ٦.

شيئاً كثيراً ممّا لا يعينهم، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه. يا رجل، بالله عليك كفّ عنّا، فإنّك محجاج عليم اللسان لا تقر ولا تنام، إياكم والغلوّات في الدين، كره نبيك ٩ المسائل وعابها ونهى عن كثرة السؤال وقال: (إنّ أخوف ما أخاف على أمّتي كلّ منافق عليم اللسان) وكثرة الكلام بغير زلل تقسى القلب إذا كان في الحلال والحرام، فكيف إذا كان في عبارات اليونسيّة والفلاسفة وتلك الكفريات التي تعمى القلوب؟! والله قد صرنا ضحكة في الوجود، فإلى كم تنبش دقائق الكفريات الفلسفيّة؟ لنرد عليها بعقولنا. يا رجل، قد بلعت "سموم" الفلاسفة وتصنيفاتهم مرّات، وكثرة استعمال السموم يدمن عليه الجسم وتكمن والله في البدن، وا شوقاه إلى مجلس يذكر فيه الأبرار فعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة، بل عند ذكر الصالحين يذكرون بالازدراء واللعنة، كان سيف الحجاج ولسان ابن حزم شقيقين فواخيتهما، بالله خلونا من ذكر بدعة الخميس وأكل الحبوب، وجدوا في ذكر بدع كُنّا نعدّها من أساس الضلال، قد صارت هي محض السنّة وأساس التوحيد، ومن لم يعرفها فهو كافر أو حمار، ومن لم يكفره فهو أكفر من فرعون، وتعدّ النصارى مثلنا.

والله في القلوب شكوك، إن سلم لك إيمانك بالشهادتين فأنت سعيد، يا خبيث من اتّبعك فإنّه معرض للزندقة والانحلال، لا سيّما إذا كان قليل العلم والدين باطوليا شهوانيا، لكنه ينفعك ويجاهد عندك بيده ولسانه وفي الباطن عدوّ لك بحاله وقلبه، فهل معظم أتباعك إلا قعيد مربوط خفيف العقل، أو عامى كذاب بليد الذهن، أو غريب واجم قوى المكر، أو ناشف صالح عديم الفهم؟ فإن لم تصدّقني ففتشهم وزنهم بالعدل، يا مسلم! أقدم حمار شهوتك لمدح نفسك، إلى كم تصادقها وتعادى الأخيار؟! إلى كم تصدقها وتزدرى الأبرار؟! إلى كم تعظمها وتصعّر العباد؟! إلى متى تخاللها وتمقت الزهاد؟! إلى متى تمدح كلامك بكيفيّة لا تمدح - والله - بها أحاديث الصحيحين؟! يا ليت أحاديث الصحيحين تسلم منك، بل في كلّ وقت تغير عليها بالتضعيف والإهدار، أو بالتأويل والإنكار، أما آن لك أن ترعوى؟! أما حان لك أن تتوب وتنب؟! أما أنت في عشر السبعين وقد قرب

الرحيل؟! بلى - والله - ما أذكر أنّك تذكر الموت، بل تزدرى بمن يذكر الموت، فما أظنك تقبل على قولى ولا تصغى إلى وعظى، بل لك همّة كبيرة فى نقض هذه الورقة بمجلدات، وتقطع لى أذنان الكلام، ولا تزال تنتصر حتى أقول: البتة سكت. فإذا كان هذا حالك عندي وأنا الشفوق المحب الواد فكيف حالك عند أعدائك؟! وأعدائك - والله - فيهم صلحاء وعقلاء وفضلاء، كما أنّ أولياءك فيهم فجرة وكذبة وجهله وبطله وعور وبقر، قد رضيت منك بأن تسبني علانية وتنتفع بمقالتي سراً (فرحم الله امرءاً أهدي إلى عيوبى) فإنني كثير العيوب غزير الذنوب، الويل لى إن أنا لا أتوب، ووافضحتى من علام الغيوب، ودوائى عفو الله ومسامحته وتوفيقه وهدايته، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين (١).

الفصل الثاني: تبادل التهم بين الوهابية وسائر علماء أهل السنة

المبحث الأول تكفير الوهابية لأهل السنة

١- نقلاً عن تكملة السيف الصقيل، الكوثرى، ص ١٩٠.

الفصل الثاني: تبادل التهم بين الوهابية وسائر علماء أهل السنة

المبحث الأول تكفير الوهابية لأهل السنة

لم تقتصر الوهابية في عداؤها وتكفيرها على الشيعة الإمامية فقط، كما يظن بعض من لا معرفه له بهذه الجماعة التكفيرية، بل طالت بذلك جميع الفرق الإسلامية التي لا تؤمن بأفكارها الفاسدة، وعقائدها الباطلة، وقد نقلنا قبل قليل ما صرح به الشيخ سليمان بن عبد الوهاب العالم الحنبلي، في أن الوهابية تقول بتكفير كل فرق المسلمين بلا فرق، سنيّة كانت أم شيعية، بشرط أن لا تكون تابعة لأفكارها الفاسدة، وسنقل بعد ذلك أقوال علماء المسلمين من كبار أهل السنة في تكفير الوهابية، وأنها كانت ومازالت جماعة مبتدعة، تهدف إلى هدم الدين وتقويضه، وقتل أهله الخييين بحجة الخروج عنه، ولكن الذي يهمننا هنا أن ننقل بعض أقوال علماء الوهابية في تكفير ما سواهم من المسلمين:

قال حاج مالك بن الشيخ داود، في مقدمه كتابه مبيّنًا للسبب الذي دفع به لتأليفه:

أما بعد، فإنّ الباعث الوحيد لى إلى وضع هذه الرسالة هو النصيحة لعامة المسلمين والرد على بعض الوهابيين المتطرّفين الذين يظنون بالمسلمين غير الحقّ ظنّ الجاهلية ويزعمون أنّ من لم يكن وهايباً فهو مشرك حتى ولو أقر بالشهادتين وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحجّ البيت؛ لأنّ الوهابية عندهم بمثابة سنة نبوية يجب الاقتداء بها بالقلب والقالب وكأنّ الوحي الإلهي إنّما أنزل على محمّد بن عبد الوهاب (المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ) لا على

محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

وأقول: بأن هذه المزاعم وأمثالها ليس مصدرها إلا الجهل الذي هو الداء العضال في كل زمان ومكان، والذي لا يقتل أعضاء الجسم وحدها إنما يقتل معها أعضاء الأمة جمعاء.

ولا شك أن هذه الخلافات التي منى بها مجتمعنا القومي في عصرنا الحالي، جاءت نتيجة لسبيين ظاهرين: أولهما: هو الجهل المركب الذي لا يميز صاحبه بين الخبيث والطيب ولا بين المندوب والمكروه، ثم لا يعترف بجهله فيسكت. والثاني: هو عدم فهم بعض المسائل الدينية فهماً حقيقياً، مما أتاح لهم فرصة ليحرفوا بعض الآيات والأحاديث عن مواضعها، فيترتب عليه إجرام البريء تارة وإبراء المجرم تارة أخرى.

ولأجل هذين السببين عمّت البلوى بانتشار الخلافات الدينية مما أدى إلى قطع الأرحام وهجران المساجد واختلاف المفاهيم والآراء، وأخيراً اختلط الدين بالطين وانتهى الأمر إلى الفوضى (١).

وقد حكم محمد بن عبد الوهاب على أحد أئمة المساجد وحاكم بلد عينه بالكفر، فعمد جماعته إلى قتله، فقتلوه بعد الانتهاء من صلاة الجمعة، كما جاء ذلك في كتاب (تاريخ نجد)، حيث نقل عن محمد بن عبد الوهاب قوله فيه: إن عثمان بن معمر - حاكم بلد عينه - مشرك كافر، فلما تحقق المسلمون من ذلك تعاهدوا على قتله بعد انتهائه من صلاة الجمعة، وقتلناه وهو في مصلاه بالمسجد في رجب ١١٦٣هـ (٢).

وقال طه حسين في بيان حال الوهابية في مصر:

شكّل ذلك العام [يعني به ١٩٦٧م] فرصة ممتازة للفكر الوهابي، فمع الهزيمة لم تنكسر الحالة الناصرية أو الحالة الاشتراكية فحسب، بل انكسر الوعي الوسطى المصري، وباتت الدولة تتعرض إلى رؤى من نوعيه أن السبب في الهزيمة ديني والحل في العودة للدين على طريقة الوهابية باسم العودة للسلف الصالح، ومع نبيل الفكرة إلا أن الغرض كان فرض

١- الحقائق الإسلامية في الرد على مزاعم الوهابية، ص ٦.

٢- تاريخ نجد، حسين بن غنام، ص ٩٧، نقلاً عن رسائل محمد بن عبد الوهاب.

الرؤية الوهابية تماماً دون غيرها، وبدأت الفكرة تزداد، والتغلغل الوهابي يزيد، ولعلّ أقف ضدّ القول بأنّ الوهابية لم تدخل الدخول الثاني بمصر بعد ١٩٧١م مع العهد الساداتي، بل أقول: إنّ الوهابية دخلت من يوم ١٥/٦/١٩٦٧م، ولعلّ أحداث الخانكة الطائفية ١٩٧٢م خير دليل.

مع العهد السبعيني باتت مصر مع كارثة؛ إذ رأى أهل السلطة من ذوى التوجّهات الغربية ضرب الجانب اليسارى بالتيارات الإسلامية، وبالتالي كان الوضع ممتازاً للفكر الوهابي، فمع التشجيع الرسمي دخل التكفير والطائفية والنقاب من أوسع الأبواب وبتأييد رسمي، ولعلّ شهادة بثينة رشوان عن ضرب الإسلاميين من ذوى الفكر السلفي لطلاب إحدى المسرحيات بالجنازير تحت رعاية الأمن ١٩٧٦م خير دليل.

استبد الوهابيون خاصّة مع الثورة البترودولارية وارتفاع أسعار النفط حينها كان المصري يخرج للجزيرة العربية مصري ويعود بجسد المسافر وعقليه الوهابي المخلص، باختصار قفزت مخططات الوهابيين للقمة، ومع عودة الإخوان المسلمين من الخليج عادت التحالفات ثانية باستثناء أنها باتت تتضاءل مع الوقت لكثرة التنظيمات بالبلاد وانتشار القوّة السياسيّة والماليّة بين الإخوان فباتت التحالفات تقل والاستقلالية تكثر، وهكذا ولأوّل مرّة منذ ١٨١٩م - تدهورت مصر، أمّا الوهابية - السعودية إلى أن وصلنا لمرحلة اليوم الحالي...ولهذا قصّة أخرى (١).

وعدّ الجزيري بأنّ المذاهب الأربعة متّفقه على أنّ من يعتقد بالتجسيم، فهو كافر؛ وذلك لأنّ الاعتقاد بتجسيم الله تعالى وما يستلزم الاعتقاد بالتجسيم مستوجب للكفر، والمعتقد به كافر ومشرك (٢)، وكأنّه يريد أن يقول لك: أيّها الشباب المعتقد والمؤمن بالفكر الوهابي حديثاً، إذا كنت تعتقد بالتجسيم، وتقول بالصفات الخبريّة على ما هي عليه في الظاهر، بحيث تنسب لربّك اليد والوجه والساق و..الخ، فإنّك كافر باتّفاق وإجماع المذاهب الإسلاميّة الأربعة، فضلاً عن مذهب أهل البيت:، فما عليك إلّا أن تلتزم بقول الله تعالى، وهو يخاطب الجميع

١- راجع: كتاب الفتنة الكبرى، طه حسين.

٢- راجع: الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري، ج ٤، ص ١٠٧ و ج ٥، ص ١٩٨.

ويقول لهم عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسِكُمْ لَا تَصُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) [المائدة: ١٠٥]، ولا عليك بما يعتقد ابن تيمية وغيره، حينما تجده ينكر وجود الآيات المنزهة لله تعالى عن التجسيم، حيث قال: «... إنه ليس في شيء من ذلك (يعنى الآيات) نفى الجهة والتحيز عن الله، ولا وصفه بما يستلزم لزوماً بيناً نفى ذلك» (١). ولكنك إذا رجعت إلى ما يعتقد ابن تيمية كما هو مدون في كتبه، فإنك ستقف على حقيقة أمره في باب القول بالتجسيم، فقد قال في كتاب (مجموع الفتاوى) ما نصه: «إن محمداً رسول الله يجلسه ربه على العرش معه» (٢). وقال في كتاب (مجموع الفتاوى) وكتاب شرح حديث النزول: «فما جاءت به الآثار عن النبي من لفظ القعود والجلوس في حق الله تعالى كحديث جعفر بن أبي طالب وحديث عمر أولى أن لا يماثل صفات أجسام العباد» (٣). وفي الصحيفة ذاتها يقول: «إذا جلس تبارك وتعالى على الكرسي سُمِعَ له أطيظ كأطيظ الرّحل الجديد» (٤). ثم قارن كلامه بكلام الناهين عن ذلك، فمثلاً تجد في كتابه الفتاوى الهندية، يقول ما نصه: «يكفر بإثبات المكان لله تعالى» (٥)، وفي كتاب المنهاج القويم شرح شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي على المقدمة الحضرمية، يقول: «واعلم أن القرافي وغيره حكوا عن الشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة رضى الله عنهم القول بكفر القائلين بالجهة والتجسيم، وهم حقيقون بذلك» (٦).

١- الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، ج ٥، صص ٢١-٢٣.

٢- مجموع الفتاوى، ج ٤، ص ٣٧٤.

٣- المصدر السابق، ج ٥، ص ٥٢٧. وفي طبعه العاصمة، ص ٤٠٠.

٤- المصدر السابق.

٥- الفتاوى الهندية، ابن تيمية، ج ٢، ص ٢٥٩.

٦- المنهاج القويم، شرح ابن حجر على المقدمة الحضرمية، ص ٢٤٤.

ص ٤٥

أصغى إلى قول صادق العترة الطاهرة ٧ ماذا يقول لك:

من زعم أن إلهنا في شيء، أو على شيء، أو من شيء فقد أشرك؛ إذ لو كان في شيء لكان محصوراً، ولو كان على شيء لكان محمولاً، ولو كان من شيء لكان محدثاً (١) أي مخلوقاً.

وعلى هذا نقل الإجماع إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك في كتابه الإرشاد حيث قال «مذهب أهل الحق قاطبه أن الله سبحانه وتعالى يتعالى عن الحيز والتخصص بالجهات» (٢).

وكذلك نقله الإمام الكبير عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي في الفرق بين الفرق: «وأجمعوا على أنه لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان» (٣).

وقال النووي:

من اعتقد قدم العالم، أو حدوث الصانع، أو نفى ما هو ثابت للتقديم بالإجماع، ككونه عالماً قادراً، أو أثبت ما هو منفي عنه بالإجماع كالألوان، أو أثبت له الاتصال والانفصال، كان كافراً (٤).

وقال الشيخ عبد الغنى النابلسي في كتاب الفتح الرباني: «من اعتقد أن الله ملأ السماوات والأرض أو أنه جسم قاعد فوق العرش فهو كافر وإن زعم أنه مسلم» (٥).

المبحث الثاني علماء السنة يردون على ابن تيمية

١- كتاب التوحيد، الصدوق، ص ١٧٨.

٢- الإرشاد، الإمام الجويني، ص ٥٨.

٣- الفرق بين الفرق، الخطيب البغدادي، ص ٣٣٣.

٤- روضة الطالبين، النووي، ج ١٠، ص ٦٤.

٥- الفتح الرباني، عبد الغنى النابلسي، ص ١٢٤.

قال ابن حجر الهيتمي:

ابن تيمية عبد خذله الله وأضلّه وأعماه وأصمّه وأذله، وبذلك صرّح الأئمة الذين بينوا فساد أحواله وكذب أقواله، ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد المتفق على إمامته وجلالته وبلوغه مرتبة الاجتهاد أبي الحسن السبكي وولده التاج والشيخ الإمام العز بن جماعة وأهل عصرهم وغيرهم من الشافعية والمالكية والحنفية، ولم يقصر اعتراضه على متأخرى الصوفية، بل اعترض على مثل عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضى الله عنهما كما سيأتي، والحاصل أن لا يقام لكلامه وزن، بل يرمى في كلّ وعر وحزن، ويعتقد فيه أنه مبتدع ضال ومضل جاهل غال، عامله الله بعدله وأجارنا من مثل طريقته وعقيدته وفعله... وأخبر عنه بعض السلف أنه ذكر علي بن أبي طالب رضى الله عنه في مجلس آخر فقال: إن علياً أخطأ في أكثر من ثلاثمائة مكان، فيا ليت شعري من أين يحصل لك الصواب إذا أخطأ علي بزعمك... (١).

ومما قاله عنه ابن حجر العسقلاني في ترجمته في الدرر الكامنة:

ثم نسب أصحابه إلى الغلو فيه واقتضى له ذلك العجب بنفسه حتى زهى على أبناء

١- الفتاوى الحديثية، ابن حجر الهيتمي، ص ١٤٤.

جنسه واستشعر أنه مجتهد، فصار يردّ على صغير العلماء وكبيرهم قديمهم وحديثهم، حتّى انتهى إلى عُمر فخطأه في شيء، فبلغ ذلك الشيخ إبراهيم الرقي فأنكر عليه، فذهب إليه واعتذر واستغفر، وقال في حقّ عليّ: أخطأ في سبعة عشر شيئاً... ومنهم (أى: من العلماء) من ينسبه إلى النفاق لقوله في عليّ ما تقدّم ولقوله: إنّه كان مخذولاً حيثما توجه، وإنّه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها، وإنّما قاتل للرياسة لا للديانة، ولقوله: إنّه كان يحبّ الرياسة وأنّ عثمان كان يحب المال، ولقوله: أبو بكر أسلم شيخاً يدرى ما يقول وعليّ أسلم صبيّاً والصبي لا يصح إسلامه على قول... (١).

وقال في لسان الميزان واصفاً ردّ ابن تيمية على العلامة الشيخ الحلبي:

لكنّه ردّ في ردّه كثيراً من الأحاديث الجياد التي لم يستحضر حالة التصنيف مظانها؛ لأنّه كان لا يتسع في الحفظ يتكل على ما في صدره والإنسان عامد للنسيان، وكم من مبالغه لتوهين كلام الرافضي أدته أحياناً إلى تنقيص عليّ (٢).

أما محمّد بن محمّد العلاء البخاري الحنفي، فقد:

كان يُسئل عن مقالات ابن تيمية التي انفرد بها فيجيب بما ظهر له من الخطأ، وينفر عنه قلبه إلى أن استحکم ذلك عليه فصرّح بتبديعه ثمّ تكفيره، ثمّ صار يُصرّح في مجلسه أنّ من أطلق على ابن تيمية أنّه شيخ الإسلام، فهو بهذا الإطلاق كافر... (٣).

وقال عنه مفتي الديار المصرية محمّد بخيت المطيعي الحنفي:

ولمّا أن تظاهر قوم في هذا العصر بتقليد ابن تيمية في عقائده الكاسدة وتعصيد أقواله الفاسدة وبثّها بين العامّة والخاصّة، واستعانوا على ذلك بطبع كتابه المسمّى بالواسطية ونشره، وقد اشتمل هذا الكتاب على كثير ممّا ابتدعه ابن تيمية مخالفاً في ذلك الكتاب والسنة وجماعة المسلمين، فأيقظوا فتنه كانت نائمة (٤).

١- الدرر الكامنة، ابن حجر العسقلاني، ج ١، ص ١٤٤.

٢- لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، ج ٦، ص ٣١٩.

٣- البدر الطالع، محمّد بن علي الشوكاني، ج ٢، ص ١٣٧.

٤- تطهير الفؤاد، محمّد بخيت المطيعي، ص ١٣.

قال محمد عبد الحى الكتانى المغربى:

فإنى أرى هذه الضلالات وما يتبعها من الشناعات التى كان أول مذيع لها وموضح لظلامها الشيخ أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى وعفا عنه قد كادت الآن أن تشيع وفى كل بلاد أهل السنة تذيع (١).

قال محمد البرلسى الرشيدى المالكى:

وقد تجاسر ابن تيمية عامله الله بعدله وادعى أن السفر لزيارة النبى صلى الله عليه [وآله] وسلم محرّم بالإجماع، وأن الصلاة لا تقصر فيه لعصيان المسافر به، وأن سائر الأحاديث الواردة فى فضل الزيارة موضوعة، وأطال بذلك بما تمجّه الأسماع وتنفر منه الطباع، وقد عاد شتوم كلامه عليه حتى تجاوز إلى الجناب الأقدس المستحق لكلّ كمال أنفس، وحاول ما ينافى العظمة والكمال بادعائه الجهة والتجسيم، وأظهر هذا الأمر على المنابر، وشاع وذاع ذكره فى الأصغر والأكابر، وخالف الأئمة فى مسائل كثيرة، واستدرك على الخلفاء الراشدين باعتراضات سخيّة حقيرة، فسقط من عين أعيان علماء الأئمة، وصار مثله بين العوام فضلاً عن الأئمة، وتعقب العلماء كلماته الفاسدة وزيفوا حججه الداحضة الكاسدة وأظهروا عوار سقطاته، وبيّنوا قبائح أوهامه وغلطاته، حتى قال فى حقّ العز بن جماعة: «إن هو إلّا عبد أضلّه الله وأغواه، وألبسه رداء الخزى وأرداه...» (٢).

وقال يوسف بن إسماعيل النبهانى الشافعى:

اعلم أنى أعتقد فى ابن تيمية وتلميذيه ابن القيم وابن عبد الهادى أنهم من أئمة الدين وأكابر علماء المسلمين، وقد نفعوا الأئمة المحمديّة بعلمهم نفعاً عظيماً وإن أساءوا غاية الإساءة فى بدعه منع الزيارة والاستغاثة، وأضرّوا بها الإسلام والمسلمين أضراراً عظيمة، وأقسم بالله العظيم إنى قبل الاطلاع على كلامهم فى هذا الباب فى شؤون النبى صلى الله عليه [وآله] وسلم لم أكن أعتقد أن مسلماً يجترئ على ذلك، وإنى منذ أشهر أتفكّر فى ذكر عباراتهم فلا أتجاسر على ذكرها ولو للردّ عليها خوفاً من أن أكون سبياً فى زيادة نشرها لشدة فظاعتها... (٣).

١- شواهد الحقّ، يوسف النبهانى، ص ١٤.

٢- المصدر السابق، ص ١٥.

٣- المصدر السابق، ص ٦٢.

وقال تقي الدين السبكي الشافعي :

اعلم أنه يجوز ويحسن التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبي صلى الله عليه [وآله] وسلم إلى ربه سبحانه وتعالى، وجواز ذلك وحسنه من الأمور المعلومة لكل ذي دين، المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين، وسير السلف الصالحين، والعلماء والعوام من المسلمين، ولم ينكر أحد ذلك من أهل الأديان، ولا سمع به في زمن من الأزمان، حتى جاء ابن تيمية فتكلم في ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء الأغمار، وابتدع ما لم يسبق إليه في سائر الأعصار... وحسبك أن إنكار ابن تيمية للاستغاثة والتوسل قول لم يقله، عالم قبله وصار به بين أهل الإسلام مثله... (١).

وقال عنه أبو بكر بن محمد الحصري الشافعي:

الحمد لله مستحق الحمد. زيارة قبر سيّد الأولين والآخرين محمد صلى الله عليه [وآله] وسلم وكرم ومجد من أفضل المساعي وأنجح القرب إلى رب العالمين وهي سنة من سنن المسلمين، ومجمع عليها عند الموحدين، ولا يطعن فيها إلّا من في قلبه خبث ومرض المنافقين، وهو من أفراخ السامرة واليهود وأعداء الدين من المشركين، ولم تنزل هذه الأئمة المحمدية على شد الرحال إليه على ممر الأزمان من جميع الأقطار والبلدان، سواء في ذلك الزرافات والوحدان، والعلماء والمشايخ والكهول والشبان، حتى ظهر في (آخر) (٢) الزمان، في السنين الخداعة مبتدع من حران لبس على أتباع الدجال ومن شابههم من شين الأفهام والأذهان، وزخرف لهم من القول غروراً، كما صنع إمامه الشيطان، فصدهم بتمويهه عن سبيل أهل الإيمان، وأغواهم عن الصراط السوي إلى بُنيات الطريق ومدرجة الشيطان، فهم بترويقه في ظلمة الخطأ والإفك يعمهون، وعلى منوال بدعته يهرعون، صمّ بكم عمى فهم لا يعقلون (٣).

ومما قاله محمد زاهد الكوثري الحنفي:

١- شفاء السقام، تقي الدين السبكي، ص ١٧١.

٢- استبدلت لفظة الكاتب بلفظ قريب في المعنى؛ لعدم لياقة ما كتبه في نظري، والله العالم.

٣- الفتاوى السهمية في ابن تيمية، أجاب عنها جماعة من العلماء.

ولو قلنا لم يبيل الإسلام في الأدوار الأخيرة بمن هو أضر من ابن تيمية في تفريق كلمة المسلمين لما كنا مبالغين في ذلك، وهو سهل متسامح مع اليهود والنصارى يقول عن كتبهم: إنها لم تحرف تحريفاً لفظياً، فاكتسب بذلك إطراء المستشرقين له، شديد غليظ الحملات على فرق المسلمين لا سيما الشيعة... ولولا شدة ابن تيمية في رده على ابن المطهر في مناجاهه إلى أن بلغ به الأمر إلى أن يتعرض لعلى بن أبي طالب كرم الله وجهه على الوجه الذي تراه في أوائل الجزء الثالث منه بطريق يأباه كثير من أقحاح الخوارج مع توهين الأحاديث الجيدة في هذا السبيل... (١).

وممن هاجم ابن تيمية بشدة ونص على نضبه الحافظ أحمد بن محمد الصديق الغماري في عدة كتب منها كتابه البرهان الجلي، فقال: بل بلغت العداوة من ابن تيمية إلى درجة المكابرة وإنكار المحسوس، فصرح بكل جراه ووقاحة ولؤم ونذالة ونفاق وجهالة أنه لم يصح في فضل على حديث أصلاً، وأن ما ورد منها في الصحيحين لا يثبت له فضلاً ولا مزية على غيره... بل أضاف ابن تيمية إلى ذلك من قبيح القول في على وآل بيته الأظهار وما دل على أنه رأس المنافقين في عصره لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الصحيح المخرج في صحيح مسلم مخاطباً لعلي: (لا- يحييك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق) كما ألزم ابن تيمية بذلك أهل عصره وحكموا بنفاقه... وكيف لا يلزم بالنفاق مع نطقه قبحة الله بما لا ينطق به مؤمن في حق فاطمة سيده نساء العالمين صلى الله عليها وسلم وحق زوجها أخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيّد المؤمنين؟! فقد قال في السيدة فاطمة البتول: إن فيها شبيهاً من المنافقين الذين وصفهم الله بقوله: (فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَحْطُونَ) قال لعنه الله عليه: فكذلك فعلت هي؛ إذ لم يعطها أبو بكر من ميراث والدها صلى الله عليه وآله وسلم، أما عليّ ٧ فقال فيه: إنه أسلم صبياً وإسلام الصبي غير مقبول على قول، فراراً من إثبات أسبقيته للإسلام وجحوداً لهذه المزية، وأنه خالف كتاب الله تعالى في سبع عشرة مسألة، وأنه كان مخذولاً حيثما توجه،

١- الإشفاق في أحكام الطلاق، محمد زاهد الكوثري، ص ٢٤٨.

وأته كان يحبّ الرياسة ويقاقل من أجلها لا من أجل الدين، وأنّ كونه رابع الخلفاء الراشدين غير متفق عليه بين أهل السنّة... وزعم قبحه الله أنّ علياً مات ولم ينس بنت أبي جهل التي منعه النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم الزواج بها، بل فاه في حقّه بما هو أعظم من هذا، فحكى عن بعض إخوانه المنافقين أنّ علياً حفيت أظفاره من التسلقّ على أزواج رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم بالليل، في أمثال هذه المثالب التي لا يجوز أن يتّهم بها مطلق المؤمنین فضلاً عن سادات الصحابة رضی الله عنهم فضلاً عن أفضل الأئمّة بعد رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، ففتح الله ابن تيمية وأخزاه

وجزاه بما يستحق وقد فعل والحمد لله؛ إذ جعله إمام كل ضال مضل بعده، وجعل

كتبه هادية إلى الضلال، فما أقبل عليها أحد واعتنى بشأنها إلّا وصار إمام ضلالة في عصره... (١).

وطعن الغماري في ابن تيمية في بعض كتبه مثل الجواب المفيد، وحصول التفريج، وهداية الصغراء، وكذلك في رسالته الأخيرة للتليدي المغربي التي طبعوها وحذفوا منها بعض كلماته في النواصب لإخفاء الحق ومحاربة أهله.

أمّا شقيقه المحدّث عبدالله بن محمّد الصديق الغماري، فقال:

ويدلّ أيضاً على أنّ علياً رضی الله عنه كان ميمون النقيبة، سعيد الحظ، على نقيض ما قال ابن تيمية في منهاجه عنه أنّه كان مشؤوماً مخدولاً، وتلك كلمة فاجرة، تنبئ عمّا في قلب قائلها من حقد على وصي النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم وأخيه كرم الله وجهه (٢).
ومحمد ناصر الألباني رغم اتباعه لابن تيمية إلّا أنّه هو الآخر تكلم فيه، واستنكر منه أموراً، وحاول أن يبرر له، منها ما قاله عن حديث (من كنت مولاه فعلى مولاه):

فمن العجيب حقاً أن يتجرأ شيخ الإسلام ابن تيمية على إنكار هذا الحديث وتكذيبه في منهاج السنّة كما فعل بالحديث المتقدّم هناك، مع تقريره رحمه الله أحسن تقرير أن الموالاته

١- البرهان الجلي، أحمد الغماري، ص ٥٣.

٢- سمير الصالحين، عبدالله الغماري، ص ٧٧.

هنا ضد المعادة وهو حكم ثابت لكل مؤمن وعلّي من كبارهم يتولّاهم ويتولونه، ففيه ردّ على الخوارج والنواصب (١).
وقال أيضاً عن نفس الحديث:

فقد كان الدافع لتحرير الكلام على الحديث وبيان صحته أنّي رأيت شيخ الإسلام ابن تيمية قد ضَعَفَ الشرط الأوّل من الحديث، وأمّا الشرط الآخر فزعم أنّه كذب! وهذا من مبالغاته الناتجة في تقديري من تسرعه في تضعيف الأحاديث قبل أن يجمع طرقها ويدقق النظر فيها، والله المستعان (٢).

وقال أحمد زروق المالكي: «ابن تيمية رجل مسلم له باب الحفظ والإتقان، مطعون عليه في عقائد الإيمان، مثلوب بنقص العقل فضلاً عن العرفان...» (٣).

وقال حسن بن فرحان المالكي:

حوكم ابن تيمية في عصره على بغض عليّ، واتّهمه مخالفوه من علماء عصره بالنفاق وأخطأوا في ذلك، واتّهموه بالنصب وأصابوا في كثير من ذلك؛ لقوله: إنّ علياً قاتل للرياسة لا للديانة، وزعمه أنّ إسلام عليّ مشكّك فيه لصغر سنّه، وأنّ تواتر إسلام معاوية ويزيد بن معاوية أعظم من تواتر إسلام عليّ!! وأنه كان مخذولاً!! وغير ذلك من الشناعات التي بقي منها ما بقي في كتابه منهاج السنّة، وإن لم تكن هذه الأقوال نصباً فليس في الدنيا نصب (٤).

وقال المالكي في كتاب آخر:

ابن تيمية مع فضله وعلمه إلّا أنّه يجب أن نعرف أنّه شامى وأهل الشام فيهم انحراف في الجملة عن عليّ بن أبي طالب وميل لمعاوية! وبقي هذا في كثير منهم إلى الأزمان المتأخرة اليوم... إنّنا لا نجهل قدر الرجل وعلمه ودفاعه عن الإسلام بلسانه وبنانه، لكن في الوقت نفسه

١- سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، ج ٥، ص ٢٦٣.

٢- المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٤٤.

٣- شواهد الحقّ، النبهاني، ص ٤٥٣.

٤- قراءة في كتب العقائد، حسن المالكي، ص ١٧٦.

نعرف تماماً أنه منحرف عن عليّ وأهل بيته، متوسّحاً في جلب شبه النواصب مع ضعفه في الردّ عليها، فتراه يستروح مع شبه الشاميين ويحاول الاستدلال لها بكلّ ما يمكن من منظونات الصحيح وصریحات الموضوع مع بتر حجج الإمام عليّ وأصحابه، والتعامل الشديد على فضائل عليّ مع التوسّع في قبول الضعيف من الأحاديث والآثار في فضل الخلفاء الثلاثة، بل في فضل معاوية! فيستخدم أكثر من منهج في الحكم على الحديث، وهذه الازدواجية دليل الهوى والانحراف (١).

ومن كلام محمود سعيد بن ممدوح الشافعي يصف فيه موقف بعضهم من العترة النبوية المطهرة فيقول:
وآخرون يتولّون العترة المطهّرة، ولكن بحدّ وإلى مقام لا يتجاوزونه البتّة، فتراهم يأتون إلى كلّ فضيلة لعليّ ثابتة بالأحاديث الصحيحة فيتأولونها دفعاً بالصدر لتوافق بعض المذاهب، فإذا جاء في الأحاديث الصحيحة أنّ علياً مولى المؤمنين، وأنّه لا يغادر الحقّ وأنّه أعلم وأشجع الصحابة، وأسبقهم إسلاماً، وهو الكرار الذي لم يهزم، إلى غير ذلك اشتغلوا بتأويل الأحاديث الصحيحة بما يوافق المذهب، وازداد بعضهم جحوداً بالالتجاء إلى منهاج بدعة ابن تيمية فيعولون عليه في نفى خصائص عليّ، وتدعيم أسس التّصب (٢).
وممن نصّ على نصب ابن تيمية أيضاً، حسن بن علي السقاف فقال:

قال ابن تيمية (لا حيّاه الله) في منهاج سنّته (٤/٨٦):

وأما قوله: «من كنت مولاة فعليّ مولاة» فليس هو في الصحاح

لكن هو مما رواه العلماء، وتنازع الناس في صحته....

ثمّ قال هناك نقلاً عن ابن حزم بزعمه !!

قال: قال: وأما «من كنت مولاة فعليّ مولاة» فلا يصح من طريق الثقات أصلاً.

قلت (أى: السقاف): حديث «من كنت مولاة فعليّ مولاة» حديث صحيح متواتر عند

١- منهاج السنة، ابن تيمية، ج٧، ص ٤٦١؛ الصحبة و الصحابة، حسن المالكي، ص ٢٤٢.

٢- غاية التبجيل، محمود سعيد بن ممدوح، ص ١١٩.

أهل السنة والجماعة وقد نصّ على ذلك حتّى النواصب... (١).

وقال مُعلّقاً على طعن ابن تيمية في الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء ٣:

«بعض ذلك ذكره في منهاج سنّته (ج ٢/ ص ١٦٩)، وذكره بطريقة ملتوية عرجاء، وتظاهر في بعض تلك الجمل بمدحها، وأنها سيّدة نساء العالمين، وليس وراء قوله (عامله الله بما يستحق) إلا الطعن والذم، وليس له مخرج عندنا من هذه الورطة، ولا نقبل الدفاع عنه، وتأويل بعض كلماته هناك بأيّ وجه، فهو ناصبي خبيث، ومجسّم بغيض، شاء المخالفون أم أبوا» (٢).

ونستمر في سرد الأقوال في ابن تيمية شيخ إسلامهم!! ونصل إلى جلال على عامر صاحب الردّ على راشد الغنوشي التونسي الذي أثنى على ابن تيمية، فكتب جلال على عامر كتاباً في الردّ عليه وخاطبه فيه قائلاً:

هل أطلعت على كتب ابن تيمية المطوّلة في العقائد، مثل موافقه صريح المعقول لصحيح المنقول، والتأسيس في الردّ على أساس التقديس، ومنهاج السنة النبوية في الردّ على الشيعة والقدريّة، ومجموع رسائله في العقائد؟

إن لم تكن قد تمخّصت فيها فلا- يحقّ لك بأيّ حال من الأحوال أن تعطى لابن تيمية هذه المرتبة التي أعطيتها له؛ وذلك لسبب واضح وجلي هو احتواء هذه الكتب على العديد من العقائد الباطلة المخالفة لما عليه السلف الصالح ولما عليه علماء المسلمين في القرون الثلاثة الأخيرة، فضلاً عن مخالفتها للقرآن الكريم والسنة الشريفة بكلّ وضوح (٣).

وممن تكلم في ابن تيمية أيضاً الدكتور عيسى بن مانع الحميري فقال:

وهذا ترك من ابن تيمية لمذهب السلف بالكليّة، وأدّعاء عليهم بمذهب غير مذهبهم، ودخول في مضايق وعرة وشنائع أمور استبشعها العلماء واستبعدوها، وقد رأينا لهذا المخالف ومن شايعه ألفاظاً شنيعة لم ترد في الكتاب والسنة، ولم ينطق بها أحد من السلف،

١- مجموع رسائل السقاف، حسن السقاف، ج ٢، ص ٧٣٦.

٢- المصدر السابق، ص ٧٣٧.

٣- الردّ على الشيخ راشد الغنوشي، جلال على عامر، الفصل الأول.

ص ٥٦

فأثبتوا الجسمية صراحة، وأثبتوا الجهة والحد والتحيز والحركة والصوت والانتقال والكيف وغير ذلك من التجسيم الصريح (١).
وقال أيضاً:

ولم ينته ابن تيمية عند هذا الحد، بل نسب لله تعالى الجهة بلازم كلامه ومنطوق أقواله، وهو القائل لا نصف الله تعالى إلّا بما وصف به نفسه كما هو مشهور عنه، فنقول له: بالله عليك هل وجدت آية أو حديثاً ولو ضعيفاً أو أثراً عن السلف الصالح أنّهم يصفون الله تعالى بالجهة؟! ما هذا إلّا ابتداع ابتداعه، وضلال ابتكرته، نسأل الله تعالى السلامة (٢).
وقال:

فالحاصل من هذا أنه يتبين لك أن ابن تيمية عشوائي في فهمه، ولا يمشى على قاعدة مستقيمة، بل يتبع ما يبدو له إذا استطاع بذلك أن ينصر مذهبه (٣).

أمّا الدكتور محمود السيد صبيح فله كتاب ضخم أسماه (أخطاء ابن تيمية في حقّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته) ومما قاله فيه:

وقد تتبعت كثيراً من أقوال مبتدعة هذا العصر فوجدت أكثر استدلالهم بابن تيمية، فتتبعت بحول الله وقوته كلام ابن تيمية فيما يقرب من أربعين ألف صفحة أو يزيد، فوجدته قد أخطأ أخطاء شنيعة في حقّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

١- تصحيح المفاهيم العقديّة، الدكتور عيسى الحميري، ص ١٣١.

٢- المصدر السابق، ص ١٧٥.

٣- المصدر السابق، ص ١٣٥.

ص ٥٧

وأهل بيته وصحابته، وأنت خير أن جناب رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وأهل بيته أهم عندنا أجمعين من جناب ابن تيمية... (١).

وقال :

ودرج المسلمون على تعظيم قرابه ونسب رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم حتى خرج ابن تيمية في القرن الثامن الهجري وكأن بينه وبين النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم وأهل بيته ثأراً، فما وجد من خصيصة من خصائصهم إلا نفاها أو قللها أو صرف معناها، فضلاً عن سوء أدبه في التعبير والكلام عليهم، وما وجد من أمر قد يختلط على العامة إلا وتكلم وزاده تخليطاً، وفي سبيل ذلك نفى ابن تيمية كثيراً جداً من خصائص النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم وفضله وفضائل أهل بيته (٢).

وقال أيضاً في معرض رده على كلام لابن تيمية في الإمام علي بن الحسين زين العابدين:

هذا الإمام العظيم الذي ما من أحد من ذرية الإمام الحسين إلا وقد خرج أو يخرج من صلبه إلى آخر شريف حسيني، يتجزأ عليه ابن تيمية، وكان ابن تيمية أحد جنود يزيد بن معاوية الذين استهتروا بفضيلة أهل البيت وانتقصوهم، وقتلوا الإمام الحسين سيد شباب أهل الجنة أمام عينيه، وكم من مبغض لأهل البيت يريد قتل الحسين وأهل بيته حياً وبعد شهادته، لا يطيق سماع حتى أسمائهم فما بالكم بفضيلتهم (٣).

كما لا ننسى أن الأزهر في مصر كان يمنع كتب ابن تيمية وتابعه ابن القيم، ويقاوم أفكارهما حتى سمح داعية التطوير المراغي شيخ الأزهر المتوفى عام ١٩٤٥م بكتب هؤلاء أن تدخل الأزهر وتعطى للطلبة، وهذا ما ذكره يوسف القرضاوى في مذكراته (٤).

المبحث الثالث مخالفة علماء الوهابية لفتاوى الجميع

أولاً: ابن باز يحدد طول الله تعالى بـ (ستين ذراعاً)

- ١- أخطاء ابن تيمية، الدكتور محمود السيد صبيح، ص ٦.
- ٢- أخطاء ابن تيمية، ص ٦٩.
- ٣- المصدر السابق، ص ١٢٣.
- ٤- ابن القريه والكتاب، يوسف القرضاوى، ج ١، ص ٤٠٩.

لقد أفتى بعض علماء وكبار الوهابية بفتاوى مخالفة لما أصبح في العصر الحاضر من الأوليات بغير علم، ومع ذلك يلزمون الأمة بوجوب العمل بها والاتباع لها، كان من جملتها:

أولاً: ابن باز يحدد طول الله تعالى بـ (ستين ذراعاً)

قال ابن باز في جواب لسؤال وجه له عن صحة حديث أبي هريرة الذي جاء فيه أنه روى:

عن النبي أنه قال: خلق الله آدم على صورته ستون ذراعاً، فهل هذا الحديث صحيح؟

الجواب: نص الحديث: خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً، ثم قال: اذهب فسلم على أولئك نفر، وهم نفر من الملائكة جلوس فاستمع فما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فذهب فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعاً، فلم يزل الخلق تنقص بعده إلى الآن. رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم. وهو حديث صحيح، ولا غرابة في متنه، فإن له معنيان (كذا والصحيح: معنيين): الأول: أن الله لم يخلق آدم صغيراً قصيراً كالأطفال من ذريته، ثم نما وطال حتى بلغ ستين ذراعاً، بل جعله يوم خلقه طويلاً على صورة نفسه النهائية طوله ستون ذراعاً. والثاني: أن الضمير في قوله: (على صورته) يعود على الله بدليل

ما جاء في رواية أخرى صحيحة (على صورة الرحمن) وهو ظاهر السياق، ولا يلزم على ذلك التشبيه فإن الله سَمِيَ نفسه بأسماء سَمِيَ بها خلقه ووصف نفسه بصفات وصف بها خلقه، ولم يلزم من ذلك التشبيه، وكذا الصورة، ولا يلزم من إثباتها لله تشبيهه بخلقها (١).

ثانياً: فتوى الشيخ عبدالله بن محمد في لعبة الكرة

لقد جاء في هذه الفتوى أن الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد طلب من فيصل إزالة المنكر ومنع إقراره، وأن كرة القدم لعب (لم يكن في عهد الخلفاء، ولا ملوك المسلمين ولا في هذه الدعوة المباركة إلى وفاة الشيخ عبد الله). وأن اللعبة مؤامرة (سرت من تلاميذ الغرب، حيث تلقّتها بعض الدول المنحلّة) غرضها ترك الصلاة. وطالبوا ولاية الأمر بمنعها وأن يقيموا مكانها التعليم على آلات الحرب (٢).

المفتى الأسبق الشيخ محمد بن إبراهيم رأى أن (اللعب بالكرة الآن يصاحبه الأمور المنكرة، ما يقضى بالنهاى عن لعبها)؛ لما تنشأ من تحزّبات، ولما بها (من الأخطار على أبدان اللاعبين) (٣).

أمّا الشيخ حمود التويجى فألّف كتاباً في مثل هذه القضايا، ورأيه أن اللعب بالكرة يقوم به (السفهاء في هذه الأزمان)، وهو (من التشبه بأعداء الله) واللعب هذا (من جملة المنكر الذى ينبغى تغييره)؛ (لما فيه من التشبه بالإفرنج)، و (الصدّ عن ذكر الله)، والضرر على اللاعبين، (وأنّ اللعب من الأشر والمرح ومقابلة نعم الله تعالى بضدّ الشكر)، ول (ما فى اللعب بها من اعتياد وقاحة الوجوه وبذاءة الألسن)، و (كشف الأفخاذ، ونظر بعضهم إلى فخذ بعض)، وبالتالي فهى (من اللهو الباطل قطعاً)، وتعلّمها أو تعليمها فى المدارس جهل بلا شك (٤).

ثالثاً: فتوى الشيخ المفتى الأسبق محمد بن إبراهيم بتحريم التصوير

١- فتاوى ابن باز، ج ٤، ص ٣٦٨، رقم ٢٣٣١.

٢- الدرر السنية فى الردّ على الوهابية، السيد أحمد بن زيني دحلان، ج ١٥، ص ٢٠٠.

٣- المصدر السابق، ج ١٥، ص ٢٠٥.

٤- المصدر السابق، صص ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٠، ٢١١ و ٢١٥.

ص ٦١

وهو حرام قطعاً بنظر المشايخ الوهابيين، بل هو (أصل شرك العالم) كله! على حدّ تعبير أحدهم، وأنه استعمل (مشابهاً لأهل الخارج، ولتولية الخونة المرتشئة..) ومن الباطل أن يلزم به كلّ موظف ومتعلم حتّى إنّ صغار المتعلمين يصوّرون ويعلمون التصوير! (١).

ويرى المفتى الأسبق محمّد بن إبراهيم أن «تصوير ما له روح لا- يجوز، سواء في ذلك ما كان له ظلّ وما لا ظلّ له، وسواء كان في الثياب والحيطان والفرش والأوراق وغيرها»، وينطبق الأمر على الصور الشمسية. والمجيزون للتصوير «جمعوا بين مخالفة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفت سموم الفتنة بين العباد» (٢).

والشيخ صالح البليهي أورد ما اعتبره أدلّة عظيمة، ورأى أنّ المسموح به فقط صورة الشجر ورحال الإبل، ونحوها، أمّا صورة الحيوان فضلاً عن الإنسان فحرام في الأصل (٣).

وطالب البليهي المواطن:

أن يحارب الصور في قوله وفعله واعتقاده، ويجب إتلاف ما قدر عليه منها؛ لأنها معصية ومنكر، وإنكار المنكر واجب، وعليه أن لا يدع شيئاً منها يدخل مسكنه، وإن عمّت البلوى بشيء منها، فيجتهد في إزالتها أو طمسها (.. بل وطالب المسؤولين بأن) يسعوا جهدهم مبادرين بمنعها - أي: الصور - عن دخول المملكة، وعن بيعها في الأسواق جهاراً؛ لأنّ ضررها على الدين والمجتمعات الإسلامية عظيم جداً.

إلى أن قال:

ولا شك أنّها من الجيوش الغريبة التي غزتنا في عقر ديارنا ونحن لم نحرك ساكناً من سياسة المبشرين للنصرانية (٤).

والشيخ عبدالله بن حميد يرى:

١- الدرر السنية في الردّ على الوهابية، ج ١٥، ص ٢٩٥.

٢- المصدر السابق، صص ٢٩٨ و ٣٠٣.

٣- المصدر السابق، ص ٣١٠.

٤- المصدر السابق، صص ٣١٤ و ٣١٥.

الصور حرام بكلّ حال، سواء كانت الصورة في ثوب أو بساط أو درهم أو دينار أو فلس أو إناء أو حائط أو غيرها، وسواء ما له ظلّ أو ما لا ظلّ له (١).

ويرى الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن فريان، أنّ التصوير داء عظيم ظهر وانتشر وحدث بسببه الشرك الأكبر في البشرية، واعتبره (الداء القتال) الذي لا يقتل الجسد، بل (يقتل الدين) (٢).

وقال الشيخ متأماً:

وأعظم من هذا وأطم إدخاله - أى: التصوير - في التعليم، والنداء على المصورات بالبيع في المكاتب والدور والأسواق، بل بعض الناس يحمل معه آلة التصوير بجيبه ويصوّر كلما أراد. فقد سهلت يا عباد الله طرق الفساد، فإنّا لله وإنا إليه راجعون (٣).

أمّا الشيخ حمود التويجى، فألف «إعلان النكير على المفتونين بالتصوير» اعتبر فيه التصوير منازعةً لله «فويل للمصوّرين من عذاب السعير، فكلّ مصوّر في النار.. ومن أمر بالتصوير أو رضى به فهو شريك لفاعل هذا الذنب الكبير»!

ووصفه بأنّه (منكر ذميم) موروث من قوم نوح! ومن النصارى! ومن مشركى العرب، وهو (محادةً لله تعالى ولرسوله)، وأضاف (ما يفعله هؤلاء العصاة من تصوير الكبراء، ونصب صورهم في المجالس وغيرها لا يشك عاقل شم أدنى رائحة من العلم النافع أنّه مثل ما فعله قوم نوح...)

والتصوير بنظره (شرك أكبر)، وأنّ من واجب ولاية الأمر (أن يمنعوا رعاياهم من صناعة التصوير، واتخاذها، وأن يطمسوا ما يوجد منها).. وتابع بأنّ الصور (داخلة في مسمى الأصنام) (٤).

رابعاً: الفتوى بتحريم لبس ما اعتاد عليه الإفرنج والأعاجم

١- راجع: الدرر السنية في الردّ على الوهابية، ج ١٥، ص ٣١٧.

٢- راجع: المصدر السابق، صص ٣١٩ و ٣٢٠.

٣- راجع: المصدر السابق، ص ٣٢٣.

٤- المصدر السابق، صص ٣٢٦ - ٣٣٣.

وكتب مجموعة من كبار مشايخ الوهابية إلى الملك يشكون أموراً كثيرة فظيعة بنظرهم! وقالوا له: (وأعظم ما ننصحك به عما رأيناه وسمعناه من المنكرات الفظيعة الشنيعة التى تنقص الإسلام والدين: اللباس الذى هو شعار الإفرنج والترك والأعاجم، ولم يعهد عن الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام تخصيص جندهم بلباس خاص، غير اللباس المعتاد للرعية!)
ورأوا أن (كلّ زى اختص به الكفار يحرم على المسلمين استعماله وموافقتهم فيه) (لأنّ اتّخاذه واستعماله ينقص دين المسلم وهو محرّم، والمشابهة توجب التأثير فى المشابه به...).

ومن الأمور التى اشتكوا منها (تعليمات الجند، التى هى من زى المشركين والأعاجم، وكذلك المزيكه والبرزان التى طقت هذا الأيام فى العود كلّ عصرية... وهى كلّها من شعائر الإفرنج والترك والأعاجم الذين هم أعداء هذه الملة الإسلامية).
وتابعوا: (نحن نبرأ إلى الله أن نوافق على هذه الأفعال، وعدم السكوت عن الإنكار، والبراءة منها ظاهراً وباطناً، ونبرأ إلى الله من فعلها وإقرارها؛ لأنّ إقرارها من إقرار شعار الكفر والشرك) (١).

خامساً: فتوى الشيخ اللحيان بمرمة التعليم فى المدارس

فالشيخ صالح اللحيان، رئيس المجلس الأعلى للقضاء يربط بين ضعف الالتزام وانتشار المدارس!
فيقول: «ففى بلادنا تضعف روح الإسلام، ويخف سلطانه على النفوس عند المتعلمين، ويتسع هذا الضعف يخف ذلك السلطان بقدر ما يتسع التعليم وتنتشر المدارس» (٢).

والشيخ عبدالله بن حميد كتب إلى وزير المعارف رأيه بأنّ سبب الجهل بالدين يعود إلى

١- الدرر السنية فى الردّ على الوهابية، ج ١٥، صص ٣٦٤ - ٣٦٦.

٢- المصدر السابق، ج ١٦، صص ٥٠ و ٥١.

«هذه الفنون المعوقة كالرسوم والأشغال والرياضة البدنية والألعاب الأخرى»(١).

وقال الشيخ عبدالله سليمان بن حميد:

كثيراً ما نسمع كلمات حول تعليم البنات، وفتح مدارس لهن، وكنا بين مصدق ومكذب حتى تحقق ذلك رسمياً، فاستغربنا هذا، وأسفنا له غاية الأسف... وإني أنصح لكل مسلم: أن لا يدخل ابنته أو أخته فى هذه المدارس التى ظاهرها الرحمة، وباطنها البلاء والفتنة، ونهايتها السفور والفجور وسقوط الأخلاق والفضيلة.
وأضاف قائلاً:

فجأنا خبر فادح، ومصيبة عظيمة، وطامة كبرى، ألا وهى: فتح مدارس لتعليم البنات... أيها المسلمون: يا أهل الغيرة والأنفة، اسمعوا لهذا التصريح الشنيع الذى يقصد منه.. مجارة الأمم المنحلّة فى تعليم بناتكم الحساب والهندسة والجغرافيا، ما للنساء وهذه العلوم، تضاف إلى ما يزيد عن أحد عشر درساً غالباً لا- فائدة فيها، إنها لمصيبة وخطر على مجتمعنا. إن تعليم المرأة... خطر عظيم على المجتمع، ومصيبة لا تجبر، وعاقبته سيئة؛ إن تعليم المرأة سبب لتمردها، وهن ناقصات عقل ودين(٢).

ورأى الشيخ نفسه (الذين يتعلمون فى مدارس الإفرنج) مثل تاركى الصلاة ليس لهم عدالة، ولا يقبل لهم قول، ويجب على المسلمين هجرهم! لماذا؟ لأنّ (التلميذ على عقيدة أستاذه ودينه وأخلاقه)، وصبّ جام غضبه على (هذه العلوم العصرية، وهى مبادئ الإلحاد ومقدماته)(٣).

وهناك الكثير من الفتاوى الوهابية، التى تستوقف القارئ لما يطالعها، ويتأمل كيف سمح هؤلاء لأنفسهم أن يفتوا بغير علم ولا دليل شرعى؟! ما هى أدلتهم إلا استحسانات وقياسات واهية، خصوصاً وأنه لم يجدوا لها أذناً صاغية فى الأوساط الإسلامية، حتى البلد

١- الدرر السنية فى الرد على الوهابية، ج ١٦، ص ١٥.

٢- المصدر السابق، صص ٧١، ٧٤، ٧٨، ٨٠، ٨٣.

٣- المصدر السابق، ج ١٥، ص ٤٨٩.

ص ٦٥

الذى ينطلق منه هذه الفتاوى، فإنها لم تكن فى يوم من الأيام تقاطع العالم فى لعبة كرة القدم، أو تعليم أبنائها سائر الفنون واللغات، وارتداء الملابس، وتقديم هدايا الزهور للمرضى؛ إذ هناك فتاوى تحرم شراء الزهور وتقديمها كهديّة للمريض فى المستشفى، كما أنّ هناك فتاوى تحرم لبس البنطلون على شباب، وتعدّها بدعة وتشبيه لأهل الكفر، مضافاً إلى وجود فتاوى تحرم تعلّم اللغات غير العربية، أو العمل والتعاقد مع الشركات الأجنبية، فضلاً عن استخدام وسائل المعرفة والتكنولوجية الحديث فى مختلف المجالات الحياتية، وغيرها مما لم ينزل الله فيها من سلطان، فهل هذا إلّا التحجّر والجمود والرجوع بنا إلى العصور الحجرية، متى كان الإسلام محارباً للعلم والتعلّم، وللّفكر والتفكّر، وللتقدّم والتطور؟!!!

المبحث الرابع علماء أهل السنة يكفرون الوهابية

إشارة

هذا ما سنذكره من خلال البحث؛ إذ سننقل لك قطرة من بحر تمثله مجموعة الأسفار التي قد خطتها أنامل علماء الدين ومفكره من ذوى الفكر والعقيدة؛ بهدف الحيلولة دون انتشار هذه العقيدة الفاسدة فى الأوساط والمجتمعات الإسلامية، فكان من بين تلك الأعلام التى تصدّت بشدة وحزم ووقفت حائلاً بوجه هذه الفرقة المبدعة والجماعة الدينية المسيّسة من قبل أعداء الدين؛ لضرب الدين من داخل أهله، حتى باتت هذه الكلمات التى سطرتهأ أقلامهم فى متون هذه الأسفار شاهداً حياً يواكب المسيرة الإنسانية الدينية على مدى التاريخ، لكى لا يترك للشك والريب فيه مجال؛ خصوصاً وأنّ أوّل من تصدى وكتب عنها هو من نقلنا عنه سابقاً الشيخ سليمان بن عبد الوهاب، الذى كان على مقربة ومعرفة كاملة وتامة بصاحب هذه الدعوة ومؤسسها؛ انطلاقاً من الإحساس بالمسؤولية والحمية والغيرة الدينية؛ وتعبيراً عن تخوفه من نتائج ومعطيات هذه الحركة الوخيمة على مستقبل الأمة ودينها.

وهو بذلك يمثّل أروع الصور فى الدفاع عن عقيدته التى طالما دعا إليها وبلغ لها، وهو يرى من يحاول زعزعة عقائد الناس فيها؛ فما كان عليه إلّا أن يكشف عن أهداف هذه الدعوة المبطنة المزيفة، وهو علم من أعلام المذهب الحنبلى المعروف فى الأوساط الإسلامية، فوقف وقفه رجل مؤمن ومدافع عن عقيدته بوجه أخيه وحركته المبتدعة فى الأمة الإسلامى

المبطنه بلباس النفاق، فبدأ بحركته ناصحاً لأخيه، ومحدّراً إياه من النتائج الوخيمة لعمله، ومنذراً للآخرين من مغبّة الاعتراض بتعالى صيحات دعوى التمسك بالسلف الصالح، ودعوى الناس إلى التوحيد ونبد الشرك والثنية؛ لأنها فى واقعها محاربة وناقضة لكلّ ما كان عليه السلف من أهل السنّة والجماعة.

وها نحن إذ ننقل مرّة أخرى قطرة من بحر كلماته وكلمات علماء أهل السنّة المدافعين عن عقيدة أهل السنّة، والواقفين بوجه هذه الحركة التى اتسمت فيما بعد باسم مؤسسها محمّد بن عبدالوهاب، حيث عرفت باسم الوهابية، متسترةً بستار أهل السنّة والجماعة، والسلف الصالح؛ وكان فى واقع هذه الحركة هو إحياء ما كان عليه ابن تيمية الحرانى من عقيدة فاسدة ظاهرة المعالم لدى أبناء الأمة الإسلامية عدا الوهابية التى عميت قلوبهم قبل عيونهم؛ فبدأوا لا يرون إلّا ما يراه الخفّاش فى رابعة النهار.

مناظرة سليمان لأخيه مؤسس الحركة

لقد جرى بين محمّد بن عبد الوهاب وأخيه عالم أهل السنّة سليمان الحنبلى، حوار لطيف، يكشف عن عمق مخالفة مؤسس هذه الحركة لما عليه أهل السنّة والجماعة، حيث جاء فيها:

قال سليمان لأخيه: كم أركان الإسلام يا محمّد بن عبد الوهاب؟

فقال: خمسة.

فقال سليمان: أنت جعلتها ستة، والسادس من لم يتبعك فليس بمسلم، وهذا عندك ركن سادس.

أقول: هذا يكشف عن عظمة البدعة التى جاء بها محمّد بن عبدالوهاب، وهى أشبه بدعوى النبوة من جديد؛ إذ ما جاء به لم يؤمن به عامة المسلمين، بل تراه مخالفاً لدين الله وشريعته، فى الوقت الذى يرى مؤسسها أنّه على الحقّ وأنّ جميع من خالفه على الباطل والكفر والشرك.

نعم، على الكفر بما جاءت به هذه الجماعة لا الكفر بالدين الإسلامى ومقدساته.

نعم، هم لا- يؤمنون بأباطيل محمد بن عبد الوهاب وبدعه التى يدعو لنشرها ووجوب الاعتقاد بها لا غير، وما توجهه من إثارة الفتنة والفرقة بين الأمة الإسلامية!!

ولمّا يجد بدأ قام سليمان بن عبد الوهاب عالم السنّة ومتّبع المذهب الحنبلى، بتأليف كتب فى الردّ على الوهابية؛ وذلك لما رأى النصح لا- يجدى مع أخيه، كان من جملتها رسالته المعروفة بعنوان (الصواعق الإلهية فى الردّ على الوهابية)، وأخرى سمّاها (فصل الخطاب فى الردّ على محمد بن عبد الوهاب).

وقد ذكر فى جملة ما كتبه فى رسالته (الصواعق الإلهية فى الردّ على الوهابية)، ما بيّن فيها الجهل الذى عليه محمد بن عبد الوهاب: لو ذهبنا نحكى عن الإجماع لطال، وفى هذا كفاية للمسترشد، وإتّما ذكرت هذه المقدمة لتكون قاعدة يرجع إليها فيما نذكره، فإنّ اليوم ابتلى الناس بمن ينتسب إلى الكتاب والسنّة ويستنبط من علومها ولا يبالي من خالفه، وإذا طلبت منه أن يعرض كلامه على أهل العلم لم يفعل، بل يوجب على الناس الأخذ بقوله وبمفهومه، ومن خالفه فهو عنده كافر، هذا وهو لم يكن فيه خصلة واحدة من خصال أهل الاجتهاد ولا والله عشر واحدة، ومع هذا فراج كلامه على الكثيرين من الجهّال (.)

وقال فيها أيضاً:

وأما هذه الأمور التى تكفّرون بها المسلمين فلم يسبقكم إلى التكفير بها أحد من أهل العلم، ولا عدّوها فى المكفّرات، بل ذكرها من ذكرها منهم فى أنواع الشرك، وبعضهم ذكرها فى المحرّمات، ولم يقل أحد منهم: إنّ من فعله فهو كافر مرتد... (.)

ونحن بدورنا ننصح أخواننا من أبناء أهل السنّة بمطالعة هذين الرسالتين بتدبّر وتأمل، فالرائد لا يكذب أهله، وإنّى لأرى النصيحة مجديّة فى أهلها.

ص ٧٠

قال له رجل من علماء أهل السنة: ما تقول إذا أخبرك رجل صادق ذو دين وأمانة، وأنت تعرف صدقه بأنّ قوماً كثيرين قصدوك، وهم وراء الجبل الفلاني، فأرسلت ألف خيال ينظرون القوم الذين وراء الجبل، فلم يجدوا أثراً ولا أحداً منهم، بل ما جاء تلك الأرض أحد منهم، أتصدّق الألف أم الواحد الصادق عندك؟
فقال: أصدّق الألف.

فقال له: إنّ جميع المسلمين من العلماء الأحياء والأموات في كتبهم يكذبون ما أتيت به ويزيفون، فنصدّقهم ونكذبك.
فسكت ولم يحر جواباً!!

وبذلك قام ببطلان دعوته بنفسه، حيث حكم بوجوب تكذيب نفسه، وإن كان في غيرها صادقاً وأميناً قبل ذلك إلا في هذه الدعوة الأخيرة؛ لشهادة الجميع والواقع الخارجى بأنه كاذب، فتأمل جيداً بهذه النتيجة.

موقف علماء أهل السنة من أباطيل الوهابية

لقد كان في طليعة الذين قاموا بالردّ على الوهابية، ووقفوا بوجه هذه التكفيرات والدعوات الباطلة التي يدعو إليها محمّد بن عبد الوهاب، جماعة كثيرة من علماء وكبار أهل السنة؛ وذلك عندما أدركوا خطر هذه الفرقة والجماعة، التي تهدف إلى تمزيق وحدة الأمة الإسلامية بإثارة الفتنة بين أبنائها. وممن ألّف في الردّ على ابن عبد الوهاب الشيخ محمّد بن سليمان الكردي مؤلّف كتاب (حواشى شرح ابن حجر على متن بأفضل)، وهو من مشايخ محمّد بن عبد الوهاب، حيث قام بواجبه الديني تجاه أحد تلامذته، بإبداء النصح له والوعظ، حيث قال:

يا بن عبد الوهاب سلام على من اتّبع الهدى، فإنّي أنصحك الله أن تكفّ لسانك عن المسلمين، فإن سمعت من شخص أنّه يعتقد تأثير ذلك المستغاث به من دون الله تعالى

فعرّفه الصواب، وأبّن له الأدلة على أنه لا- تأثير لغير الله، فإن أبي فكفّره حينئذ بخصوصه، ولا سبيل لك إلى تكفير السواد الأعظم من المسلمين، وأنت شاذّ عن السواد الأعظم (١).

وهذا يعنى أن محمد بن عبد الوهاب قد تناول بكلامه، وتجاوز حدّه، في اتّهام المسلمين وتكفيرهم.

وقال زين دحلان (٢)، وهو من أئمة المذهب الشافعي من أهل السنّة:

ومما كان منهم أنهم يمنعون الناس من طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم مع أن أحاديث شفاعته النبي صلى الله عليه وسلم لأئمته كثيرة متواترة، وأكثر شفاعته لأهل الكبائر من أمته، وكانوا يمنعون من قراءة دلائل الخيرات المشتملة على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ذكرها كثير من أوصافه الكاملة، ويقولون: إن ذلك شرك ويمنعون من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم على المنابر بعد الأذان حتى أن رجلاً صالحاً كان أعمى، وكان مؤذناً وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الأذان بعد أن كان المنع منهم، فأتوا به إلى ابن عبد الوهاب فأمر به أن يقتل فقتل، ولو تبعت لك ما كانوا يفعلونه من أمثال ذلك لمألت الدفاتر والأوراق، وفي هذا القدر كفاية، والله سبحانه وتعالى أعلم (٣).

وهو بذلك يريد أن يبين حقيقة، هي أن هذه الحركة جاءت لطمس ذكر النبي محمد ٩ ودينه باسم الدين الإسلامي وشعاره، وأبى الله إلا أن يتم نوره (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) [التوبة: ٣٢]، وهم بذلك يتبعون ما كان عليه بنو أمية من سياسة غاشمة في طمس هذا الذكر العلي الحميد لمحمد وآل محمد.

١- خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، لأحمد زين الدين دحلان الشافعي، ج ٢، ص ٢٦٠.

٢- هو أحمد بن زين بن أحمد دحلان المكي، الشافعي. فقيه، مؤرخ، شارك في أنواع من العلوم، مفتى السادة الشافعية بمكة المعظمة، وشيخ الإسلام. ولد بمكة سنة ١٢٣١هـ وتوفى بالمدينة في المحرم سنة ١٣٠٤هـ. وله مؤلفات كثيرة مطبوعة متداوله، منها: الأزهار الزينية في شرح متن الألفية، وتاريخ الدول الإسلامية بالجدول المرضية، وفتح الجواد المنان على العقيدة المسماة بفيض الرحمن، والدرر السنية في الرد على الوهابية، ونهل العطشان على فتح الرحمن في تجويد القرآن، وخلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام، والفتوحات الإسلامية، إلى غير ذلك. ومنها هذا الكتيب الذي نقل منه فتنة الوهابية آملين أن يستفيد القراء منه، والله من وراء القصد.

٣- فتنة الوهابية، زين الدين دحلان، ص ٢٠.

فليس غريباً أن تجدهم بعد ذلك يدافعون ويترضون على أمير الفاسقين يزيد بن معاوية (عليه لعائن الله وملائكته والمؤمنين)، وهم بأفعالهم هذه ينتهجون النهج اليزيدي في تمزيق وقتل علماء وشرفاء هذه الأمة، وإلا فبأيّ ذنب يقتل رجل مأمور من قبل الله ورسوله بالصلاة على نبيه محمد، فإن لم يكن ما في الكتب الصحاح المعتمدة لأهل السنة كفاية على ذلك، فدونك كتاب الله تعالى الذي جاء فيه: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [الأحزاب: ٥٦]، فلقد انقلبت الموازين الشرعية عند هؤلاء، فأصبحت عندهم الأوامر نواهي، والنواهي أوامر، وصاروا البدعة سنة، والسنة بدعة، فما أحلم الله عليهم، وأصبر علماء الدين عليهم وعلى أفكارهم!!

فلا نستغرب بعد كل هذا أن يأتي اليوم من ينتهج هذا النهج العدائي من أسلاف

بنى أمية، فالحقد دفين، والجهل عقيم!

وفى قصيدة قالها الصنعاني وهو من علماء السنة وكبارهم، بعدما كتبها في مدح محمد بن عبد الوهاب قبل استبيان أمره، ثم بعد ذلك عرف ما عليه الرجل وما يريد بدعوته:

رجعت عن القول الذي قلت في النجيب فقد صح لي عنه خلاف الذي عندي

إلى أن قال مبيناً علّة رجوعه:

وقد جاءنا من أرضه الشيخ مربد

فحقق من أحواله كل ما بيدي

وقد جاء من تأليفه برسائل

يكفر أهل الأرض فيها على عمد

ولفق في تكفيرهم كل حجة

تراها كبيت العنكبوت لدى النقد(١)

فكان من الطبيعي أن يقوم علماء أهل السنة، عملاً بواجبهم الشرعي وما يتطلبه مذهبهم ودينهم، من القيام بالوعظ والإرشاد والتحذير من كل ما يخاف منه على الدين وأهله، وهذا ما قام به علماء السنة أداءً للواجب الديني والأخلاقي تجاه أتباعهم ومن يعتقدون بوجوب طاعتهم والسماع لهم، وقد قام بهذا الدور جماعة من أصحاب الفتوى والرأى، نذكر منهم:

أولاً: مفتى الحنابلة

١- نقلاً عن: كشف الارتباب في أتباع محمد بن عبد الوهاب، محسن الأمين، ص ١٥.

ص ٧٣

هو الشيخ محمّد بن عبدالله النجدي الحنبلي (المتوفى ١٢٩٥هـ) في كتابه (السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة)، وقد جاء في تحذيره وهو يقوم بترجمة إمام وعالم من علماء الحنابلة، وهو والد محمّد صاحب الدعوة التي انتشر شررها في الآفاق، لكن محمّداً لم يتظاهر بالدعوة إلّا بعد موت والده، وأخبرني بعض من لقيته عن بعض أهل العلم عمّن عاصر الشيخ عبدالوهاب هذا، أنّه كان غضبان على ولده محمّد؛ لكونه لم يرض أن يشتغل بالفقه كأسلافه وأهل جهته، ويتفرّس فيه أن يحدث منه أمر، فكان يقول الناس: ما ترون من محمّد من الشر، فقدّر الله أن صار ما صار (١).

ثانياً: الإمام ابن عابدين الحنفي

قال في كتابه (ردّ المحتار على الدر المختار):

مطلب في أتباع ابن عبد الوهاب الخوارج في زماننا، قوله: (ويكفرون أصحاب نبينا ٩) علمت أن هذا غير شرط في مسمّى الخوارج، بل هو بيان لمن خرجوا على سيّدنا على رضی الله تعالى عنه، وإلّا فيكفي فيهم اعتقادهم كفر من خرجوا عليه، كما وقع في زماننا في أتباع عبدالوهاب الذين خرجوا من نجد وتغلّبوا على الحرمين وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة، لكنهم اعتقدوا أنّهم هم المسلمون وأنّ من خالف اعتقادهم مشركون، واستباحوا بذلك قتل أهل السنّة وقتل علمائهم، حتّى كسر الله تعالى شوكتهم وخرب بلادهم وظفر بهم عساكر المسلمين عام ثلاث و ثلاثين ومائتين وألف (٢).

ثالثاً: الشيخ أحمد الصاوي المالكي

جاء في تعليقه على كتاب (الجلالين):

١- راجع: كتاب السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، وهو من الكتب المعترضة حتّى عند كبار الوهابية، حيث علّقوا عليه ببعض التعليقات، ووصفوه بأفضل ما كتب في تراجم الحنابلة، مع إشكالهم عليه بما ذكره في حقّ محمّد بن عبدالوهاب، باعتباره مؤسس هذه الفكرة والجماعة، فمن الصعب جداً أن يتقبّلوا نقده والاعتراض عليه، وهم ينظرون إليه نظر المجدد، كما جاء في تعليقه ابن عثيمين عليه.

٢- حاشية ردّ المحتار، ابن عابدين، ج ٤، ص ٤٤٩.

وقيل هذه الآية نزلت في الخوارج الذين يحرفون تأويل الكتاب والسنة، ويستحلون بذلك دماء المسلمين وأموالهم، كما هو مشاهد الآن في نظائرهم، وهم فرقة بأرض الحجاز يقال لهم الوهابية: يحسبون أنهم على شيء!! ألا إنهم هم الكاذبون (استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) (المجادلة: ١٩) نسأل الله الكريم أن يقطع دابرهم (١). وبعد هذه المقدمة نقل فتوى شيخهم الذين يزعمون أنه شيخ الإسلام، وصاحب منهج أهل السنة، في الفتوى الرابعة لتكون قاسمته لظهر مدعى الخلاف والابتداع.

رابعاً: فتوى ابن تيمية

وهذه الفتوى في الواقع تنقض على أتباع محمد بن عبد الوهاب في تكفيرهم للمسلمين، حيث قال فيها: «إن من والى موافقيه وعادى مخالفه، وفرق جماعة المسلمين، وكفر وفسق مخالفه في مسائل الآراء والاجتهادات، واستحل قتالهم، فهو من أهل التفرق والاختلاف» (٢).

أقول: ويكفي في إثبات ذلك قتل الآلاف من أهل السنة بسيف الوهابية سواء من كان من أهل الحجاز ونجد أو غيرها من البلدان الإسلامية، وتكفيرهم للمذاهب والفرق الإسلامية ما عدا أتباعهم من الوهابية، وكما مر علينا نقل بعض علماء أهل السنة عن أفعالهم الشنيعة المخالفة لأهل الدين والملة.

خامساً: مقدمة كتاب (ضلالات الوهابية وجهالة المتوهبين)

لقد جاء في مقدمة كتاب الحاج عيدان تونس بن الحاج وصيف أحد علماء الشافعية بالأزهر، حيث كتب فيها:
 اما وقد قام الوهابيون النجديون، وأشياعهم الجاهلون في زماننا هذا بنشر الفتنة مبحث

١- حاشية على تفسير الجلالين، أحمد بن محمد الصاوي المالكي، ج ٥، ص ٧٨، في تفسير قول الله تعالى: إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ، فاطر الآية ٦، نقلاً عن المرقاة النجدية، ص ٦.

٢- مجموع الفتاوى، ج ٣، ص ٣٤٩.

ص ٧٥

التلقين في دين الإسلام في كلّ مكان، وإنكار ما عليه عمل الأئمة الأعلام، فقد وجب علينا بيان أصلهم، والسبب الداعي إلى ابتداعهم، كما شرعنا بتوفيق الله في تأليف كتاب للردّ عليهم سمي بـ (ضلالات الوهابية وجاهالة المتوهبين) (١).

سادساً: الشيخ السنّي الحنبلي سليمان بن سميم

قال في محمّد بن عبد الوهاب:

ومن لم يوافق في كلّ ما قال، ويشهد أنّ ذلك حقّ يقطع بكفره، ومن وافقه وصدّقه في كلّ ما قال، قال أنت موحد ولو كان فاسقاً محصناً (٢).

سابعاً: الشيخ عثمان بن منصور الحنبلي السلفي النجدي

قال: «قد ابتلى الله أهل نجد، بل جزيرة العرب من خرج عليه وسعى بالتكفير للأمة خاصّة بها وعمّتها... بتلفيقات ما أنزل الله بها من سلطان» (٣).

ثامناً: الشيخ ابن عفاق الحنبلي

يقول عن الشيخ محمّد بن عبد الوهاب: «حلف يميناً فاجرة بأن اليهودية والمشركين أحسن حالاً من هذه الأمة» (٤).

تاسعاً: الشيخ السنّي الحداد الحضرمي

قال:

وإذا أراد رجل أن يدخل في دينه فيقول له: اشهد على نفسك أنّك كنت كافراً، واشهد

١- نور اليقين في مبحث التلقين، للحاج عيدان تونس، المقدّمة، نقلاً عن ملحق البراهين الجلية، للسيد المرتضى الرضوي، ص ٣٦.

٢- دعوى المناوئين، الدكتور عبدالعزيز العبد اللطيف، ص ١٦٤.

٣- المصدر السابق، ص ١٦٦.

٤- المصدر السابق، ص ١٦٥.

على والديك أنهما ماتا كافرين، واشهد على العالم الفلاني والفلاني أنهم كفار... فإن شهد بهذا قبله و إلا قتله(١).

عاشراً: فتوى الحافظ أبو الحسن الأشعري

لقد أفتى الشيخ أبو الحسن الأشعري بتكفير من يعتقد بأن الله جسم في كتابه (النوادر)، قال فيها: «من اعتقد أن الله جسم فهو غير عارف بربه وأنه كافر به»(٢).

أقول: الوهاية هم ممن يشددون على لزوم الاعتقاد والقول بأن الله تعالى جسماً كما وصف نفسه في القرآن الكريم من الأوصاف التي يسميها أهل الكلام بالصفات الخبرية، كالإخبار بأن له يداً ووجهاً، وساقاً ونحوها من الأعضاء التي يتصف بها الإنسان، حيث قاموا بجريانها عليه بلا تأويل يتناسب وتنزيهه عن الجسمية والمكانية والجهة.

الحادي عشر: فتوى الشيخ عبد الغنى النابلسي

لقد أفتى في كتابه (الفتح الرباني)، حيث قال بتكفير كل من يعتقد بأن الله تعالى في جهة أو له جسم: «من اعتقد أن الله ملأ السماوات والأرض أو أنه جسم قاعد فوق العرش، فهو كافر، وإن زعم أنه مسلم»(٣).
شواهد من القول بالتجسيم

جاء في كتاب (مجموع الفتاوى) لابن تيمية، قوله: «إن محمداً رسول الله يجلسه ربه على العرش معه»(٤).
ثم ينقل هذا القول ابن القيم الجوزية عن مجاهد في كتابه (شرح القصيدة النونية).

١- دعوى المناوئين، ص ١٦٤.

٢- راجع: كتاب النوادر، للشيخ أبو الحسن الأشعري، ص ٤٣١.

٣- الفتح الرباني، ص ١٢٤.

٤- مجموع الفتاوى، ج ٤، ص ٣٧٤.

ص ٧٧

وقال فيه أيضاً: «إذا جلس تبارك وتعالى على كرسى سمع له أطيظ كأطيظ الرجل الجديد»^(١).
قال الهيثمي:

وعن عمر يعنى ابن الخطاب قال أتت امرأة النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: ادع الله أن يدخلني الجنة قال: فعظم الرب تبارك وتعالى وقال: إن كرسيه وسع السماوات والأرض، وإنه له أطيظ كأطيظ الرجل الجديد إذا ركب من ثقله. رواه أبو يعلى في الكبير، ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن خليفة الهمداني وهو ثقة^(٢).

وهذا بعينه يؤيد ما ذهب إليه ابن القيم الجوزية بالقول بالتجسيم، حيث قام بتصحيح هذه الرواية الصريحة في التجسيم، وما هذا إلا مخالفة صريحة للقرآن الكريم الذي ينزه الباري عز وجل عن الجسمية والمادية، كما أنه مخالف للعقل والعلم الذي يرى أن كل مادي قابل للفناء والزوال والتغير بلا أدنى شك.

ويقول ابن عثيمين، وهو من كبار الوهابية المعاصرين: «فإن ظاهرة ثبوت إتيان الله هروله، هذا الظاهر ليس ممتنعاً على الله فيثبت الله حقيقة»^(٣).

الثاني عشر: الحافظ السبكي

وهو من كبار علماء أهل السنة في الرد على مبتدعات ابن تيمية، حيث كتب في مقدمته كتابه (الدرة المضيئة في الرد على ابن تيمية) ما هذا لفظه:

أما بعد، فإنه لما أحدث ابن تيمية في أصول العقائد، ونقض من دعائم الإسلام الأركان والمعاهد. بعد أن كان متستراً بتبعية الكتاب والسنة، مظهراً أنه داع إلى الحق، هاد إلى الجنة، فخرج عن الاتباع إلى الابتداع، وشد عن جماعة المسلمين بمخالفة الإجماع، وقال بما يقتضى الجسمية والتركيب في الذات المقدسة، وأن الافتقار إلى الجزء ليس بمحال، وقال

١- راجع: شرح القصيدة النونية، ابن القيم الجوزية.

٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج ١، ص ٨٤، وج ١٠، ص ١٥٩.

٣- فتاوى العقيدة، ابن عثيمين، ص ١١٤.

بحلول الحوادث بذات الله تعالى وأن القرآن محدث تكلم الله به بعد أن لم يكن، وأنه يتكلم ويسكت، ويحدث فى ذاته الإرادات بحسب المخلوقات وتعدى فى ذلك إلى استلزام قدم العالم، والترم بالقول بأنه لا أول للمخلوقات، فقال بحدوث لا أول لها، فأثبت الصفة القديمة حادته، والمخلوق الحادث قديما، ولم يجمع أحد هذين القولين فى مله من الملل، ولا نحلّه من النحل، فلم يدخل فى فرقه من الفرق الثلاث والسبعين التى افتقرت عليها الأمة، ولا وقفت به مع أمة من الأمم همة وكل ذلك وإن كان كفراً شنيعاً، لكنّه تقل جملته بالنسبة إلى ما أحدث فى الفروع (١).

أما أبو بكر الحصينى الدمشقى فيقول:

فاعلم أنّى نظرت فى كلام هذا الخبيث الذى فى قلبه مرض الزيف، المتتبع ما تشابه من الكتاب والسنة ابتغاء الفتنة، وتبعه على ذلك خلق من العوام وغيرهم ممن أراد الله عزوجل إهلا-كه، فوجدت فيه ما لا- أقدر على النطق به، ولا- لى أنامل تطاوعنى على رسمه وتسطيره، لما فيه من تكذيب رب العالمين، فى تنزيهه لنفسه فى كتابه المبين، وكذا الأزدراء بأصفيائه المنتخبين وخلفائهم الراشدين، وأتباعهم الموقفين، فعدلت عن ذلك إلى ذكر ما ذكره الأئمة المتقون، وما اتفقوا عليه من تبعيده وإخراجه ببغضه من الدين (٢).

قد أجمل الشيخ المولوى عبد الحلیم الهندى فى (حلّ المعاهد حاشية شرح العقائد) كل الاعتراضات حول الشيخ قائلاً:

كان تقى الدين ابن تيمية حنبلياً لكنّه تجاوز عن الحدّ، وحاول إثبات ما ينافى عظمة الحقّ تعالى وجلاله، فأثبت له الجهة والجسم، وله هفوات آخر، كما يقول: أن أمير المؤمنين سيّدنا عثمان ٢ كان يحب المال، وأن أمير المؤمنين سيّدنا علياً ٢ ما صحّ إيمانه؛ فإنه آمن فى حال صباه. تفوّه فى حقّ أهل بيت النبىّ صلى الله عليه وعليهم ما لا- يتفوّه به المؤمن المحقّق، وقد وردت الأحاديث الصحاح فى مناقبهم، وانعقد مجلس فى قلعه الجبل، وحضر العلماء الأعلام والفقهاء العظام ورئيسهم قاضى القضاة زين الدين المالكى وحضر ابن

١- الدرّ المضيئة فى الردّ على ابن تيمية، السبكى، ص ٥، المقدمة.

٢- دفع شبهة من شبه وتمرد، أبو بكر الحصينى الدمشقى، ص ٢١٦.

ص ٧٩

تيمية، فبعد القيل والقال بهت ابن تيمية وحكم قاضي القضاة بحبسه سنة ٧٠٥هـ، ثم نودي بدمشق وغيرها من كان على عقيدة ابن تيمية حلّ ماله ودمه... (١).

شمس الدين الذهبي مؤرخ الشام ومحدّثها الكبير (ت ٧٤٨هـ) والذي بعث لابن تيمية رسالة ينصحه فيها، ومما جاء فيها: الحمد لله على ذلتي يا ربّ ارحمني وأقلني عثرتي، واحفظ عليّ إيماني، وا حزناه على قلّة حزني، وا أسفاه على السنّة وذهاب أهلها... إلى كم ترى القذاة في عين أخيك وتنسى الجذع في عينك؟! إلى كم تمدح نفسك وشقاشقك وعبارتك وتذمّ العلماء وتتبع عورات الناس؟! مع علمك بنهي الرسول ٩: (لا- تذكروا موتاكم إلا- بخير، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا) بل أعرف أنّك تقول لي لتنصر نفسك... يا رجل بالله عليك كفّ عنّا، فإنّك محجاج عليم اللسان لا تقر ولا تنام، إياكم والغلوّات في الدين، كره نبيك ٩ المسائل وعابها ونهى عن كثرة السؤال وقال: (إنّ أخوف ما أخاف على أمتي كلّ منافق عليم اللسان) وكثرة الكلام بغير زلل تقسى القلب إذا كان في الحلال والحرام فكيف إذا كان في عبارات اليونانية والفلاسفة وتلك الكفرات التي تعمى القلوب؟! والله قد صرنا ضحكة في الوجود، فإلى كم تنبش دقائق الكفرات الفلسفية؟ لنرد عليها بعقولنا؟! يا رجل، قد بلعت سموم الفلاسفة وتصنيفاتهم مرّات، وكثرة استعمال السموم يدمن عليه الجسم (٢).

ويقول اليافعي في مرآة الجنان:

كان ابن تيمية يقول: (إنّ الله على العرش استوى) استواء حقيقة. وأنّه يتكلّم بحرف وصوت. وقد نودي في دمشق وغيرها: من كان على عقيدة ابن تيمية حلّ ماله ودمه.

وقال في حوادث (سنة ٧٢٨ هـ): وله مسائل غريبة أنكر عليها، وحبس بسببها مباينة لمذهب (أهل السنّة) ثمّ (عدّ له) قبائح، قال: ومن أقبحها نهيّه عن زيارة النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم (٣).

الفصل الثالث تباين المواقف بين علماء أهل السنة والوهابية من الإمامية

المبحث الأول علماء السنّة المنصفون يشنون على المذهب الإمامي

١- نقلاً عن: كشف الارتباب في أتباع محمّد بن عبد الوهاب، محسن الأمين، ص ١٢٢.

٢- نقلاً عن: السلفية بين أهل السنّة والإمامية، محمّد الكثيري، ص ٢٤٠.

٣- مرآة الجنان، اليافعي، ج ٤، ص ٢٧٧.

المبحث الأول علماء السنة المنصفون يثنون على المذهب الإمامي

إلى جانب التكفيرات والافتراءات والأكاذيب على الشيعة الإمامية، نسمع أصداء لعلماء السنة المنصفين من غير الوهابية يمتدحون بها المذهب الإمامي؛ لأنهم يدركون ويعلمون ما عليه أتباع هذا المذهب من إظهار الاتباع والمحبة والطاعة لأهل البيت: الذين أوصى بهم نبي الأئمة خيراً، وأمر بوجوب التمسك بهم في مواطن متعددة، ولو لم يبق من هذه الوصايا إلّا حديث الثقلين المتواتر عند الفريقين لكفى، كيف وقد صحت عندهم العديد من الروايات الأخرى بهذا الخصوص، وهنا سنقوم بنقل آراء المنصفين لهؤلاء المفكرين والعلماء من أهل السنة، ثم نقوم بنقل أقوال بعض كبار أهل السنة القائلين بوجوب التمسك بمذهب أهل البيت: المخصوصين بالذكر من قبل الله تعالى ورسوله الأكرم محمد، وإليك بيان ذلك:

قال الشيخ والأستاذ الأكبر شيخ الأزهر محمود شلتوت:

إنّ الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه اتباع مذهب معين، بل نقول إنّ لكلّ مسلم الحقّ في أن يقلّد بادئ ذي بدء أيّ مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً، والمدونة أحكامها في كتبها الخاصّة، ولمن قلّد مذهباً من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره - أيّ مذهب كان - ولا حرج عليه في شيء من ذلك.

ص ٨٤

وقال أيضاً:

إنّ مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية مذهب يجوز التّعبد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنّة، فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك، وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحقّ لمذاهب معيّنة، فما كان دين الله وما كانت شريعته بتابعة لمذهب أو مقصورة على مذهب، فالكلّ مجتهدون مقبولون عند الله تعالى، يجوز لمن ليس أهلاً للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقررونه في فقههم، ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات.

فتوى صدرت عن مكتب شيخ الجامع الأزهر

بتاريخ ١٧ ربيع الأول سنة ١٣٧٨هـ

ثمّ أكّد فتواه مفتى مصر في جواب لسؤال كتب له:

نصّ السؤال:

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الأستاذ الدكتور فريد واصل نصر مفتى الديار المصرية، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نرجو من سماحتكم أن تعطونا رأيكم الشريف في اقتداء أصحاب المذاهب بمن يتقلد بمذهب أهل البيت: من الشيعة الإمامية الاثني عشرية، هل يصح ذلك أم لا؟

١٦ شوال ١٤٢١هـ

نصّ الجواب :

بسم الله الرحمن الرحيم

كلّ مسلم يؤمن بالله، ويشهد ألاّ إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسول الله، ولا ينكر معلوماً من الدين بالضرورة، وهو عالم بأركان الإسلام، والصلاة وشروطها، وهي متوفّرة فيه، فتصح إمامته لغيره وإمامة غيره له، إذا توفّرت فيه تلك الشروط ولو اختلف مذهبهما الفقهي وشيعة أهل البيت من نحلهم. ونتشيع معهم لله، ولرسوله، وأهل بيته، وصحابته جميعاً، ولا- خلافاً بيننا وبينهم في أصول الشريعة الإسلامية، ولا فيما هو معلوم بالضرورة، وقد صلّينا خلفهم وصلّوا خلفنا في طهران وفي قم في الأيام التي شرفنا الله بهم في دولته إيران الإسلامية.

ص ٨٥

وندعو الله أن يحقق وحدة الأمة الإسلامية ويرفع عنهم أي شقاق أو نزاع أو خلاف قد حلّ بهم في بعض مسائل الفروع الفقهية المذهبية. والله المؤيد والهادي إلى سواء السبيل.

دكتور فريد نصر واصل، مفتي الديار المصرية

١٦ شوال ١٤٢١ هـ / ١ - ١٢ - ٢٠٠١ م

وقال الأستاذ الدكتور محمد الفحام شيخ الأزهر معقّباً بعد ذلك على فتوى الشيخ محمود شلتوت: «رحم الله شلتوت الذي التفت إلى هذا المعنى الكريم، فخلد في فتواه الصريحة الشجاعة»^(١).

وقال الشيخ محمد الغزالي المعاصر:

أعتقد أنّ فتوى الأستاذ الأكبر محمود شلتوت قطعت شوطاً واسعاً في هذا السبيل، واستئناف لجهد المخلصين من أهل السلطة وأهل العلم جميعاً، وتكذيب لما يتوقعه المستشرقون من أن الأحقاد سوف تأكل الأمة قبل أن تلتقى صفوفها تحت رايه واحده... وهذه الفتوى في نظري بداية الطريق وأول العمل...

إلى أن قال:

إنّ الشيعة يؤمنون برسالة محمد، ويرون شرف على في انتمائه إلى هذا الرسول، وفي استمساكه بسنته، وهم كسائر المسلمين لا يرون بشراً في الأولين ولا في الآخرين أعظم من الصادق الأمين^(٢).

وقال محمد رشيد رضا صاحب تفسير المنار:

وقد صرّحوا [أهل السنة] بصحة إيمان الشيعة؛ لأنّ الخلاف معهم في مسائل لا يتعلّق بها كفر ولا إيمان، فالشيعي مسلم له أن يتزوّد بأيّ مسلمة، وإذا نظرنا إلى ما أصاب المسلمين من التأخير والضعف بسبب العداوة المذهبية، وأننا في أشدّ الحاجة إلى التآلف والتعاطف والاتّحاد يتبيّن لنا أنّ مصاهرة المخالف في المذهب ضرورية^(٣).

١- إسلامنا في التوفيق بين السنة والشيعة، مصطفى الرافي، ص ٥٩.

٢- دفاع عن العقيدة، محمد الغزالي، ص ٢٥٧.

٣- نقلاً عن: المنتقى من روائع فتاوى المنار، عز الدين بليق، ج ١، ص ٧٣٩.

وقال الأستاذ عبد الفتاح مقصود:

في عقيدتي أنّ الشيعة هم واجهة الإسلام الصحيحه ومرآته الصافية، ومن أراد أن ينظر إلى الإسلام عليه أن ينظر إليه من خلال عقائد الشيعة ومن خلال أعمالهم، والتاريخ خير شاهد على ما قدمه الشيعة من الخدمات الكبيرة في ميادين الدفاع عن العقيدة. وأن علماء الشيعة الأفاضل هم الذين لعبوا أدواراً لم يلعبها غيرهم في الميادين المختلفة، فكافحوا وناضلوا وقدموا أكبر التضحيات من أجل إعلاء كلمة الإسلام ونشر تعاليمه القيمة وتوعية الناس وسوقهم إلى القرآن(١).
وقال السيد محمّد طنطاوى شيخ الأزهر: «إنّ المسلمين سنّة وشيعة مؤمنون بالله ونيّيه، وأنّ اختلاف الآراء لا يقلل من درجة إيمان الأشخاص»(٢).

وقال الدكتور حامد حفى داود:

إنّ التشيع ليس كما يزعمه المخرفون والسفانيون من الباحثين، مذهباً نقلياً محضاً أو قائماً على الآثار المشحونة بالخرافات والأوهام والإسرائيليات، أو مستمداً في مبادئه من عبدالله بن سبأ وغيره من الشخصيات الخيالية في التاريخ، بل التشيع على عكس ما يزعمه الخصوم تماماً، فهو المذهب الإسلامى الأوّل الذى عنى كلّ العناية بالمنقول والمعقول جميعاً... (٣).
وقال الأستاذ عبدالرحمن بدوى المعروف ببحوثه ودراساته وتأليفاته الكثيرة:
للشيعة أكبر الفضل في إغناء المضمون الروحى للإسلام، وإشاعة الحياة الخصبه القويّه، التى وهبت هذا الدين البقاء قوياً قادراً على إشباع النوازع الروحيه للنفوس، حتّى أشدّها تمرداً وقلقاً ولولاها لتحتجّر في قوالب جامده، ليت شعرى ماذا كان سيؤول إليه أمره فيها؟ ومن الغريب أنّ الباحثين لم يوجّهوا عناية كافية إلى هذه الناحية، ناحية الدور الروحى في تشكيل مضمون العقيدة التى قامت بها الشيعة(٤).

المبحث الثاني الوهابية تكفر الشيعة الإمامية

- ١- في سبيل الوحدة الإسلاميه، عبد الفتاح عبدالمقصود، ص ٥٧٣.
- ٢- نشر ذلك في مجله رسالة الثقلين، ص ٢٥٢، العدد ٢، سنة ١٤١٣هـ.
- ٣- من مقدمه له لكتاب عقائد الإماميه للشيخ محمّد رضا المظفر، ص ٢٠.
- ٤- نقلاً عن: كتاب الشيعة في الميزان، محمّد جواد مغنيه، ص ٣١٣.

لم يكن جديداً على الشيعة الإمامية ما تسمعه اليوم عبر القنوات الفضائية والإعلامية، وفي الإذاعات والصحف والكتب والكتيبات التابعة لأقطاب الوهابية وأتباعهم ممن لا يخافون الحساب والعقاب والعذاب الإلهي الأليم، كما أنه ليس بجديد وغريب أن تصدر مثل هذه الافتراءات من كبار وقادة هذه الجماعة العدائية للدين وأهله من المسلمين؛ لأنها تنتهج نهجاً قد رسم لها من قبل أعداء الدين، والأيام تكشف وتفضح ما حاول هؤلاء المتلبسين بلباس الدين والنفاق.

ونحن إذ نسمع بين الليلة وضحاها كيف أن أقطاب وقادة هذه الحركة يتعاونون مع الاستكبار العالمي المعادي للدين الإسلامي، وذلك بعد القبض عليهم متلبسين بجرائمهم النكراء، وإعلان اعترافاتهم أمام الشهداء، حتى بدأت تعرف هذه الجماعة باسم القاعدة الإرهابية التي طالت يدها الأثيمة الأطفال والنساء والشيخوخة من مختلف القوميات والديانات والمذاهب الإسلامية وغير الإسلامية، وجرائمهم شاهدة على عظيم فعلتهم، كل ذلك تحت غطاء مقاتلة المشركين والمغالين والخارجين عن الدين، وهم بهذا الوصف أولى من غيرهم، فلم يسلم من الفتاوى التكفيرية لابن تيمية الحراني ومن جاء بعده وانتهج نهجه أحد من أهل القبلة.

قال ابن حجر في الجوهر المنظم:

من خرافات ابن تيمية التي لم يقلها عالم قبله وصار بها بين أهل الإسلام مثله أنه أنكر الاستغاثة والتوسل به صلى الله عليه وسلم، وليس ذلك كما أفتى به، بل التوسل به حسن في كل حال قبل خلقه وبعد خلقه في الدنيا والآخرة. فمما يدل لطلب التوسل به صلى الله عليه وسلم قبل خلقه، وأن ذلك هو سير السلف الصالح الأنبياء والأولياء وغيرهم، فقول ابن تيمية ليس له أصل من افتراءه (١).

وأما الشيعة الإمامية فقد كانت المرمى الأول لسهامهم الآثمة؛ لأنهم بذلك يريدون أبعاد الأمة الإسلامية عن المذهب الحق (مذهب أهل البيت): الذين أوصى بهم النبي خيراً. فقد كان الوهابيون لأسيادهم من بنى أمية ناصرين، ولدعاة الحق معاندين محاربين، وهذا ما تظهره الحملة الكبيرة لشيخهم ابن تيمية ضد الإمام علي بن أبي طالب (٢)، الذي

١- نقلاً عن: كتاب شواهد الحق بالاستغاثة بسيد الخلق ٩، للنبهاني، ص ١٣٩.

٢- حيث جاء في منهاج السنة، ج ٤، ص ٢٥٥ وهو في واقعه منهاج الضلال قوله في الإمام علي ٧: وأبو بكر من جنس من هاجر إلى الله ورسوله، وهذا لا يشبه من كان مقصوده [يعنى بذلك الإمام علي ٧؛ إذ هو في مقام المقارنة بينهما] امرأة يتزوجها [يقصد بذلك فاطمة الزهراء ٣ سيده نساء العالمين]. ولا أظنه لا يعي الحديث القائل: إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه. أنظر: صحيح البخاري، ج ١، ص ٣؛ صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٥٥. وكأنه لم يقرأ كلام الهيثمي في تصحيح حديث ابن مسعود عن النبي، حيث قال: «إن الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي» قال الهيثمي مجمع الزوائد، ج ٩، ص ٢٠٤ في ذيله: رواه الطبراني ورجاله ثقات. ولكن الحقد والبغض يعمي القلوب التي في الصدور.

وكانه لم يقرأ حديث النبي في حق الإمام علي ٧، حيث قال: «من آذى علياً فقد آذاني»، وقال فيه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج ٩، ص ١٢٩: رواه أحمد والطبراني باختصار، والبخاري وأحمد ثقات.

والأعجب منها والأغرب، أنه يقول في منهاجه ج ٧، صص ١٣٧ و ١٣٨: «ولم يكن كذلك علي، فإن كثيراً من الصحابة والتابعين كانوا يبغضونه ويسبونه ويقاتلونه». ولكنك لو سألت ابن تيمية عن هؤلاء الصحابة لقال لك: جميعهم عدول، وأن الراد عليهم راد علي الله يجب تكفيره فأعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببغض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون * أفحكّم الجاهليّة يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون المائدة، ٤٩ و ٥٠. أقول: ومعلوم لجميع المسلمين من هم الذين سبوا الإمام علي ٧ من أعلى المنابر سبعين سنة، ومن هم الذين قاتلوا الإمام علي ٧، هؤلاء هم أسلاف ابن تيمية الذي طالما يدافع عنهم، وإن خالف الكتاب والسنة.

هو أفضل الصحابة، وأول إيماناً ونصرةً للدين، فضلاً عن الذين يؤمنون بإمامته وخلافته للمسلمين، بل لم يسلم من سهامه الإمام بالحقّ الحسين بن علي بن أبي طالب (١) - بينما ينسى يتناسى قول النبي: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة» (٢) - حينما قام بتخطّته ومدح قاتله الفاجر الكافر يزيد بن معاوية (٣).

وهكذا هو دأب الوهابية من أتباع ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب في عدائهم لأهل البيت:، فضلاً عن محاربتهم العلنية لكل من أظهر المحيية والاتباع لأهل البيت:، لهم على ذلك طرق وأساليب يندى الجبين منها، ويخجل الإنسان من سماعها، فضلاً عن التقول، أو التصديق بها.

فليس غريباً ما يقوم به أتباع هذه الجماعة المبتدعة في الدين والمعادية له، ما نسمعه من

١- إذ جاء فيه وفي أخيه الإمام الحسن ٨ قول جدهم المصطفى محمد ٩: ابنای هذان إمامان قاما أو قعدا. المناقب لابن شهر آشوب: ٣٩٤/٣، ٤ / ٣٦٧؛ الفرق بين الفرق: ٢٥، كفاية الأثر: ١٥ و ١٦.

٢- كما جاء ذلك عن النبي، حيث قال: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة مسند أحمد، ج ٣، ص ٣. ج ٥، ص ٣٩١. قال الحاكم حديث صحيح ولم يخرجاه ج ٣، ص ١٧٦. وعن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة: نبينا خير الأنبياء وهو أبوك، وشهيدنا خير الشهداء وهو عم أبيك حمزة، ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنّة حيث شاء وهو ابن عم أبيك جعفر، ومنا سبطا هذه الأمة الحسن والحسين، وهما ابناك، ومنا المهدي. رواه الطبراني في الصغير، وفيه قيس بن الربيع، وهو ضعيف، وقد وثق، وبقية رجاله ثقات.

وعن أم سلمة قالت: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي يوماً إذ قالت الخادم: إنّ علياً وفاطمة بالسدة، قالت: فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: قومي فتنحى لي عن أهل بيتي، قالت: فقامت فتنحيت في البيت قريباً، فدخل علي وفاطمة ومعهما ابناهما الحسن والحسين، وهما صبيان صغيران، فاخذ الصبيين فوضعهما في حجره فقبلهما، واعتنق علياً بإحدى يديه وفاطمة باليد الأخرى فقيل لفاطمة وقيل علياً فأغدق عليهم خميصه سوداء فقال: اللهم إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي، قالت: فقلت: أنا يا رسول الله؟ قال: وأنت. رواه أحمد، راجع: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج ٩، ص ١٩٩.

٣- راجع: كتاب أخطاء ابن تيمية في حق رسول الله ٩ وأهل بيته للدكتور السيد محمود السيد صبيح المصري من أهل السنّة، فقد كشف فيه الدكتور كلّ شيء من كتب ابن تيمية، وبالخصوص كتابيه منهاج السنّة والفتاوى، فمن أراد أن يعرف ابن تيمية عن كثر وقرب فليراجع هذا الكتاب؛ لما يتمتع به من الأمانة في النقل، والاستقصاء التام حول ما جاء عن ابن تيمية في حق النبي ٩ وأهل بيته الأطهار:- وما علق به علماء أهل السنّة في كتبهم على هذه التجاوزات السافرة على النبي وأهل بيته المعصومين:..

كبارهم من الافتراءات والأكاذيب على خيار وعلماء مذهب أهل البيت؛ فإنّ الكذب أصبح عند هؤلاء واجباً، بل ومنهجاً يتبع في تمرير أقوالهم، ونشر عقائدهم الباطلة، فما نسمعه عن عثمان الخميس، وعدنان العرعور، وعبدالرحمن الدمشقي، والبلوشي، وغيرهم في هذه الأيام، ما هو إلّا وجه آخر لنفس العملة الفاسدة، وها نحن إذ نقل صوراً من صور معاداة أسلافهم ومحاربتهم لمذهب أهل البيت، ثم بعد ذلك نقوم بنقل مفتريات الدمشقية للردّ عليها، وبيان مواطن الكذب فيها، لنساهم أخواننا من أهل السنّة في كشف زيف هذه الجماعة، لعلّ الله تعالى ينفع به المؤمنين وطلّاب الحقّ ومحبّي أهل البيت: من الناس أجمعين.

١- قال ابن باز المفتي السابق للسعودية وإمام الوهابية:

وأفيدكم بأنّ الشيعة فرقٌ كثيرة، وكلّ فرقة لديها أنواع من البدع، وأخطرها فرقة الرافضة الخمينية الاثني عشرية؛ لكثرة الدعاة إليها، ولما فيها من الشرك الأكبر، كالاستغاثه بأهل البيت، واعتقاد أنّهم يعلمون الغيب، ولا سيّما الأئمة الاثنا عشر حسب زعمهم، ولكونهم يكفرون ويسبّون غالب الصحابة، كأبي بكر وعمر رضی الله عنهما نسأل السلامة مما هم عليه من الباطل (١).

أقول: هذا الرجل أعمى وهكذا يتهجم على الناس، فكيف لو كان بصيراً، فماذا يفعل بالمسلمين؟! الحقّ معه؛ لأنّ الإمام الخميني = قد قضى على أكبر طاغية وكافر في العالم الإسلامي، وخادم من خدمة أسياده الأمريكان، كيف يطيب له وهو لا يسمع للكفر صوت في إيران؟! وكيف يطيب له وهو يسمع اسم على يعلو منابر إيران، ويتردد صداه في جميع البلدان، لست بصدد ردّ جميع هذه الأباطيل التي جاءت في قوله أعلاه؛ لأنّ الهدف من نقل قوله بيان تمادى أسياد هذه الجماعة وتعدّيهم على الأئمة من أهل البيت: وشيعتهم التابعين لهم بالحقّ.

١- مجموع فتاوى ومقالات عبدالعزيز بن باز، ج ٤، ص ٤٣٩.

ولكن لو نظر بعين الإنصاف لرأى الحقّ بازغاً أمامه، فقد أعاد الإمام الخميني = للمرأة المسلمة كرامتها بعد أن قام الشاه المقبور بنزع خمارها وهتك سترها وانتهك حقوقها، وجعل منها سلعة باهرة بعدما أراد لها الإسلام أن تكون جوهرة ثمينة لا تباع بأبخس الأثمان، ولا أن تكون بيد الشيطان ألعوبة، فعاد لها الإسلام الذي يحفظ كرامتها وزينها بزينته ليحفظ بحجابها عفتها وطهارتها، فعاد النساء في ظلّ هذه الثورة المباركة ملائكة روحانية، كما عاد لأهل الإيمان طقوسهم وشعائرهم بإحياء كل ما طمسه الطاغوت.

٢- قال ابن حزم الظاهري:

وأما قولهم - يعنى النصارى - فى دعوى الروافض تبديل القرآن، فإنّ الروافض ليسوا من المسلمين، إنّما هى فرقة حدث أولها، بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة، وهى طائفة تجرى مجرى اليهود والنصارى فى الكذب والكفر (١).

قال الشيخ الأميني = فى ردّ هذه الأباطيل والافتراءات بعد أن ذكر قائمته من كبار الشيعة المعتمدين عند أهل السنة:

هؤلاء جمع ممن احتجّ بهم الأئمة الستة فى صحاحهم، أضف إليهم رجال الشيعة من الصحابة الأكرمين، والتابعين الأولين، وأعلام البيت العلوى الطاهر من الذين يحتجّ بهم ويحديثهم، وأنهى أئمة أهل السنة إليهم الإسناد فى الصحاح والسنن والمسانيد، وهم مصرّحون بثقتهم وعدالتهم. فلو كانت الشيعة (كما زعمه ابن حزم) خارجين عن الإسلام فما قيمة تلك الصحاح؟! وتلك المسانيد؟! وتلك السنن؟! وما قيمة مؤلفيها أولئك المشايخ وأولئك الأئمة وأولئك الحفاظ؟! وما قيمة تلك المعتقدات والآراء المأخوذة ممن ليسوا من المسلمين؟! اللهم غفرانك وإليك المصير وأنت القاضى بالحق. نعم، ذنبهم الوحيد الذى لا يغفر عند ابن حزم أنّهم يوالون علماً أمير المؤمنين وأولاده الأئمة الأماناء صلوات الله عليهم اقتداء بالكتاب والسنة، ومن جرّاء ذلك يستبيح صاحب الفصل من أعراضهم ما لا يستباح من مسلم، والله هو الحكم الفاصل. وأما ما حسبه من

١- الملل والنحل، ابن حزم الظاهري، ج ١، ص ٢٩٠.

أنّ مبدأ التشييع كان إجابة ممن خذله الله لدعوة من كاد الإسلام وهو يريد عبدالله بن سبأ الذي قتله أمير المؤمنين ٧ إحراقاً بالنار على مقالته الإلحادية، وتبعته شيعته على لعنه والبراء منه (١).

٣- قال ابن القيم الجوزية:

واقراً نسخة الخنازير من صور أشباههم ولاسيما أعداء خيار خلق الله بعد الرسل، وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإنّ هذه النسخة ظاهرة في وجوه الرافضة، يقرأها كل مؤمن كاتب وغير كاتب، وهي تظهر وتخفى بحسب خنزيرية القلب وخبثه، فإنّ الخنزير أحبّ الحيوانات وأردؤها طباعاً، ومن خاصيته أنّه يدع الطيبات فلا يأكلها، ويقوم الإنسان عن رجيحه فيبادر إليه (٢).
أقول: إنّ قيمة الإنسان على قدر ما يحسنه من الكلام، فمن يقرأ هذا الكلام الذي ملئ بالسباب والشتم لمن وصفهم النبي الأعظم ٩ بأنهم خير البرية (٣)، وأنهم الفائزون (٤)، ولا أعلم هل انقلبت الموازين عند هذا الجاهل المعادي لله تعالى ولرسوله وأهل بيته: وأتباعهم، باسم الدفاع عن الصحابة؟! الذين ورد ذكرهم وصفاتهم في القرآن الكريم ليس على وتيرة واحدة (٥)، حيث أنزل في بعضهم ما لم ينزله في غيرهم من سائر الديانات الأخرى (٦).

١- موسوعة الغدير، العلامة عبد الحسين الأميني، ج ٣، ص ٩٤.

٢- مفتاح دار السعادة، ابن القيم الجوزية، ج ١، ص ٢٦٤.

٣- وعن ابن عباس ٢ قال: لما نزلت هذه الآية: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ قال: لعلي هو أنت وشيعتك، تأتي يوم القيامة أنت وشيعتك راضين مرضيين ويأتي عدوك غضاباً مقحمين، فقال يا رسول الله، ومن عدوى؟ قال: من تبرأ منك ولعنك. نظم درر السمطين، الزرندي الحنفي، ص ٩٢؛ وكذا: راجع جامع البيان لابن جرير الطبري، ج ٣٠، ص ٣٣٥؛ تفسير الألوسي، ج ٣٠، ص ٢٠٧.

٤- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٤٢، ص ٣٣٣؛ كنوز الحقائق، المناوي، ص ٩٨.

٥- فبعض الآيات تبين حال الصحابة المتقين وصفاتهم، وآيات تبين حال الصحابة المنافقين وصفاتهم، وآيات تبين حال الصحابة المخلصين ومنازلهم القريبة، وهلم جراً.

٦- من قبيل قوله تعالى في بيان حال المنافقين: يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ المنافقون/٨، وغيرها من الآيات التي كشف الله بحال المؤمن من المنافق والكافر.

٤- قال محمّد بن عبد الوهاب (١):

فإذا عرفت أنّ آيات القرآن تكاثرت في فضلهم (يعنى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) والأحاديث المتواترة بمجموعها ناصّة على كمالهم، فمن اعتقد فسقهم أو فسق مجموعهم، وارتدادهم

١- قال أحمد زين دحلان الشافعي: «..ثمّ كثر شرّهم، وتزايد ضررهم، واتسع ملكهم، وقتلوا من الخلائق ما لا يحصون، واستباحوا أموالهم، وسبوا نساءهم، وكان مؤسس مذهبهم الخبيث محمّد بن عبد الوهاب، وأصله من المشرق من بنى تميم، وكان من المعمّرين، فكاد يعد من المنظرين؛ لأنّه عاش قريب مائة سنة حتّى انتشر عنه ضلالهم، كانت ولادته سنة ألف ومائة وإحدى عشرة، وهلك سنة ألف ومائتين... وكان أبوه وأخوه ومشايخه يتفرون فيه أنّه سيكون منه زيغ وضلال: لما يشاهدونه من أقواله وأفعاله ونزعاته في كثير من المسائل، وكانوا يؤبّخونه ويحدّرون الناس منه، فحقّق الله فراستهم فيه؛ لما ابتدع ما ابتدعه من الزيغ والضلال الذي أغوى به الجاهلين وخالف فيه أئمة الدين وتوصل بذلك إلى تكفير المؤمنين، فزعم أنّ زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم والتوسّل به وبالأنباء والأولياء والصالحين وزيارة قبورهم شرك، وأنّ نداء النبي صلى الله عليه وسلم عند التوسّل به شرك، وكذا نداء غيره من الأنبياء والأولياء والصالحين عند التوسّل بهم شرك، وأنّ من أسند شيئاً لغير الله ولو على سبيل المجاز العقلي يكون مشركاً، نحو نفعني هذا الدواء، وهذا الولي الفلاني عند التوسّل به في شيء، وتمسّك بأدلة لا تنتج له شيئاً من مرامه، وأتى بعبارات مزوّرة زخرفها ولبس بها على العوام حتّى تبعوه، وألف لهم في ذلك رسائل حتّى اعتقدوا كفر أكثر أهل التوحيد، واتّصل بأمراء المشرق أهل الدرعية، ومكث عندهم حتّى نصرّوه، وقاموا بدعوته، وجعلوا ذلك وسيلة إلى تقوية ملكهم واتّساعه، وتسلّطوا على الأعراب وأهل البوادي حتّى تبعوهم، وصاروا جنداً لهم بلا عوض، وصاروا يعتقدون أنّ من لم يعتقد ما قاله ابن عبد الوهاب، فهو كافر مشرك مهدور الدم والمال... الذي ذكرناه إجمالاً في الردّ على ابن عبد الوهاب ومن أراد بسط الكلام، فليرجع إلى الرسائل المؤلّفة في ذلك وقد لخصت ما فيها في رسالة مختصرة فينظرها من أراها» أنظر: فتنة الوهابية، المقدّمة، صص ٣-١١.

وارتداد معظمهم عن الدين، فقد كفر بالله تعالى ورسوله (١).

وقال أيضاً:

وبهذا وأمثاله تعرف أن الرافضة أكثر الناس تركاً لما أمر الله، وإتياناً لما حرّمه، وأن كثيراً منهم ناشئ عن نطفة خبيثة، موضوعه في رحم حرام، ولذا لا ترى منهم إلّا الخبيث اعتقاداً وعملاً، وقد قيل كل شيء يرجع إلى أصله (٢).

أقول: وفي كلامه الأوّل الذي جاء به (فمن اعتقد فسقهم أو فسق مجموعهم، وارتدادهم وارتداد معظمهم عن الدين، فقد كفر) لم يسلم منه حتّى المولى تبارك وتعالى ونبيه الأمين، حيث أخبر الله تعالى نبيه الأعظم ٩ كما جاء في كتب الصحاح، من قبيل صحيح البخارى، حيث أخرج عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة أنّه كان يحدث أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يرد علىّ يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، أنّهم ارتدوا على أدبارهم القهقري» (٣).

وأخرج أيضاً عن ابن شهاب، عن ابن المسيب أنّه كان يحدث عن أصحاب النبي

صلى الله عليه وسلم أنّ النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم قال: «يرد علىّ الحوض رجال من أصحابي فيحلأون عنه فأقول: يا رب أصحابي فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، أنّهم ارتدوا على أدبارهم القهقري» (٤).

وقال شعيب عن الزهري كان أبو هريرة يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم:

فيجلون، وقال عقيل: فيحلأون، وقال الزبيدي عن الزهري، عن محمّد بن علي، عن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، حدّثني إبراهيم بن المنذر الحزامي، حدّثنا محمّد بن فليح، حدّثنا أبي حدّثني هلال، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

بيننا أنا قائم فإذا زمره حتّى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنّهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، ثمّ إذا زمره حتّى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال إنّهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، ثمّ إذا زمره حتّى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، قلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنّهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلّا مثل همل النعم (٥).

١- أنظر: فتنّة الوهابية، المقدّمة، صص ٣-١١.

٢- فتنّة الوهابية لأحمد زين دحلان، المقدّمة، صص ٣-١١.

٣- صحيح البخارى، ج ٧، ص ٢٠٨.

٤- المصدر السابق، ص ٢٠٩.

٥- المصدر السابق، ص ٢٠٨.

وأخرج عن أبي مليكة قال: قالت أسماء: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

أنا على حوضي أنتظر من يرد عليّ فيؤخذ بناس من دوني فأقول: أمّتي فيقول: لا تدرى مشوا على القهقري(١).

عن أبي وائل قال: قال عبدالله: قال النبي صلى الله عليه وسلم:

أنا فرطكم على الحوض ليرفعن إليّ رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني فأقول: أي رب أصحابي، فيقول: لا تدرى ما أحدثوا بعدك(٢).

عن أبي حازم قال: سمعت سهل بن سعد يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

أنا فرطكم على الحوض من ورده شرب منه ومن شرب منه، لم يضمأ بعده أبداً، ليرد عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم، قال أبو حازم: فسمعتي النعمان بن أبي عياش وأنا أحدثهم هذا، فقال: هكذا سمعت سهلاً؟ فقلت: نعم، قال: وأنا اشهد على أبي سعيد الخدري لسمعتي يزيد فيه قال: إنهم مني فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً(٣).

ويكفي ما ذكره القرآن الكريم حكاية عن حال بعض الصحابة، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنِيطًا لِّدِينِكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ * فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَشْحَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَخْبَطَ أَعْمَالَهُمْ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَنْ لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْعَانَهُمْ * وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعَرَفْنَاهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ) [سورة محمد: ٢٥-٣٠].

أقول: وهؤلاء هم من الصحابة، فيما جاء في تفسير بعض هذه الآيات كقول السمعاني في تفسيره:

١- صحيح البخاري، ج ٨، ص ٨٦.

٢- المصدر السابق، ص ٨٧.

٣- المصدر السابق.

في الآية قولان: أحدهما: أنه قول اليهود للمنافقين، قالوا للمنافقين: سنطيعكم في بعض الأمر، أي: في كتمان صفته محمد مع علمنا بأنه رسول. والقول الثاني وهو الأظهر: إنه قول المنافقين لليهود(١).

وقال الطبري في تفسيره:

يقول تعالى ذكره: أفلا- يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ الله التي يعظهم بها في آي القرآن الذي أنزله على نبيه عليه الصلاة والسلام، ويتفكرون في حججه التي بينها لهم في تنزيله، فيعلموا بها خطأ ما هم عليه مقيمون. أم على قلوب أفعالها يقول: أم أقفل الله على قلوبهم فلا يعقلون ما أنزل الله في كتابه من المواعظ والعبر(٢).

وقال تعالى:

(يَحِذِرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوْا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحِذِرُونَ * وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةٌ بِآثِهِمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ * الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) [التوبة: ٦٤-٦٨].

قال الطبري في تفسيره:

يقول تعالى ذكره: يخشى المنافقون أن تنزل فيهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم، يقول: تظهر المؤمنين على ما في قلوبهم. وقيل: إن الله أنزل هذه الآية على رسول الله؛ لأن المنافقين كانوا إذا عابوا رسول الله ٩ وذكروا شيئاً من أمره وأمر المسلمين، قالوا: لعل الله لا يفشى سرنا، فقال الله لنبيه: قل لهم: استهزئوا، متهدداً لهم متوعداً، إن الله مخرج ما تحذرون(٣).

١- تفسير السمعاني، السمعاني، ج ٥، ص ١٨٢.

٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٦، ص ٧٤.

٣- المصدر السابق، ج ١٠، ص ٢١٩.

وقال ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله:

يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم، يقولون: القول فيما

بينهم ثم يقولون: عسى الله إلا يفشى علينا هذا قوله تعالى: قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون(١).

وقال البغوي في تفسيره: «(يَحْذِرُ الْمُنَافِقُونَ) أى: يخشى المنافقون (أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ) أى: تنزل على المؤمنين (سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ) أى: بما في قلوب المنافقين من الحسد والعداوة للمؤمنين، كانوا يقولون فيما بينهم ويسرون، ويخافون الفضيحة بنزول القرآن في شأنهم»(٢).

فهذه وغيرها من الآيات والتفاسير شاهدة على وجود جماعة بين الصحابة منافقين، كما أن بعض الصحابة ارتدوا عن الدين، وأنهم مرضى القلوب، وهم الذين قال الله تعالى لنبينه فيهم: (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسَدٌ تَغْفِرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسُدَّ تَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ * هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا- تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفُضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ * يَقُولُونَ لِنَبِيِّ رَبِّنَا إِنَّا رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا مِنَ الْأَعْرَابِ مَنِئْهَا الْمَآذِلُ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا- يَعْلَمُونَ) [المنافقون: ٦-٨].

وكيف كان فإن هؤلاء لا يستحون من الكذب والافتراء، وإنكار الحقيقة، وهم بمخالفتهم هذه الله تعالى ورسوله، يشترون سخط الله تعالى ونبية الأعظم برضاء الناس، فأنتى لهم يوم القيامة من الله ورسوله نصيراً وظهيراً.

وقد اعترف بذلك بعض علماء ومفكرى أهل السنة المعاصرين، نذكر منهم كشاهد على قولنا:

قال الألبانى فى مقام ردِّ حديث (أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) وبعد أن عدّه من الموضوعات قال: إذا كيف يسوغ لنا أن نصور أن النبى ٩ يجيز لنا أن نقتدى بكلِّ رجل من الصحابة،

١- تفسير ابن أبي حاتم الرازى، ج ٦، ص ١٨٢٩.

٢- المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٠٧.

مع أنّ فيهم العالم والمتوسط في العلم ومن هو دون ذلك، وكان فيهم مثلاً من يرى أنّ البرد لا يفطر الصائم بأكله (١).
وقال ابن عقيل (ت ١٣٥٠هـ):

وأما تعديلهم كلّ من سمّوه بذلك الاصطلاح، صحابياً وإن فعل ما فعل من الكبائر، ووجوب تأويلها له فغير مسلّم؛ إذ الصحبة مع الإسلام لا تقتضى العصمة اتفاقاً حتى يثبت التعديل ويجب التأويل على أنهم اختلفوا في ذلك التعديل اختلافاً كثيراً والجمهور هم القائلون بالعدالة (٢).

وقال أحمد أمين (ت ١٣٣٧هـ):

إننا رأينا الصحابة أنفسهم ينقد بعضهم بعضاً، بل يلعن بعضهم بعضاً، ولو كانت الصحابة عند نفسها بالمتزلة التي لا يصح فيها نقد ولا لعن لعلمت ذلك من حال نفسها؛ لأنهم أعرف بمحلّهم من عوام أهل دهرنا، وهذا طلحة والزبير وعائشة ومن كان معهم وفي جانبهم، لم يروا أن يمسكوا عن علي، وهذا معاوية وعمرو بن العاص لم يقصرا دون ضربه وضرب أصحابه بالسيف، وكالذي روى عن عمر من أنّه طعن في رواية أبي هريرة وشم خالد بن الوليد وحكم بفسقه، وخون عمرو بن العاص ومعاوية ونسبهما إلى سرقة مال الفيئ واقتطاعه، وقلّ أن يكون في الصحابة من سلم من لسانه أو يده، إلى كثير من أمثال ذلك مما رواه التاريخ، وكان التابعون يسلكون بالصحابة هذا المسلك، ويقولون في العصاة منهم هذا القول، وإنّما اتّخذهم العامة أرباباً بعد ذلك، والصحابة قوم من الناس، لهم ما للناس وعليهم ما عليهم، من أساء ذمناه، ومن أحسن منهم حمدناه، وليس لهم على غيرهم كبير فضل إلّا بمشاهدة الرسول ومعاصرته لا غير، بل ربما كانت ذنوبهم أفحش من ذنوب غيرهم؛ لأنّهم شاهدوا الأعلام والمعجزات، فمعاصينا أخف لأننا أعدر (٣).

١- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، الألباني، ج ١، ص ٨٢.

٢- النصائح الكافية لمن يتولّى معاوية، محمّد بن عقيل، ص ١٦٦.

٣- ضحى الإسلام، أحمد أمين، ج ٢٣، ص ٧٥.

وقال طه حسين (ت ١٣٩٣هـ):

ولا- نرى فى أصحاب النبى ما لم يكونوا يرون فى أنفسهم، فهم كانوا يرون أنهم بشر فيتعرضون لما يتعرض له غيرهم من الخطايا والآثام، وهم تقاذفوا التهم الخطيرة، وكان منهم فريق تراموا بالكفر والفسوق، فقد روى أن عمار بن ياسر كان يكفر عثمان ويستحل دمه ويسميه نعل، وروى أن ابن مسعود كان يستحل دم عثمان أيام كان فى الكوفة، وهو كان يخطب الناس فيقول: إن شرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة فى النار - يعرض فى ذلك بعثمان وعامله الوليد. وروى أن عبدالرحمن بن عوف، قال لبعض أصحابه فى المرض الذى مات فيه: عاجلوه - أى: على - قبل أن يطغى ملكه. والذين ناصروا عثمان من أصحاب النبى كانوا يرون أن خصومهم قد خرجوا على الدين وخالفوا عن أمره، وهم جميعاً من أجل ذلك قد استحلوا أن يقاتل بعضهم بعضاً، وقاتل بعضهم بعضاً بالفعل يوم الجمل ويوم صفين، إلا ما كان من سعد وأصحابه القليلين. وإذا دفع أصحاب النبى أنفسهم إلى هذا الخلاف، وتراموا بالكبائر، وقاتل بعضهم بعضاً فى سبيل الله، فما ينبغى أن يكون رأينا فيهم أحسن من رأيهم فى أنفسهم، وما ينبغى أن نذهب مذهب الذين يكذبون أكثر الأخبار التى نقلت إلينا ما كان بينهم من فتنة (١).

فهذه وغيرها من الأقوال تكشف لنا حال الصحابة وما نجم بينهم من المشاجرات واللعن والتقتيل والتفسيق، والقرآن والسنة والتاريخ الإسلامى شاهد على ذلك.

خاتمة الباب

خاتمة الباب تذكير ببعض الكتب المؤلفة فى الرد على الوهابية

١- الفتنة الكبرى، طه حسين، صص ١٧٠-١٧٣.

ص ١٠١
خاتمة الباب

ص ١٠٣

خاتمة الباب تذكير ببعض الكتب المؤلفة في الرد على الوهابية

هناك الآلاف من الكتب التي ألفت في الرد على أباطيل ومزاعم الوهابية التكفيرية، حيث جمعها البعض ضمن معاجم خاصة بها، من قبيل ما قام به أحد المؤمنين وهو الشيخ عبدالله محمد على تحت عنوان (معجم المؤلفات الإسلامية في الرد على الفرقة الوهابية)، وقد أحصى بما أتاحت له الفرصة فيه (٨٢٢) مؤلفاً بين كتاب ورسالة ودراسة، ليصبح هذا المعجم شاهداً حياً على مدى خطورة هذه الجماعة على الأمة الإسلامية، في حاضرها ومستقبلها، كما قام مؤلف كتاب (السلفية بين أهل السنة والإمامية) بإحصاء ما يربو على (٢٠٠) عنوان كتاب ورسالة قد ألفت في الرد على الوهابية، وهكذا قام غيرهم بهذه المهمة، وما لم يحصى أكثر من هذا بكثير، وإليك من باب المثال بعض عناوين هذه الكتب والرسائل لمختلف علماء المسلمين من السنة والشيعة، وهي:

١. إتحاف الكرام في جواز التوسل والاستغاثة بالأنبياء الكرام: تأليف الشيخ محمد بن الشدى، مخطوط في الخزانة الكتانية بالرباط برقم/١١٤٣ ك مجموعة.

٢. إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان: تأليف أحمد بن أبي الضياف، مطبوع.

٣. الأجوبة النجدية عن الأسئلة النجدية: لأبي العون شمس الدين محمد بن أحمد بن

ص ١٠٤

سالم، المعروف بابن السفاريني النابلسي الحنبلي، المتوفى سنة ١١١٧ هـ .

٤. الأجوبة النعمانية عن الأسئلة الهندية في العقائد: لنعمان بن محمود خير الدين الشهير بابن الآلوسى البغدادي الحنفي، المتوفى سنة ١٣١٧ هـ .

٥. الأجوبة الوافية في الرد على شبهات الوهابية: لجنة التأليف الشيخ قيصر التميمي، الشيخ على حمود العبادي والشيخ شاكر الساعدي، نشر مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية.

٦. أجوبة في زيارة القبور: للشيخ العيدروس، مخطوط في الخزانة العامة بالرباط برقم ٢٥٧٧/٤ د مجموعة. وهذا كتاب انتصر فيه مؤلفه لمذهب أهل السنة في سنيّة زيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام.

٧. إحياء المقبور من أدلة استحباب بناء المساجد والقباب على القبور: تأليف الحافظ أحمد بن الصديق الغماري، المتوفى سنة ١٣٨٠ هـ، مطبوع.

٨. الإصابة في نصره الخلفاء الراشدين: تأليف الشيخ حمدي جويجاتي الدمشقي.

٩. الأصول الأربعة في ترديد الوهابية: لمحمد حسن صاحب السرهندي، المجددي، المتوفى سنة ١٣٤٦ هـ مطبوع.

١٠. إظهار العقوق ممن منع التوسل بالنبي والولي الصدوق: للشيخ المشرفي المالكي الجزائري.

١١. الأقوال السنية في الرد على مدعى نصره السنة المحمديّة: جمعها إبراهيم شحاته الصديقي من كلام المحدث عبد الله الغماري، مطبوع.

١٢. الأقوال المرضية في الرد على الوهابية: للفقير عطا الكسم الدمشقي الحنفي، مطبوع.

١٣. الانتصار للأولياء الأبرار: للشيخ المحدث طاهر سنبل الحنفي، ردّ فيه مؤلفه على تناول الوهابية على الأولياء ومقامهم.

١٤. الأوراق البغدادية في الجوابات النجدية: للشيخ إبراهيم الراوي البغدادي الرفاعي، رئيس الطريقة الرفاعية ببغداد، مطبوع.

ص ١٠٥

١٥. البراءة من الاختلاف في الرد على أهل الشقاق والنفاق والرد على الفرقة الوهابية الضالمة: للشيخ علي زين العابدين السوداني، مطبوع.
١٦. البراهين الساطعة في رد بعض البدع الشائعة: للشيخ سلامة العزامي، المتوفى سنة ١٣٧٩هـ مطبوع.
١٧. البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر: لحمد الله الداجوي الحنفي الهندي، مطبوع.
١٨. تاريخ الوهابية: لأيوب صبري باشا الرومي صاحب "مرآة الحرمين"، بين فيه مؤلفه التاريخ الدموي لهذه الفرقة الوهابية.
١٩. تبرك الصحابة بآثار رسول الله: لمحمد طاهر بن عبدالقادر الكردي، مطبوع.
٢٠. تجريد سيف الجهاد لمدعى الاجتهاد: للشيخ عبدالله بن عبداللطيف الشافعي، وهو أستاذ محمد بن عبدالوهاب وشيخه، وقد رد عليه في حياته.
٢١. تحذير الخلف من مخازي أدياء السلف: للشيخ محمد زاهد الكوثري، الشيخ محمد زاهد الكوثري وكيل المشيخة العثمانية في زمانه.
٢٢. التحريات الرائقة: للشيخ محمد النافلاتي الحنفي، مفتي القدس الشريف، كان حياً سنة ١٣١٥هـ مطبوع.
٢٣. تحريض الأغبياء على الاستغاثة بالأنبياء والأولياء: للشيخ عبدالله بن إبراهيم الميرغني الحنفي، الساكن بالطائف.
٢٤. التحفة الوهيبية في الرد على الوهابية: للشيخ داود بن سليمان البغدادي، النقشبندی الحنفي، المتوفى سنة ١٢٩٩هـ .
٢٥. تطهير الفؤاد من دنس الاعتقاد: للشيخ محمد بخيت المطيعي الحنفي، من علماء الأزهر، مطبوع.
٢٦. تقييد حول التعلق والتوسل بالأنبياء والصالحين: قاضي الجماعة في المغرب ابن كيران، مخطوط في خزانه الجلاوي/ الرباط برقم / ١٥٣ ج مجموعة.
٢٧. تقييد حول زيارة الأولياء والتوسل بهم: للمؤلف السابق، وضمن المجموعة

ص ١٠٦

السابقة.

٢٨. تهكّم المقلّدين بمن ادّعى تجديد الدين: للشيخ محمّد بن عبدالرحمن الحنبلي.
٢٩. التوسّل بالنبي والصالحين: لأبي حامد بن مرزوق الدمشقي الشامي، مطبوع.
٣٠. التوسّل: للمفتي محمّد عبد القيوم القادري الهزاروي، مطبوع.
٣١. التوضيح عن توحيد الخلق في جواب أهل العراق على محمّد بن عبدالوهاب: لعبد الله أفندي الراوي، مخطوط في جامعة كمبردج/ لندن باسم ردّ الوهابية، ومنه نسخة في مكتبة الأوقاف/ بغداد.
٣٢. جلال الحقّ في كشف أحوال أشرار الخلق: للشيخ إبراهيم حلمي القادري الإسكندري، مطبوع.
٣٣. الجوابات في الزيارة: لابن عبد الرزاق الحنبلي.
٣٤. حاشية الصاوي على الجلالين: للشيخ أحمد الصاوي المالكي.
٣٥. الحقّ المبين في الردّ على الوهابيين. للشيخ أحمد سعيد الفاروقي السرهندي النقشبندی، المتوفّي سنة ١٢٧٧هـ .
٣٦. الحقائق الإسلامية في الردّ على المزاعم الوهابية بأدلة الكتاب والسنة النبوية: لمالك ابن الشيخ داود، مدير مدرسة العرفان بمدينة كوتبالي بجمهورية مالي الأفريقية، مطبوع.
٣٧. الحقيقة الإسلامية في الردّ على الوهابية: لعبد الغني بن صالح حمادة، مطبوع
٣٨. الدرر الستية في الردّ على الوهابية: للسيد أحمد بن زيني دحلان، مفتي مكة الشافعي، المتوفّي سنة ١٣٠٤هـ، مطبوع.
٣٩. الدليل الكافي في الردّ على الوهابي: للشيخ مصباح بن أحمد شبقلو البيروتي، مطبوع.
٤٠. الرائية الصغرى في ذمّ البدعة ومدح السنة الغراء: نظم الشيخ يوسف النبهاني البيروتي، مطبوع.
٤١. الردّ الكبير على مزاعم إلهي ظهير (دراسة نقدية لكتابه الشيعة وأهل البيت): لجنة التأليف في مركز الزهراء الإسلامي، الدكتور السيد جاسم الموسوي، السيد حاتم

ص ١٠٧

البخاتى، الشيخ على الخزاعى، الشيخ شاكرا الساعدى، مطبوع.

٤٢. ردّ المحتار على الدر المختار: لمحمد أمين الشهير بابن عابدين الحنفى الدمشقى، مطبوع.

٤٣. الردّ على ابن عبدالوهاب: لشيخ الإسلام بتونس إسماعيل التيمى المالكى، المتوفى سنة ١٢٤٨هـ، وهو فى غاية التحقيق والإحكام، مطبوع فى تونس.

٤٤. ردّ على ابن عبدالوهاب: للشيخ أحمد المصرى الأحسائى.

٤٥. ردّ على ابن عبدالوهاب: للعلامة بركات الشافعى الأحمدي المكي.

٤٦. الردّ على الوهابية: لإبراهيم بن عبد القادر الطرابلسى الرياحى التونسى المالكى، من مدينة تستور، المتوفى سنة ١٢٦٦هـ.

٤٧. الردّ على الوهابية: لأبى حفص عمر المحجوب، مخطوط بدار الكتب الوطنية/ تونس، برقم ٢٥١٣، ومصوّرتها فى معهد المخطوطات العربية/ القاهرة، وفى المكتبة الكتانية، الرباط برقم ١٣٢٥ ك.

٤٨. الردّ على الوهابية: لعبد المحسن الأشيقرى الحنبلى، مفتى مدينة الزبير بالبصرة.

٤٩. الردّ على الوهابية: لقاضى الجماعة فى المغرب ابن كيزان، مخطوط بالمكتبة الكتانية/ الرباط، برقم ١٣٢٥ ك.

٥٠. الردّ على الوهابية: للشيخ المخدوم المهدي، مفتى فاس.

٥١. الردّ على الوهابية: للشيخ صالح الكواش التونسى، وهى رسالة مسجعة نقض بها رسالة لابن عبد الوهاب، مطبوع.

٥٢. الردّ على الوهابية: للشيخ محمد صالح الزمزمى الشافعى، إمام مقام إبراهيم بمكة المكرمة.

٥٣. الردّ على محمد بن عبدالوهاب: للشيخ عبدالله القدومى الحنبلى النابلسى، عالم الحنابلة بالحجاز والشام، المتوفى سنة ١٣٣١هـ. ردّ عليه فى مسألة الزيارة ومسألة التوسل بالأنبياء والصالحين، وقال: إنه مع مقلديه من الخوارج، وقد ذكر ذلك فى رسالته "الرحلة

ص ١٠٨

الحجازية والرياض الإنسية في الحوادث والمسائل، مطبوع.

٥٤. الردّ على محمّد بن عبد الوهاب: لمحمد بن سليمان الكردى الشافعى، أستاذ ابن عبد الوهاب وشيخه.

٥٥. الردود على محمّد بن عبد الوهاب: للشيخ المحدّث صالح الفلانى المغربى.

٥٦. الرسالة الرديّة على الطائفة الوهاية: لمحمّد عطاء الله المعروف بعطا الرومى، من كوزل حصار.

٥٧. الرسالة المرضية في الردّ على من ينكر الزيارة المحمّدية: لمحمّد السعدى المالكى.

٥٨. رسالة في الردّ على الوهاية: للشيخ قاسم أبى الفضل المحجوب المالكى.

٥٩. رسالة في تأييد مذهب الصوفية والردّ على المعترضين عليهم: للشيخ سلامة العزامى، المتوفى سنة ١٣٧٩هـ، مطبوعه.

٦٠. رسالة في تصرّف الأولياء: للشيخ يوسف الدجوى، مطبوعه.

٦١. رسالة في جواز الاستغاثه والتوسّل: للسيد يوسف البطاح الأهدل الزبيدى نزيل مكّة المكرمه؛ أورد فيها أقوال العلماء من

المذاهب الأربعة، ثم قال: «ولا عبرة بمن شدّ عن السواد الأعظم، وخالف الجمهور، وفارق الجماعة فهو من المبتدعه».

٦٢. رسالة في جواز التوسّل في الردّ على محمّد بن عبد الوهاب: للعلامة مفتى فاس الشيخ مهدي الوازنانى.

٦٣. رسالة في حكم التوسّل بالأنبياء والأولياء: للشيخ محمّد حسنين مخلوف العدوى المصرى، وكيل الجامع الأزهر، مطبوعه.

٦٤. رسالة في مشاجرة بين أهل مكّة وأهل نجد في العقيدة: للشيخ محمّد ابن ناصر الحازمى اليمنى، المتوفى سنة ١٢٨٣هـ، مخطوط

في المكتبة الكتانية/ الرباط " برقم ١ / ٣٠ ك مجموعة.

٦٥. روض المجال في الردّ على أهل الضلال: للشيخ عبدالرحمن الهندى الدلهى الحنفى، مطبوع فى جدّه سنة ١٣٢٧هـ.

ص ١٠٩

٦٦. سبيل النجاة من بدعة أهل الزيغ والضلالة: للقاضي عبدالرحمن قوتى.
٦٧. سعادة الدارين فى الردّ على الفرقتين: الوهابية، ومقلدة الظاهرية: لإبراهيم بن عثمان بن محمد السمنودى المنصورى المصرى، مطبوع فى مصر سنة ١٣٢٠هـ، فى مجلدين.
٦٨. سناء الإسلام فى إعلام الأنام بعقائد أهل البيت الكرام ردّاً على عبدالعزيز النجدى فيما ارتكبه من الأوهام: لإسماعيل بن أحمد الزيدى.
٦٩. السيف الباتر لعنق المنكر على الأكابر: للسيد علوى بن أحمد الحداد، المتوفى سنة ١٢٢٢هـ.
٧٠. السيوف الصقال فى أعناق من أنكر على الأولياء بعد الانتقال: لعالم من بيت المقدس.
٧١. السيوف المشرقية لقطع أعناق القائلين بالجهة والجسمية: لعلى بن محمد الميلى الجمالى التونسى المغربى المالكى.
٧٢. شرح الرسالة الرديّة على طائفة الوهابية: للشيخ محمد عطاء الله بن محمد بن إسحاق شيخ الإسلام الرومى، المتوفى سنة ٢٢٦هـ.
٧٣. الصارم الهندى فى عنق النجدى: للشيخ عطاء المكى.
٧٤. صدق الخبر فى خوارج القرن الثانى عشر فى إثبات أنّ الوهابية من الخوارج: للشريف عبدالله بن حسن باشا بن فضل باشا العلوى الحسينى الحجازى، أمير ظفار، طبع باللادقية.
٧٥. صلح الإخوان فى الردّ على من قال على المسلمين بالشرك والكفران، فى الردّ على الوهابية لتكفيرهم المسلمين: للشيخ داود بن سليمان النقشبندى البغدادى الحنفى، المتوفى سنة ١٢٩٩هـ.
٧٦. الصواعق الإلهية فى الردّ على الوهابية: للشيخ سليمان بن عبدالوهاب شقيق المبتدع محمد بن عبد الوهاب، مطبوع.
٧٧. الصواعق والرعود: للشيخ عفيف الدين عبدالله بن داود الحنبلى، قال العلامة

ص ١١٠

علوى بن أحمد الحداد: (كتب عليه تقاريط أئمة من علماء البصرة وبغداد وحلب والأحساء وغيرهم تأييداً له وثناء عليه).

٧٨. ضياء الصدور لمنكر التوسل بأهل القبور: ظاهر شاه ميان بن عبد العظيم ميان، مطبوع.

٧٩. العقائد التسع: للشيخ أحمد بن عبد الأحد الفاروقى الحنفى النقشبندى، مطبوع.

٨٠. العقائد الصحيحة فى ترديد الوهابية النجدية: لحافظ محمد حسن السرهندى المجددى، مطبوع.

٨١. عقد نفيس فى ردّ شبهات الوهابى التعيس: لإسماعيل أبى الفداء التميمى التونسى، الفقيه المؤرخ.

٨٢. غوث العباد بيان الرشاد: للشيخ مصطفى الحمامى المصرى، مطبوع.

٨٣. فتنة الوهابية: للشيخ أحمد بن زينى دحلان، المتوفى سنة ١٣٠٤هـ، مفتى الشافعية بالحرمين، والمدرس بالمسجد الحرام فى مكة،

وهو مستخرج من كتابه الفتوحات الإسلامية المطبوع بمصر سنة ١٣٥٤هـ، مطبوع.

٨٤. فرقان القرآن: للشيخ سلامة العزامى القضاعى الشافعى المصرى، ردّ فيه على القائلين بالتجسيم ومنهم ابن تيمية و الوهابية،

مطبوع.

٨٥. فصل الخطاب فى الردّ على محمد بن عبد الوهاب: للشيخ سليمان بن عبد الوهاب شقيق محمد مؤسس الوهابية، وهذا أول كتاب

ألف ردّاً على الوهابية.

٨٦. فصل الخطاب فى ردّ ضلالات ابن عبد الوهاب: لأحمد بن على البصرى، الشهير بالقباني الشافعى.

٨٧. الفيوضات الوهيبية فى الردّ على الطائفة الوهابية: لأبى العباس أحمد بن عبد السلام البنانى المغربى.

٨٨. قصيدة فى الردّ على الصنعانى الذى مدح ابن عبد الوهاب: من نظم السيد مصطفى المصرى البولاقى، عدّة أبياتها (١٢٦) بيتاً،

مطلعها:

ص ١١١

بحمد ولّى الحمد لا الذمّ أستبدي وبالحقّ لا بالخلق للحقّ أستهدى

٨٩. قصيدة فى الردّ على الصنعانى فى مدح ابن عبد الوهاب: من نظم الشيخ ابن غلبون الليبى، عدّة أبياتها (٤٠) بيتاً، مطلعها:

سلامى على أهل الإصابة والرشد وليس على نجد ومن حلّ فى نجد

٩٠. قصيدة فى الردّ على الوهابية: للشيخ عبد العزيز القرشى العليجى المالكى الأحسائى، عدّة أبياتها، (٩٥) بيتاً، مطلعها:

ألا أيها الشيخ الذى بالهدى رُمى سترجع بالتوفيق حظاً ومغنا

٩١. قمع أهل الزيغ والإلحاد عن الطعن فى تقليد أئمة الاجتهاد: لمفتى المدينة المنورة المحدّث الشيخ محمّد الخضر الشنقيطى،

المتوفى سنة ١٣٥٣ هـ .

٩٢. محقّ التوقّل فى مسألة التوسّل: للشيخ محمّد زاهد الكوثرى.

٩٣. المدارج الستية فى ردّ الوهابية: للشيخ عامر القادري، معلّم مدار العلوم القادريّة، كرا تشى، مطبوع.

٩٤. مصباح الأنام وجلاء الظلام فى ردّ شبه البدعى النجدى التى أضلّ بها العوام: للسيد علوى بن أحمد الحداد، المتوفى سنة ١٢٢٢هـ

، طبع بالمطبعة العامرة بمصر ١٣٢٥ هـ .

٩٥. مع الدكتور على السالوس فى كتابه (مع الاثنى عشرية فى الأصول والفروع): تأليف السيد د. جاسم الموسوى، الشيخ د. شاکر

الساعدى، نشر مركز الزهراء الإسلامى، طبع بيروت ١٤٢٩ هـ .

٩٦. المقالات الوفيه فى الردّ على الوهابية: للشيخ حسن قزبک، مطبوع بتقريظ الشيخ يوسف الدجوى.

٩٧. المقالات: للشيخ يوسف أحمد الدجوى، أحد كبار مشايخ الأزهر، المتوفى سنة ١٣٦٥ هـ .

٩٨. المنح الإلهية فى طمس الضلالة الوهابية: للقاضى إسماعيل التميمى التونسى، المتوفى سنة ١٢٤٨ هـ . مخطوط بدار الكتب الوطنية

فى تونس رقم ٢٧٨٥، ومصوّرتها فى معهد

ص ١١٢

المخطوطات العربية/ القاهرة.

٩٩. المنحة الوهبيّة في الردّ على الوهابية: للشيخ داود بن سليمان النقشبندی البغدادي، المتوفى سنة ١٢٩٩ هـ. طبع في بومباي سنة ١٣٠٥ هـ.

١٠٠. المنهل السيال في الحرام والحلال: للسيد مصطفى المصري البولاقى.

١٠١. نصيحة جليّة للوهابية: للسيد محمد طاهر آل ملا الكيالى الرفاعى، نقيب أشرف إدلب، وقد أرسلها لهم، طبع بادلب.

١٠٢. النقول الشرعية في الردّ على الوهابية: للشيخ مصطفى بن أحمد الشطى الحنبلى الدمشقى، طبع في إستانبول ١٤٠٦ هـ.

١٠٣. يهودا لا حنابلة: للشيخ الأحمدي الطواهرى، شيخ الأزهر.

أقول: هذا غيض من فيض، وما لم نذكره أكثر بكثير ممّا ذكرناه، ومن طلب المزيد فعليه بمراجعته ما جمع في معجم المؤلفات الإسلامى في الردّ على الفرقة الوهابية، لمؤلفه عبدالله محمّد على، نشر مركز الزهراء الإسلاميه، حيث قام صاحبه بتصنيف هذه المؤلفات بحسب الترتيب الهجائى فى اللغة العربية، ولنعم ما فعل مؤلفه، حيث قام بجمع (٨٢٢) مصنفاً من التراث الإسلامى فى مجلد واحد؛ بهدف التسهيل على الباحث والمحقق والطالب للحقيقة فى الوصول إلى مطلوبه فى هذا المجال، نسأل الله تعالى له التوفيق، وأن يجعل له هذا السفر المبارك صدقة جارية، وعملاً ينتفع به.

الباب الثاني الدمشقية والافتراءات على الشيعة الإمامية

توطئة

إشارة

ص ١١٣

الباب الثاني الدمشقية والافتراءات على الشيعة الإمامية

وبعد هذه المقدمة الطويلة، نعود إلى ما ظهر به الشيطان من جديد وسط الأمة الإسلامية، من خلال تجليه بشيخ من شيوخ الوهابية المعاصرين، ليجدد بذلك العهد بفضيحة أسلافه، بواسطة دعوة بئسة خائفة، ليرمى بدائها غيره وينسل عنها، وكأنه نسي نفسه، وقول الآخرين فيه وفي حركته المبتدعة (الوهابية)، التي باتت اليوم تمثل بؤرة الإرهاب ونقمة الشيطان من ولد آدم؛ إذ نجدهم اليوم يقومون بإيعاز من المخبرات الماسونية المعاصرة بشن الحرب وقتل الأبرياء من الأطفال والشيوخ والنساء، مضافاً إلى إثارة الفتنة والنزاع بين الشعوب الإسلامية باسم الإسلام والدعوة إلى توحيده؛ ليسهل الطريق أمام أسيادها لاحتلال البلدان ونهب خيراتها والقضاء على شرفائها وتدمير اقتصادها، كل ذلك وهم يتذرّعون بحجة الدفاع عن المستضعفين في هذه البلاد، وحماية حقوق الناس وحياتهم، تذرّعات بدت واضحة منكشفة للناس، وأصبحت سلعة بائرة لا تنطلي حتى على عوام الناس، فضلاً عن علمائهم؛ ولكن أنى للشعوب أن تدافع عن نفسها وتحمي دينها وعدوها من أهلها، حتى باتت معاقرة هؤلاء قواعد ومعامل لقوى الإرهاب الديني والاستكبار العالمي المستعمر للبلدان، فما هي دعاة العرب وحماة الأوطان تجعل من أراضيها واقتصاد بلدها لقمه سائغاً لضرب الأبرياء، وقتل الأطفال والنساء، وواقع الأئمة الإسلامية وما تعانيه اليوم أكبر شاهد على هذه الحقيقة، فما هو برواية حتى يقال: ضعيفة، ولا حادثة تاريخية فيقال: أسطورة قد وضعتها الأقلام المأجورة، بل هي حقائق واقعية خارجية ما زلنا نعيشها

اليوم وعلى أرضنا الإسلامية المحتلّة.

وها هي الوهابية تعيد أيام أسلافها في الحجاز يوم انقلبت على الأئمة الإسلامية، وقتلت أشرافها وعلماءها وخير أبنائها، ونهبت أموالها، وسبيت نساءها، ثم تلتها غارات على اليمن والعراق ومصر، فما أشبه اليوم بأمس، حيث قامت بقتل الأبرياء وقطع رؤوسهم بمشاهدة العيان؛ بحجّة الدفاع عن الدين والتوحيد، وهي بذلك تخدم الصهاينة والأمريكان، الذين يقاتلون جنباً إلى جنبها. فماذا يريد الدمشقية بدعوته المكذوبة على الأئمة الإسلامية، التي ما برحت ساستها وقادتها تلامس يدها يد الاحتلال، وقتل الشعوب والأبرياء، في حين أن ما تلقطه الكاميرا اليوم من الصور الواضحة، أصبحت تفضح أسياده، وتكذب أجدوئته. وها هي فلسطين تستنجد بهم فلا منجد لها، وها هم يجالسون عدوهم، ويتخنعون له بتقديم أحسن المساعدات المادية والمعنوية، ثم يفتى وعاظهم بتحريم قتالهم، وتحريم من يدعو بالنصر لمن يقاتلهم. هذا هو عبدالرحمن محمّد سعيد دمشقية، يسفر عن وجه القناع، ليؤازر الوجوه الراضية بفعل اليهود مع ما يعملونه بالمسلمين، ثم لا يخجل من ذلك كلّ، فيقوم بتأليف كتاب يريد به أن يكون شاهداً تاريخياً باقياً على فضيحة نفسه وبعض أسلافه وأسياده، وإثارة ما بقي مدفوناً مستوراً، ولو لم يدعونا لكشفه لكان أفضل له ولأهله.

نبذة مختصرة عن حياة الدمشقية وعقيدته

هو عبدالرحمن محمّد سعيد دمشقية، من سكّان شارع حمد في بيروت، اشتهر عند أهل شارع بآنه عصبى المزاج سريع الغضب، يحقد على أمه المطلقة حقداً شديداً إلى درجة أنّه أراد ضربها أكثر من مرة. نشأ عبدالرحمن دمشقية في المجتمع البيروتى متعلّق القلب بالنساء والشهوات، وكان عضواً في فرقة موسيقية تقيم حفلات الرقص... بقي فترة طويلاً من حياته ينتقل من حزب

ص ١١٧

إلى آخر، ثم طرد من أزهر لبنان في العام ١٩٧٢م، بسبب فعلته الشنيعة من الشذوذ، وقد اعترف بذلك على شريط مسجل مع الشيخ جهاد الكوسا(١)، الذي كان معه على مقاعد الدراسة، وقد حاول أبوه انتشاله من بين مخالبي أهل السوء، فصحبه معه إلى فرنسا آنذاك، واستأجر له شقة بغية أن يعاونه في تجارة السيارات، فتحوّلت هذه الشقة إلى مركز للرقص والدعارة، وما لبث أبوه أن أقفلها وأرسله إلى لبنان بعد أن علم بذلك، فسافر بعد ذلك إلى السعودية وتعرّف على الحركة الوهابية المتطرّفة؛ ليكون مرّوجاً لها ولعقيدتها عقيدة التشبيه، ويتّصل من خلال لقاءاته المتعددة برؤسائها في بعض الدول الأوروبية(٢).

نسخة من الحكم بطرد عبدالرحمن بن محمّد سعيد دمشقية من أزهر لبنان

عقيدة الدمشقية في الله تعالى

١- وقد قمنا بنقل نسخة من الحكم الصادر بحقه من أزهر لبنان كشاهد على هذه الحقيقة، الذي قام بنشره موقع أهل السنة والجماعة.

٢- أنظر: <http://alqudah.ws/vb/showthread.php>

لقد صرح أحد أتباعهم المدعو عبدالرحمن محمد سعيد دمشقية اللبناني في بعض كتبه التي ألفها بإيعاز وتمويل من أسياد الوهابية بأنه لا يجوز القول بأن الله لا يتغير، وأدعى أن قائله مبتدع، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فكل عاقل يعرف أن التغير دليل الحدوث؛ لذا يقول المسلمون: سبحان الله الذي يُغير ولا يتغير.

وفي كتاب المنهاج القويم شرح شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي على المقدمة الحضرية يقول: «واعلم أن القرافي وغيره حكوا عن الشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة رضي الله عنهم القول بكفر القائلين بالجهة والتجسيم، وهم حقيقون بذلك» (١).
ومثل ذلك قال الإمام جعفر الصادق فيما رواه عنه القشيري في رسالته:

من زعم أن الله في شيء، أو من شيء، أو على شيء، فقد أشرك؛ إذ لو كان على شيء لكان محمولاً ولو كان في شيء لكان محصوراً، ولو كان من شيء لكان محدثاً. (٢).

وهذا المعتقد الحق الذي نقل الإجماع عليه أيضاً إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك في كتابه الإرشاد حيث يقول: «مذهب أهل الحق قاطبة أن الله سبحانه وتعالى يتعالى عن الحيز والتخصص بالجهات» (٣).

وقال الإمام الكبير عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي في الفرق بين الفرق: «وأجمعوا على أنه لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان» (٤).

وقال الإمام شيخ أهل السنة والجماعة بلا منازع الحافظ أبو الحسن الأشعري في كتابه النوادر: «من اعتقد أن الله جسم فهو غير عارف بربه، وأنه كافر به» (٥).

وقال الإمام المتولي الشافعي في كتابه الغنية: «أو أثبت ما هو منفي عنه بالإجماع

١- المنهاج القويم، شرح شهاب الدين ابن حجر الهيتمي على المقدمة الحضرية، ص ٢٢٤.

٢- راجع: رسالة القشيري، ج ١، ص ٥.

٣- كتاب الإرشاد، الإمام الجويني، ص ٥٨.

٤- الفرق بين الفرق، الخطيب البغدادي، ص ٣٣٣.

٥- نقلاً عن: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، ج ٢، ص ٢٧٧.

كالألوان، أو أثبت له الأتصال و الانفصال، كان كافراً» (١).

وقال الشيخ عبد الغنى النابلسي في كتاب الفتح الرباني: «من اعتقد أن الله ملأ السماوات و الأرض، أو أنه جسم قاعد فوق العرش فهو كافر و إن زعم أنه مسلم» (٢).

وفي كتاب (مجموع الفتاوى) وكتاب (شرح حديث النزول) قال: «فما جاءت به الآثار عن النبي من لفظ القعود و الجلوس في حق الله تعالى كحديث جعفر بن أبي طالب و حديث عمر أولى أن لا يماثل صفات العباد» (٣).

وقال في الصحيفة ذاتها يقول: «إذا جلس تبارك و تعالى على الكرسي سمع له أطيظ كأطيظ الرحل الجديد».

وهذا الكتاب المسمى (شرح حديث النزول) فيه بيان شدة فساد كلام ابن تيمية وبعده عن الحق، وهو كتاب مطبوع في الرياض سنة ١٩٩٣ رومية، قام بطبعه دار العاصمة، وعلق عليه محمد الخميس الذي يوافق في التشبيه و التجسيم.

واعلم أن لفظه الجلوس لم يرد إطلاقها على الله لا في القرآن و لا في الحديث من بدع ابن تيمية الكفرية و أتباعه الوهابية المشبهة و من وافقهم. وفي كتاب الدارمي (وهو عثمان بن سعيد الدارمي) وهذا المشبه توفي سنة ٥٢٨ هـ، و هو غير الإمام الحافظ السنّي أبي محمد عبدالله بن بهرام الدارمي، صاحب كتاب السنن الذي توفي سنة ٥٥٥ هـ، فلينتبه لهذا.

وفي تفسير جامع البيان للطبري، نقل رواية عبدالله بن خليفة أنه: «قال: أت امرأة النبي ٩، فقالت: ادع الله أن يدخلني الجنة! فعظم الرب تعالى ذكره، ثم قال: وإن كرسيه وسع السماوات و الأرض، و إنه ليقعد عليه فما يفضل منه إلّا قدر أربع أصابع، و أن له أطيظاً كأطيظ الرحل الجديد من ثقله» (٤).

١- نقلاً عن: الروضة، النووي، ج ١٠، ص ٦٤.

٢- الفتح الرباني، ص ١٢٤.

٣- مجموع الفتاوى، ج ٥، ص ٥٢٧؛ شرح حديث النزول، ص ٤٠٠.

٤- جامع البيان، ج ٣، ص ١٦.

ص ١٢٠

وعجيب أمر هؤلاء وأرباب الجرح والتعديل كيف يسوغ لهم نسبة هذا القول إلى النبي مع أنه صريح بالتجسيم؟! إلا إذا كانوا يرون ذلك أيضاً، فهذا أمر آخر، كما مرّ علينا تصحيح الهيئى فى مجمعه لمثل هذه الرواية.

وفى الكتاب عينه يفترى الدارمى على رسول الله أنه قال: «أتى باب الجنة فيفتح لى، فأرى ربى و هو على كرسيه، تارة يكون بذاته على العرش، وتارة يكون بذاته على الكرسى» (١).

وفى كتاب معارج القبول لحافظ الحكمى يقول: «قال النبى: إن الله ينزل إلى السماء الدنيا و له فى كل سماء كرسى، فإذا نزل إلى السماء الدنيا مد ساعديه، فإذا كان عند الصبح ارتفع فجلس على كرسيه» (٢).

وقال أيضاً - والعياذ بالله - «قال النبى: ثم ينظر - يعنى الله - فى الساعة الثانية فى جنة عدن، و هو مسكنه الذى يسكن» (٣).

وفى الكتاب المسمى (فتح المجيد شرح كتاب التوحيد)، يقول حفيد محمد بن عبد الوهاب موافقاً عقيدة أسلافه: «قال الذهبى: حدث وكيع عن إسرائيل بحديث: إذا جلس الرب على الكرسى» (٤).

والحاصل: أن القول بالتجسيم الذى نسمعه من بعض أتباع هذه الجماعة المعاصرين، فإنما هو يناغم أقوال أسلافهم فى الاعتقاد بمثل هذه العقيدة الفاسدة، كما نقلنا لك عن بعضهم قبل قليل، وهو قول مخالف لصريح النقل والعقل، والعلم الحديث، الذى لا يرى ثباتاً وبقاءً ودواماً للموجود المادى الجسمانى، بل الثابت هو أنه فى تغير وحدث دائم، ومثل ذلك لا يصح إطلاقه على المولى تبارك وتعالى المنزه كل التنزه عن التغير والتبدل والحدث بأى شكل من الأشكال، بكيف كان أو بلا كيف التى حاول البعض الهروب بها من وصمة التجسيم، حيث نسب له اليد والوجه ونحوها من الأعضاء بلا كيف، والمولى بصريح قوله يقول لهم ولجميع المجسمين: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ).

الفصل الأول الدمشقية والموقف المناصر لإسرائيل

جهل أم عداء؟

الدمشقية يشن حرباً على من حارب إسرائيل اللقيطة

إشارة

١- سنن الدارمى، عبدالله بن بهرام، ص ٧١.

٢- معارج القبول، ج ١، ص ٢٣٥.

٣- المصدر السابق، ص ٢٣٦.

٤- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، ص ٣٥٦.

ص ١٢٣

إنّ افتتاح الدمشقية كتابه بهذه الدعوة الخائرة البائسة، يكشف عن مكنون حبه وواقع أتباعه وتبعيته لأكبر عدو قد عرفه التاريخ البشرى للدين والأمة الإسلامية، بل للشعوب الإنسانية جمعاء.

ثم إنّه لم يكتف بما أفضح الله تعالى بعض أسياده وكبار مذهبه وأهل جماعته، بشنيع موقفهم المخجل أمام العالم الثالث الذى تعاطف بجميع أطرافه، مسلمهم وكافرهم، مع هذه الثلثة المجاهدة المخلصة (حزب الله)، التى بقيت تدافع عن أرضها بإيمان راسخ وعقيدة صلبة وتوكل على الله تعالى، على الرغم من عدم وجود التكافؤ فى العدة والعدد؛ فإسرائيل تمثّل من حيث العدة والعدد ووسائل الحرب الحديثة من اللحاظ المادى - مضافاً إلى من يقف وراءها- أخطر كيان عسكري فى الشرق الأوسط، يهدد المنطقة بأسرها، وها هى ومنذ عام ١٩٤٨م محتلمة للأرض العربية، متجاوزة بذلك كلّ القوانين والأعراف الدولية والمبادئ والقيم الإنسانية، ومع ذلك لا تجد من يقف بوجهها من قادة العرب وعلماء الوهابية، بل إذا كان هناك موقف من علماء الوهابية فهو للفتوى لصالح اليهود، وللتحريض على المسلمين والمجاهدين.

وهكذا فقد بدأت الحرب على جنوب لبنان العربية المسلمة، ولكن لم نسمع منهم كلمة، أو نشاهد منهم موقفاً مشرفاً إزاء الحرب المفروضة على اللبنانيين فى الجنوب، بل العكس

سمعناه من أهل الفتيا في السعودية، بتحريمهم الدعاء للمؤمنين بالانتصار، فضلاً عن الدعوة إلى الوقوف إلى جنبهم، والمشاركة معهم بالمال والنفس، وحثّهم في ذلك أنّ هذا الحزب (حزب الله) من أتباع أهل البيت: المشركين، وهم بحربهم وتصديهم ودفاعهم عن أراضيهم يقاتلون اليهود، الذين هم أصحاب الكتاب، فأخزى الله تعالى هؤلاء الدعاء وأصحاب الرأي والفتوى، وأظهر أمرهم، وفضح سرهم، وكشف سريرتهم، وبيّن عداؤهم للإسلام والمسلمين، حتّى أصبح واضحاً للقريب والبعيد، لمن يعرف إسرائيل ولمن لا يعرفها، ولمن يعرف حزب الله لبنان ولمن لا يعرفه، ولمن يعرف الوهابية ولمن لا يعرفها، كالذين انخدعوا بزخرف قولها قبل ذلك. ولكن هذه الحرب المفروضة قامت بوضع النقاط على الحروف، وأدت دورها في التعريف بحقيقة هذا الحزب، ودوره النضالي، وصدق نواياه تجاه وطنه ودينه وأبناء أمتة الإسلامية، كما أنّها كشفت عن زيف المدعيات والشعارات، التي كانت تطلقها الوهابية قبل هذه الحرب.

فتأمل في فتوى ابن جبرين المرقمة برقم (١٥٩٠٣) بتاريخ (٢١/٦/١٤٢٧ هـ ٢١/٧/١٧/٠٦/٢٠٠٦م) في جواب لسؤال وجه له، وكان نصّه: قال السائل: «هل يجوز نصره (ما يسمّى) حزب الله الرافضي؟ وهل يجوز الانضواء تحت إمرتهم؟ وهل يجوز الدعاء لهم بالنصر والتمكين؟ وما نصيحتكم للمخدوعين بهم من أهل السنّة؟»

الجواب:

قال ابن جبرين: «لا يجوز

نصره هذا الحزب الرافضي ولا يجوز الانضواء تحت إمرتهم ولا يجوز الدعاء لهم بالنصر والتمكين ونصيحتنا لأهل السنّة أن يتبرأوا

منهم، وأن يخذلوا من ينضموا إليهم، وأن يبينوا عداوتهم للإسلام والمسلمين، وضررهم قديماً وحديثاً على أهل السنة، فإن الرافضة دائماً يضمرون العدا لأهل السنة، ويحاولون بقدر الاستطاعة إظهار عيوب أهل السنة والطعن فيهم والمكر بهم، وإذا كان كذلك فإن كل من والاهم دخل في حكمهم، لقول الله تعالى: (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ) (١).

وقد تلقت إسرائيل هذه الفتوى بسرور كبير؛ إذ تعد ذلك موقفاً مناصراً لها في حربها مع حزب الله في جنوب لبنان، ولكي تكون تلك الفتوى ذريعة تتذرع بها في مواقفها الإجرامية ضد المسلمين، وبالخصوص المؤمنين في جنوب لبنان، حيث قامت بنشر هذه الفتوى في صحفتها وإعلامها، حيث جاء فيها:

«Wahhabi cleric in Saudi Arabia issues scathing fatwa against Hizbullah»

رجل دين وهابي في السعودية يصدر فتوى قاسية جداً ضد حزب الله

A leading Wahhabi cleric in Saudi Arabia has issued a scathing fatwa against Hizbullah, Fox news reported. Sheik Abdullah bin Jabreen declares it against Muslim Sharia law to support, join ,or even pray for the terror group, writing, "our advice to the Sunnis is to denounce them and shun those who join them to show their hostility to Islam and to the Muslims."

The New York Sun reports that the fatwa also condemns Iran for funding and supporting Hezbollah to further what Jabreen called its imperial ambitions. (Ynetnews)

نعم، هناك من يرى إلى مثل هذه الفتاوى وئداً للفكر الوهابي، ومانعاً لانتشاره في الأوساط غير الإسلامية، فضلاً عن الأوساط الإسلامية، التي باتت تعرف ما عليه إسرائيل وما تخطط لأجله، فينبغي على كبار الوهابية أن يقفوا موقفاً آخرأ إزاء هذه الحرب وإن كانت تصب

١- شبكة نور الإسلام <http://www.islamlight.net>

٢- رابط الخبر في الصحيفة الصهيونية يدعوت أحرونوت بالإنجليزية ١٧/٠٧/٢٠٠٦م.

بمصالحهم المتمثلة بالقضاء على التواجد الشيعي الإمامي أينما كان، ولكن ليس في مثل هذه الظروف؛ لذا هبَّ الداعية الكبير سلمان العودة بالردّ على هذه الفتاوى التكفيرية؛ حفاظاً على ماء وجه الوهابية في الأوساط العالمية، كما تنم عليه كلمته، حيث وصف إسرائيل أولاً بأنها: «العدو الإنساني المشترك الذي يدمر كل مقومات الحياة». ثم عاد ثانياً ليظهر حقه على شيعة أهل البيت:، حيث قال: «إنّ هذا الوقت ليس وقت الخلاف والشقاق، فعدونا هم الصهاينة المجرمين، الذين لم يفرقوا في عدوانهم حتّى بين الأطفال والمحاربين»^(١).

ودعا في موقعه على الإنترنت إلى نصره حزب الله في لبنان، الذي افتتح الدمشقية كتابه في التعريض به تبعاً لأسلافه ابن جبرين وغيره في وجوب محاربة التواجد الشيعي الإمامي، فقد جاء في هذه الدعوة الحثّ على: «مناصرة المقاومة المسلّحة لحزب الله في لبنان بكلّ وسيلة مشروعة»^(٢).

وانضم إلى ذلك بعض رجال الإسلام ومفكرهم في الوقوف إلى جانب حزب الله، الذي يمثّل المقاومة الإسلامية النزيهة الملتزمة، التي لم يسمع عنها في يوم من الأيام أنّها قامت بحصد أرواح الأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ في بلد من البلدان، كما نسمع في هذه الأعوام الأخيرة التجاوزات اللامسؤولة واللاشرعية واللاإنسانية لما تسمّى نفسها بالمقاومة الإسلامية التابعة لما يعرف بتنظيم القاعدة الوهابي في أفغانستان وباكستان والعراق بوجه خاص، حيث لم يبقَ شيء خفي على القاصي والداني، حيث أصبح القتل فيه على الهوية، بلا فرق كون المقتول من شيعة آل البيت: طفلاً أو امرأة أو شيخاً طاعناً بالسن، والمشاهد والأحداث طيلة الأيام المنصرمة من عام ٢٠٠٣ - ٢٠١٠م خير شاهد ودليل على ذلك، وقد كان من بين أبشع الجرائم التي ارتكبت في حقّ الإنسانية، والتي تذكّرنا بالمجازر الوحشية في التاريخ الإنساني، هي مجزرة حى العامل التي قام بها أحد الوهابيين الانتحاريين التابعين لتنظيم القاعدة في العراق بتفجير نفسه وسط مجموعة من أطفال الشيعة الأبرياء الذين كانوا

١- أنظر: موقع الداعية الوهابي سلمان العودة.

٢- أنظر: المصدر السابق.

يلعبون ويمرحون في ساحة لهم في حي العامل في بغداد، حيث خلف وراءه أربعين شهيداً بريئاً يسبحون بدمائهم الزكية، وأجسادهم موزعة في بركة من الدماء الطاهرة (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ). [الشعراء: ٢٢٧].

فهذه وغيرها من الجرائم التي نسمع أصداءها، ونشاهد صورها عبر القنوات الإعلامية العراقية، تحكى عن وحشية هذه الجماعة، وبشاعة صورتها، وانحطاط فكرها، وفساد دعوتها للجميع.

ومن جملة الفتاوى المناهضة أيضاً لفتوى ابن جبرين، ما ذكره بعض:

قال المفتي رجب أبو الملح:

إثارة للشبهات، التي تستر وراءها عجزاً بغيضاً، وهي بمثابة ورقة التوت التي يستر كثير من الناس بها عورته بعد أن فضحته الأحداث، وتركته عارياً لا يستطيع أن يستر بشيء.. أما هؤلاء الذين يتعلقون بالأوهام، ويسترون فشلهم وتخاذلهم بهذه الأشياء، فقد أصبحت دعواهم مكشوفة لكل ذي عقل (١).

وأما القرضاوى فقد وصف المقاومة في رده على مثل هذه الفتاوى اللاشرعية، حيث قال: «إنّ هذه المقاومة تمثل واحدة من أنبل مواقف هذه الأمة في القديم والحديث، ومن الواجب على كل فردٍ منا، حكماً ومحكومين، أن يقدم لها ما يستطيع من دعم» (٢).

وقال أيضاً على موقعه الإلكتروني:

إنّ المقاومة اللبنانية جهاد شرعي، وتمثل أشرف مقاومة على الأرض مع شقيقتها بفلسطين، وأنّ الشيعة جزء من الأمة الإسلامية، وواجب على كل مسلم نصره هذه المقاومة ضدّ العدو الإسرائيلي (٣).

أقول: وقد صدر منه هذا قبل الالتفاف عليه من قبل الوهابية، ليغيّر رأيه في الشيعة

١- نقلناه من موقع دبي، الإمارات العربية المتحدة التابع لـ ٢٠٠٦/ ٠٦/ ٢٨ CNN م.

٢- أنظر: موقع الشيخ يوسف القرضاوى.

٣- أنظر: المصدر السابق.

الإمامية والصوفية، وبالخصوص الصوفية في مصر، التي باتت أصدأؤها غير خفية على أحد. وأما الأتحاد العالمي لعلماء المسلمين فقد أصدر بياناً يبين فيه موقفه من هذه الحرب الإسرائيلية المدعومة ببعض الفتاوى الوهابية، جاء فيه بأن هذه المقاومة التي يديها الحزب دفاعاً عن أرضه وبلاده مشروعاً ومنسجماً مع القوانين الدولية: مواقف المقاومة الباسلة في فلسطين ولبنان، بما تمثله من ممارسته مشروعاً لحق - بل واجب - مقاومة الاحتلال بجميع الصور، مؤكداً أنه الحق الذي يقدره الإسلام وسائر الشرائع الدينية، وتنص عليه شريعة جنيف وسائر قرارات الأمم المتحدة والمنظمات الدولية (١)(٢). كما أن موقف الإخوان في مصر كان واضحاً ومناصراً للمجاهدين في جنوب لبنان، حيث جاء في بيانهم الذي أصدره محمد مهدي عاكف، والذي ابتدأه بالرد على الفتاوى التي تحرم نصره حزب الله، بقوله: إن بعض الحكومات تحاول إخفاء عجزها عن دعم المقاومة، والتغطية على وقوفها إلى جانب العدوان الإسرائيلي، والتعتت الأمريكي، من خلال إثارة مثل هذه الخلافات بين الشيعة والسنة، ومن خلال القول: إن المقاومة تعمل لصالح إيران (٣). وأما موقف أمين حزب الله العلامة السيد حسن نصر الله، فقد بين من خلال البيان المتلفز عن طريق قناة المنار التابعة لحزب الله اللبناني، حيث كان في مقام الرد على مثل هذه الفتاوى الداعمة لإسرائيل وأمريكا، حيث وصفها بأنها: «تسيء إلى وحدة الموقف، وإلى روحية المعركة (ضد إسرائيل)، معتبراً أنها (تخدم عدونا وعدو بلدنا وأمتنا)». ولكن هذه الفتاوى لم تكن عزيمة المجاهدين في المقاومة والمواجهة، التي خرجت منها وهي مرفوعة الرأس؛ إذ بقي أتباع هذا الحزب يتصدون بصلابه موقفهم وقوة إيمانهم في الدفاع عن أراضيهم العربية الإسلامية في مقابل أكبر قوة عسكرية طاغية ومتغطسة يسندها الغرب والشرق، التي مضت عليها السنون وهي تنهش في جسد الإسلام والوطن

١- نقلناه من موقع دبي، الإمارات العربية المتحدة التابع لـ ٢٠٠٦/٠٦/٢٨ CNN م.

٢- نقلناه من موقع دبي، الإمارات العربية المتحدة التابع لـ ٢٠٠٦/٠٦/٢٨ CNN م.

٣- المصدر السابق.

العربي، وتمتص دماء الفلسطينيين واللبنانيين والسوريين، بقتلها الأبرياء من أبناء هذه الدول العربية الإسلامية، وحكام العرب والمسلمين يتفرجون عليها، إن لم نقل يقدمون لها المساعدات المادية والمعنوية، كما هو واقع بعض ساسة هذه الدول، التي كشفت هذه الحرب مواقفهم المخزية في مساعدتهم لهذا العدو الغاشم.

والأدهى من هذا كله تجد في أوائل السابقين لتقديم المساعدة المعنوية لإسرائيل طيلة فترة هذه الحرب المفروضة - التي خرج فيها أتباع مذهب أهل البيت: مكللين بالنصر وكسر شوكة المعتدين - علماء الوهابية وأسيادهم - حيث مرّ علينا ذكر بعضها - لأجل حرمان الأمة الإسلامية والعربية من مساعدة هؤلاء المجاهدين مادياً ومعنوياً، وبذلك كشفت المقاومة عن زيف شعاراتهم وشعارات إسرائيل التي تطلقها باسم حقوق الإنسان، وحفظ الحريات في ظل أسيادها في الغرب، والمدافعين عنها من أصحاب البترول في دول الخليج. ولم تكن الأمة الإسلامية بحاجة إلى أن يظهر قرن الشيطان في العصر الحاضر، بعدما عاشت وتذوّقت حلاوة الانتصار العظيم على أيدي ثلّة مؤمنة مجاهدة وصابرة شجاعة، وبعد أن أخزى الله تعالى الغدّة السرطانية (إسرائيل)، التي كانت وما زالت تنهش في جسد الأمة وتمتص دماء أبنائها، وبعد كل هذا يقوم داعية الوهابية متجاهلاً وعى الأمة الإسلامية، بإكمال مهمّة أسياده وأساتذته في التظليل والتحريف للحقائق والعقائد الحقّة، فانظر مثلاً إلى فتوى الألباني: «إنّ على الفلسطينيين أن يغادروا بلادهم و يخرجوا إلى بلاد أخرى، وإنّ كلّ من بقي في فلسطين منهم فهو كافر» (١).

نعم، لو كان عبدالرحمن محمّد سعيد دمشقية يعيش في حقبة زمنية غير زمن المعركة؛ لربّما وجد من يصدّقه من السذج والجهلة الذين تخدعهم الشعارات المزيفة البراقة، كالذين انخدعوا فصدّقوا الكثير من الافتراءات والأكاذيب والدعوات المزعومة، التي رمت بها مذهب أهل البيت:.

١- أنظر: جريدة اللواء اللبنانية بتاريخ ٧/٧/١٩٩٣م، ص ١٦؛ و كتاب فتاوى الألباني جمع عكاشة عبدالمنان، ص ١٨.

ولكن نقول له ولأسياده وأتباعه: لقد أصبح أمركم واضحاً في المنطقة العربية والإسلامية، كوضح الشمس في رابعة النهار، فلا فائدة بأن تقوموا بتجديد الخطاب الوهابي ضد هذه الجماعة المؤمنة بالله تعالى، والمتمسكة بدينها، والمنتهجة لنهج نبينا ٩ وأهل بيته الأطهار، فلتسأل نفسها قبل غيرها، متى كانت محاربة لإسرائيل، واقفة إلى جنب إخوانها المؤمنين في فلسطين ولبنان وسوريا؟! ألم تكن فتاواها تقول بوجوب الخروج من القدس وتركه للصهاينة؟! هل عميت عينها عن مشاهدة المجازر الوحشية التي تقوم بها إسرائيل بذبح أبنائهم وقتل أطفالهم ونسائهم ورجالهم وشبابهم؟! نعم، ألم تقم إسرائيل باعتقال نسائهم وشيوخهم؟! وإسرائيل يوم بعد يوم توسع من مستعمراتهم، ويهدم بيوت الفلسطينيين فوق رؤوسهم، فالتهجير مازال مستمر، والتجريف دائب لا يقف، والقتل باق متزايد... فلماذا لا يفتي هؤلاء بإعلان الحرب على إسرائيل، أو بحرمة تقديم المعونة والمساعدة لها، أو بوجوب مقاطعتها مادياً ومعنوياً؟! أم أن هذا يعدّ هدماً لأهدافها وتقويضاً لأفكارها، وطرداً من قواعدها؟!

أين هو (الدمشقية) من صرخات الأمهات الفلسطينيات، وهن - كما يدعى - من أبناء ملتة وعلى دينه ومذهبه؟! فلماذا لا ينجدهن لو بفتوى - كلمة - يطلقها؟! أم أنه يخاف من أسياده وأسيادها؟!

إلى متى تبقى هذه الجماعة (الوهابية) تنهش بجسد الأمة بزرعها الفرقة وإثارة الفتنة، وعلماء المسلمين ساكتون عنها؟! هل ينتظرون حتى تنقض على كراسيهم وتمارس الدور بدلهم في الفتيا والتبليغ؟ خصوصاً وهم يرونها أصبحت تتحكم بزمام الأمر؛ إذ هي اليوم تعيش تحت مظلة أكبر دولة، وأوسعها رقعة، وأقواها اقتصاداً، بحيث أسست لها مجمع الفتيا باسم علماء المسلمين!! وإسلامها وا محمداً... وعلى الإسلام السلام إن ابتليت الأمة براع مثل هؤلاء.

وبعد كل هذه المقدمه، فإننى أضمر رأياً إلى رأى العلامة المجاهد السيد حسن نصر الله

أمين حزب الله، الذى هو رأى جميع علماء المسلمين فى الوهابية التكفيرية، وأن ما قاله لم يكن من نفسه، بل هو بذلك ينقل رأى جميع المذاهب الإسلامية فى هذه الجماعة المبتدعة، وقد تقدّم فى مدخل هذا الكتاب أننا قمنا بنقل قطرة من بحر عظيم، تشكّله مداد هؤلاء العلماء المدافعين عن الإسلام وأهله من زيغ الوهابية وأفكارها الضلالية وعقائدها الفاسدة المنحرفة، وما لم نقله فهو كثير جداً، حتى أن هناك من ذكر من الكتب المصنّفة فى الردّ على الوهابية ما يقارب ألف كتاب على ما تسنى له من الوقت وزيارة المكتبات، وإلا فإن ما ألف فى الردّ عليها من جميع المذاهب الإسلامية ما يزيد على ذلك بكثير، ولم يقف علماء المسلمين من مختلف المذاهب الإسلامية فى يوم من الأيام مكتوفى الأيدي تجاه ما تقوم به هذه الجماعة من عملية التخريب والتكفير والتقتيل وسائر الأعمال اللادينية واللا إنسانية واللا أخلاقية، كما تشهد له القنوات الإعلامية.

لم يكن العلامة السيد حسن نصر الله كاذباً عندما يتّهم هذه الجماعة بتقديم المساعدات لأعداء الدين من أمريكا وإسرائيل، فلو لم يكن إلا الفتاوى التى قالت بها علماء الوهابية فى السعودية أيام الحرب المفروضة على جنوب لبنان لكفى، كيف وأنها تقوم بأكثر من ذلك، فى قبال بعض الحركات الإسلامية التحررية المقاومة لإسرائيل وأمريكا دون أدنى شك فى نواياها أو صدق أفعالها، فمثل هذه الحركات تستحق التقدير والمدح.

كما أنه لم يكذب عندما وصفها بأنها حركة تكفيرية تكفر الشيعة وأهل السنة من غير المتبعين لأفكارها وعقائدها، فهذا هو دينها من اللحظة الأولى التى ظهرت فيها فى الأمة الإسلامية، وقد نقلنا كيف أنها حكمت بتكفير جميع المسلمين، وقامت بقتلهم فى الحجاز واليمن ومصر والعراق وغيرها.

قال محمد الكثيرى:

فانتشرت الفتن، وعمّت البلوى، وتجنّد علماء أهل السنة بادئ الأمر للردّ على الشيخ وأتباعه، وبعث كل ما قيل حول آرائه من نقض وردود، بالإضافة إلى تأليفات جديدة، لكن الانحصر أصاب هذه الحركة، ليس فقط بسبب طوفان الكتب التى تنشر هذا المذهب

وتدعو له، والتي أغرقت سوق الكتاب الإسلامي، حيث يطبع قسم كبير منها طباعة فاخرة ويوزع بالمجان وخصوصاً "مجموع فتاوى الشيخ"، ولكن بسبب الإرهاب الفكرى الذى يمارسه القائمون على هذه الدعوة - السلفية - وذلك برمى خصومهم بالابتداع والضلال والكفر، ومحاولة تشويه سمعتهم لدى أبناء الصحوه الإسلاميه الذين انجر كثير منهم لاعتناق هذه الأفكار ظناً منه أنه يتبع السلف الصالح، وأنه يبتعد بذلك عن الانحراف والشرك (١).

وقال فى وصف منهجهم اليوم فى التبليغ بأنه:

يجعل من العنف والتهجم على المخالفين ورميهم بكل أنواع السباب والشتم ونهش أعراضهم، النهج القويم الذى يتم من خلاله نشر عقائد وأفكار دعاة السلفية، فإثارة الفتن ونشر البغضاء بين فئات المجتمع الإسلامى، وتعميق الخلافات المذهبية وصولاً إلى الطائفية البغيضة، غدت من مميزات التحرك السلفى، فحيث تستعر نار الطائفية والخلافات المذهبية، تجد هناك دون شك أو ريب عقل سلفى وهابى حنبلى يؤجج هذه النار ويمدّها بالوقود كى تشتعل أكثر وتدوم، ولا شك أن هذه النار قد أحرقت مساحات واسعة من أراضى التفاهم والتسامح التى كانت سائدة بين مجمل الفرق والمذاهب الإسلاميه، خصوصاً بين الشيعة والسنة (٢).

ويقول الشيخ محمد زاهد الكوثرى فى كتابه (الإشفاق على أحكام الطلاق):

و لو قلنا لم يبل الإسلام فى الأدوار الأخيرة بمن هو أضرب من ابن تيمية فى تفريق كلمة المسلمين لما كنا مبالغين فى ذلك، وهو سهل متسامح مع اليهود يقول عن كتبهم: إنها لم تحرف تحريفاً لفظياً (٣).

١- السلفية بين أهل السنة والإمامية، محمد الكثرى، ص ٢٩٤.

٢- المصدر السابق، ص ٤٦٧.

٣- الإشفاق على أحكام الطلاق، ص ٧٢، قال ذلك بعد أن قرأ ما ذكره الحافظ أبو سعيد العلانى شيخ الحافظ العراقى فيما رواه الحافظ المحدث المؤرخ شمس الدين بن طولون فى كتابه ذخائر القصر ص ٩٦، وهو مخطوط عن ابن تيمية أنه قال: «إن التوراة لم تبدل ألفاظها، بل هى باقية على ما أنزلت، وإنما وقع التحريف فى تأويلها، و له فيه مصنف، أى: لابن تيمية».

وعن كتاب الفتنة الكبرى في الردّ على الوهابية لأحمد بن زيني دحلان مفتي مكة المتوفى ١٣٠٤ هـ ، قال:
 أمّا التاريخ فيشهد بأنّ الوهابيين في سنة ١٢١٧هـ قد شنّوا هجوماً على مدينة الطائف الواقعة على بُعد اثني عشر فرسخاً عن مكة،
 وارتكبوا المجازر الوحشية، وعاثوا في الأرض الفساد، وقتلوا مجموعة كانت قد خرجت من المدينة، وبعد ذلك نهبوا المدينة،
 وحطموا المنازل. لقد ترك الوهابيون طائفة من المسلمين رجالاً- ونساءً عرايياً في الصحراء، مخالفين لما دلّ على احترام المسلم
 وعرضه، ثمّ اشترطوا عليهم بعد ثلاثة عشر يوماً أن يعتنقوا الوهابية حتّى يعرضوا عن قتلهم(١).

كتب جميل صدقي الزهاوي حول مذبحة شعب الطائف ما يلي:

من أشنع أعمال الوهابيين المجازر الجماعية، حيث لم ينل استرحامهم صغير ولا كبير، فقد ذبحوا الرضيع في حجر أمه، بل حتّى
 أولئك الذين كانوا مشغولين بقراءة وتعلم القرآن، ولأنّ الناس لم يبقوا في المنازل فقد اقتحموا الدكاكين والمساجد، وقتلوا كلّ من
 كان هناك، حتّى أولئك الذين كانوا في حالة الركوع والسجود، ثمّ رموا بالكتب والمصاحف وبعض الصحاح كصحيح البخاري
 ومسلم التي كانت في حوزتهم بالأزقة ووطأوها بأقدامهم، لقد حدثت هذه الواقعة في سنة ١٢١٧ قمرى(٢).

وعليه فعندما يقول العلامة أمين حزب الله بأنّها تأمر بقتل المسلمين من مختلف المذاهب من الشيعة والسنة، فهو صادق في قوله هذا؛ إذ
 لم تجد لهذه الجماعة سلاحاً غير التكفير والقتل، وهم بذلك يخالفون القرآن الكريم الذي يأمر المسلمين بأن يجادلوا الناس بالحكمة
 والموعظة الحسنة (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [النحل: ١٢٥]، فلمّا يخص السيد
 بحديثه الحركات الوهابية؛ لأنّه يراها لا تقوم بواجبها الديني تجاه المسلمين وأعداء الدين؛ إذ لا تدعو إلى تحرير فلسطين، فضلاً عن
 القيام بمهمة

١- الفتنة الكبرى في الردّ على الوهابية، ص ٣٩.

٢- نقلاً عن: مخالفة الوهابية للقرآن والسنة، عمر عبد السلام، ص ٧٨.

ص ١٣٤

عملية ضد الصهاينة، بل كل ما تسعى من أجله هو التطبيع في العلاقات مع إسرائيل، وتقديم المعونة والمساعدة له، ولذا قال في معرض حديثه: إننا لا نقبل أن تحسبوا الحركة الوهابية على الإسلام، وعلى الصحوه الإسلامية؛ وذلك لشناعه أفعالها التي تقوم بها ضد الدين الإسلامي وأهله، بعكس الحركات الإسلامية الأخرى التابعة لمختلف المذاهب الإسلامية، وهذا ما شهد وقال به علماء أهل السنه قبل السيد حسن نصر الله.

ثم إن السيد في الوقت الذي يدعو فيه إلى توحيد الصف ونبذ الاختلافات بين المسلمين، يرى أن من واجبه الشرعي أن يبين للأمة الإسلامية أهداف هذه الحركة، وذلك بعد انكشاف أمرها، وزيف شعاراتها تحت مظلة التوحيد ونبذ الشرك والوثنية، حتى لا تنساق أبناء الأمة والعوام من الناس وراء هذه الشعارات البراقه، وحتى لا يتهم الإسلام بأنه دين الإرهاب والدم، كما أرادت له هذه الجماعة المبتدعه، التي تحاكي بفعلها فعل الخوارج، فالإسلام دين محبه ووثام وسؤدد، وداعية إلى الخير والصلاح والتقدم، وهي دعوة إلى نصره الحق وإنصاف المظلوم، وتحريم التجاوزات، وإقامة العدل وبسط الأمن والاستقرار، ودعوة إلى التحرر الفكري ونبذ الجمود العقلي ومحاربة الجاهلية والأمية، ونحوها من الدعوات الإصلاحية التي من شأنها أن تبين للعالم بأن الإسلام دين ونظام متكامل للحياة وتحقيق السعادة الكبرى في الدارين، وبإمكانه أن يلبي جميع متطلبات البشر على مختلف مستوياتها المادية والمعنوية. وهذا ما لا تدعو إليه الوهابية بمحاربتها للمسلمين، وتطلعاتهم المستقبلية.

الماصل:

أولاً: لم يكن السيد العلامة حسن نصر الله زعيم حزب الله - أول من وقف بوجه الجماعة التكفيرية الوهابية، واتهمها بالعمل ضد المسلمين، ولصالح أعداء الدين، بل قد سبقه جل علماء السنه في ذلك؛ وقد نقلنا لك آراء وتصريح بعضهم بأن هذه الجماعة مبتدعه في الدين، قولاً وفتوى؛ وحكمهم بكفر هذه الجماعة.

ص ١٣٥

وثانياً: لم يكن السيد العلامة حسن نصر الله أو من تبرأ من أفعال هذه الجماعة المكفرة لأهل القبلة منذ تأسيسها، حتى لا تحسب على الإسلام والمسلمين، بل هناك العديد ممن تدعى الانتساب إليه يتبرأ منها ومن أفعالها الشنيعة كالحنابلة؛ خوف لحقوق العار بها، وأنها سيتصبح لعنة على ألسنة التاريخ.

وثالثاً: أن براءة العلامة المجاهد أمين حزب الله من أفعالها الفاسدة، يريد أن يبين للعالم بأن الإسلام دين محبة وسلام، وأن ما ترونه من أفعالها، فالمسلمين كلهم يتبرأون منه، وأن هذه الجماعة التي بدأت تعرف اليوم بالقاعدة الإرهابية، هي جماعة شاذة تحارب الإنسانية باسم الإسلام والدعوة إلى التوحيد ونبد الشرك، وهي بالشرك والكفر أولى.

رابعاً: أن مصدر دعوى الدمشقية عبارة عما نشرته إحدى الصحف والجرائد، دون أن يذكر لنا تاريخ النشر والعدد، وحتى على فرض صدور ذلك، فالسيد لا يعدّ بذلك مخالفاً لإجماع علماء المسلمين في رأيهم حول الوهابية، ويكفي المسلمين مطالعة ما خطته أياديهم في الرد على الوهابية.

الفصل الثاني نفى ظاهرة تحريف القرآن عند الإمامية

اتهام الشيعة بالقول بتحريف القرآن الكريم باطل (رمتني بدائها وانسلت)

الجواب النقضي

ص ١٣٧

الفصل الثاني نفى ظاهرة تحريف القرآن عند الإمامية

اتهام الشيعة بالقول بتحريف القرآن الكريم باطل (رمتنى بدائها وانسلت)
لقد أكثر الوهابية التهريج والضجيج هنا وهناك بقولهم: إن الشيعة الإمامية
لا تؤمن بالقرآن الكريم المتداول بين المسلمين، وأن لها قرآناً آخرًا، تزعم أنه الكتاب
الوحيد غير المحرّف، وأن هذا القرآن الذي موجود عند المسلمين محرف، ولكن سرعان
ما تتبدد هذه الفرية بالرجوع إلى أقوال كبار علماء المذهب الإمامي مذهب أهل البيت: بل قد تكون هذه الفرية كاشفة عن خفايا
طالما حاول المفترى تغطيتها وتعيمها بكثرة الضجيج والتهريج على الشيعة الإمامية برميهم بهذه التهمة الباطلة، وهو يعلم جيدًا بأنه لا
يوجد في مكاتب وبيوتات الشيعة نسخ للقرآن الكريم غير القرآن المتداول بين أيدي جميع المسلمين.
وعلى أيّ حال، ومماشاة مع البحث العلمي نقوم بسوق الأدلة والأجوبة عن هذه الفرية الباطلة؛ إذ لم تكن هذه التهمة وليدة الساعة، بل
كانت ومنذ أمد بعيد يتبجح بها خصوم الإمامية بهدف الحدّ من انتشار مذهب أهل البيت: بين الناس، ولذا رأينا أن نكشف الغطاء عمّا
ستره، فبدأنا أولاً بذكر الجواب الناقض لأساس هذه الفرية، وهو عبارة عن مجموعة الآراء والأقوال لكبار علماء المسلمين، ومحدثيهم
وحفاظهم، في نقل أحاديث في كتبهم الصحاح والمعتبرة، وإليك بيانه:

هنا العديد من الروايات تصرّح بتحريف القرآن ونقص في آياته في كتب الصحاح، فقد أخرج مسلم في صحيحه، أن أبا موسى الأشعري بعث إلى قراء البصرة، فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصرة وقراءؤهم، فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة براءة فأنسيتها، غير أنني قد حفظت منها (لو كان لابن آدم واديان من مال لا بتغي وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب) وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات فأنسيتها، غير أنني حفظت منها (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة)(١).

وأخرج البخاري في صحيحه، أنه كان عمر بن الخطاب يزعم أن آية الرجم كانت تقرأ في حياة النبي، إلا أنها نسيت فيما بعد لسبب غير معروف، وهذا ما يسجله البخاري من أن عمر خطب قائلاً:

إن الله بعث محمداً بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها، فلذا رجم رسول الله ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس الزمان أن يقول قائل: والله، ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حق على من زنى، إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة، أو كان الحبل، أو الاعتراف(٢).

وهي آية أخرى زعم عمر أنها أسقطت من القرآن الكريم، حيث قال: «إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله (أن لا ترغبوا عن آبائكم، فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم)(٣). وواضح أن هذه الآية لا تنسجم مع الأسلوب القرآني في عرض الآيات الكريمة.

١- صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٠٠.

٢- صحيح البخاري، ج ٨، ص ٢٦.

٣- المصدر السابق.

وما أخرجه أحمد في مسنده عن زر بن حبيش، قال:

قال لى أبى بن كعب: كائن تقرأ سورة الأحزاب أو كائن تعدّها قال: قلت له: ثلاثاً وسبعين آية، فقال: قط لقد رأيتها وأنها لتعادل سورة البقرة، ولقد قرأنا فيها الشيخ والشيخ إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عليم حكيم (١).

وعلق عليه ابن كثير بقوله: «رواه النسائي من وجه آخر عن عاصم، وهو ابن أبى النجود، وهو ابن بهدله به، وهذا إسناد حسن» (٢). ثم قال: «وهو يقتضى أنه قد كان فيها قرآن، ثم نسخ لفظه وحكمه أيضاً» (٣). فهل يعقل هذا النسخ لسورة كسورة البقرة فى الحجم؟! كما أخرج أحمد أيضاً عن أبى بن كعب، أنه قال: «تقرأون سورة الأحزاب؟ قال: بضعاً وسبعين آية، قال: لقد قرأتها مع رسول الله ٩ مثل البقرة أو أكثر منها، وأن فيها آية الرجم» (٤).

روى نافع عن ابن عمر أنه قال: «لا يقولن أحدكم: قد أخذت القرآن كله، وما يدريه ما كله؟ قد ذهب منه قرآن كثير، ولكن ليقول: قد أخذت منه ما ظهر» (٥).

قال الآلوسى: «والروايات فى هذا الباب أكثر من أن تحصى» (٦).

وهذا معناه أن القرآن قد نقص منه آيات، وهو بعينه القول بالتحريف الذى يتهم به الإمامية، خصوصاً وأن من بينهم أحمد بن حنبل مؤسس ورئيس المذهب الحنبلى المعروف.

ما أخرجه الحاكم الحسكاني فى شواهد التنزيل بسنده عن شفيق، قال: «قرأت فى

١- مسند أحمد بن حنبل، ج ٥، ص ١٣٢، وأحمد إمام المذهب الحنبلى وفقهه.

٢- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٣، ص ٤٧٣.

٣- المصدر السابق، ص ٤٧٣.

٤- مسند أحمد، ج ٥، ص ١٣٢.

٥- الدر المنثور، السيوطى: ج ١، ص ٢٥٨.

٦- روح المعانى، الآلوسى: ج ١، ص ٢٥.

مصحف عبدالله وهو ابن مسعود: أن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران وآل محمد علي العالمين» (١).
قال القرطبي في تفسيره: «وفي بعض المصاحف: أكاد أخفيها من نفسي، فكيف أظهركم عليها» (٢).
وما أخرجه البخاري في صحيحه:

كانت عكاظ ومجنية وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية، فلما كان الإسلام فكأنهم تأثموا فيه، فنزلت: ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج، قرأها ابن عباس (٣).
ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي يونس مولى عائشة أنه قال:

أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفاً وقالت: إذا بلغت هذه الآية فإذني: حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى، فلما بلغت آذنتها فأملت على حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى و صلاة العصر وقوموا لله قانتين، قالت عائشة: سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤).

أخرج مسلم عن عائشة قالت: «كان فيما أنزل الله من القرآن عشر رضعات معلومات يحرم من، ثم نسخن بخمس معلومات، فتوفى رسول الله وهن فيما يقرأ من القرآن» (٥)، ونقل عنها ابن ماجه قولها: «ولقد كان في صحيفة تحت سريري، فلما مات رسول الله ٩ وتشاغلنا بموته دخل داجن فأكلها» (٦).

ما أورده الثعلبي في تفسيره عن الجزائري، أنه قال: سمعت منادياً ينادي: «إِنَّ اللَّهَ

١- شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني، ص ١٥٢.

٢- تفسير القرطبي، ج ١١، ص ١٨٥.

٣- صحيح البخاري، ج ٣، ص ٤.

٤- صحيح مسلم، ج ٢، ص ١١٢؛ مسند أحمد، ج ٦، ص ٧٣، وغيرها من كتب السنن.

٥- صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٦٧.

٦- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني: ج ١، ص ٦٢٥.

ص ١٤٣

اضطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين، واصطفى الحسن البصرى على أهل زمانه» (١).
قال السيوطى فى الإتقان:

وقال البغوى فى شرح السنّة: الصحابة جمعوا بين الدفتين القرآن الذى أنزله الله على رسوله من غير أن زادوا أو نقصوا منه شيئاً خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظته فكتبوه كما سمعوا من رسول الله من غير أن قدموا شيئاً أو أخرّوا، أو وضعوا له ترتيباً لم يأخذه من رسول الله، وكان رسول الله يلقن أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذى هو الآن فى مصاحفنا، بتوقيف جبريل إياه على ذلك وإعلامه عند نزول كلّ آية أن هذه الآية تكتب عقب آية كذا فى سورة كذا، فثبت أن سعى الصحابة كان فى جمعه فى موضع واحد لا فى ترتيبه، فإنّ القرآن مكتوب فى اللوح المحفوظ على هذا الترتيب أنزله الله جملة إلى السماء الدنيا، ثم كان ينزله مفزقاً عند الحاجة، وترتيب النزول غير ترتيب التلاوة (٢).

وقال ابن حجر فى شرح البخارى: «قد اعتنى بعض الأئمة ببيان ما نزل من الآيات بالمدينة فى السور المكية قال: وأما عكس ذلك وهو نزول شيء من سورة بمكة تأخر نزول تلك السورة إلى المدينة فلم أره إلّا نادراً» (٣).

أقوال علماء السنة بأن الإمام على قام بجمع القرآن

تعترف المدرسة السنية وتقر بأن الذى جمع القرآن هو أمير المؤمنين ٧، فقد أخرج عدّة من الحفاظ بسند إلى محمد بن سيرين، قال: لما مات النبى صلى الله عليه وآله وسلم جلس على فى بيته فلم يخرج فقيل لأبى بكر: إن علياً لا يخرج من البيت كأنه كره إمارتك. فأرسل إليه فقال: أكرهت إمارتى: فقال: ما

١- تفسير الثعلبى، ج ٣، ص ٥٣.

٢- الإتقان فى علوم القرآن، جلال الدين السيوطى، ج ١، ص ١٧٠.

٣- فتح البارى شرح صحيح البخارى، ج ٩، ص ٣٧.

كرهت إمارتك ولكنى أرى القرآن يزداد فيه فحلفت أن لا أرتدى برداء إلا للجمعة حتى أجمعه (١).

وأخرج أبو نعيم الأصبهاني بالإسناد عن عبد خير، عن علي قال:

لما قبض رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم أقسمت أو حلفت أن لا أضع ردائي عن ظهري حتى أجمع ما بين اللوحين، فما وضعت ردائي عن ظهري حتى جمعت القرآن (٢).

وأخرج الحاكم الحسكاني بالإسناد عن عبد خير عن يمان، قال:

لما قبض النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم أقسم علي أو حلف أن لا يضع رداءه على ظهره حتى يجمع القرآن بين اللوحين، فلم يضع رداءه على ظهره حتى جمع القرآن (٣).

وأخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى بالإسناد عن ابن سيرين قال:

نبئت أن علياً أبطأ عن بيعه أبي بكر، فلقية أبو بكر، فقال: أكرهت إمارتي؟ فقال: لا، ولكني آليت بيمين أن لا أرتدى بردائي إلا إلى الصلاة حتى أجمع القرآن. قال: فزعموا أنه كتبه على تنزيله، قال محمد بن سيرين: فلو أصيب ذلك الكتاب كان فيه علم. قال ابن عون: فسألت عكرمة عن ذلك الكتاب فلم يعرفه (٤).

وأخرج نحو ذلك الحافظ ابن عساكر في تاريخه (٥).

أقول: ودعوى أن هذا من باب نسخ التلاوة أو نحوها، باطل على حد قول أحد علماء السنة ومفكرهم المعاصرين المعروفين، وهو الدكتور صبحي الصالح، حيث قال:

أمّا الجراءة العجيبة ففي الضربين الثاني والثالث اللذين نسخت فيهما بزعمهم آيات معينة، إمّا مع نسخ أحكامها وإمّا من دون نسخ أحكامها، والناظر في صنيعهم هذا

١- المستدرک علی الصحیحین، ج ١، ص ٣٨.

٢- حلیة الأولیاء، لأبی نعیم الأصفهانی، ج ١، ص ٦٧؛ وكذا نقله عنه: تذکرة الحفاظ، الذهبی، ج ٣، ص ٦٦١؛ سير أعلام النبلاء، الذهبی، ج ١٤، ص ٢٢؛

٣- شواهد التنزیل للحاکم الحسکانی، ج ١، ص ٣٧.

٤- الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج ٢، ص ٣٣٨.

٥- تاریخ مدینة دمشق، ابن عساكر، ج ٤٢، ص ٣٩٩.

سرعان ما يكتشف فيه خطأ مركباً، فتقسيم المسائل إلى أضرب إنما يصلح إذا كان لكل ضربٍ شواهد كثيرة أو كافية على الأقل ليتيسر استنباط قاعدة منها، وما لعشاق النسخ إلا شاهد أو اثنان على كل من هذين الضربين، وجميع ما ذكره منها أخبار آحاد، ولا يجوز القطع على إنزال القرآن ونسخه بأخبار آحاد لا حجة فيها (١).

أقوال فقهاء وعلماء الإمامية المتقدمين في نفي التحريف

قال شيخ المحدثين، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين الصدوق (ت ٣٨١هـ) في رسالته (الاعتقادات):

اعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد ٩ هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك، وعدد سوره على المعروف مائة وأربع عشرة سورة. وعندنا تعدد (والضحى) و (ألم نشرح) سورة واحدة، و (إيلاف) و

(ألم تر كيف) سورة واحدة. ثم قال: «ومن نسب إلينا أنا نقول: إنه أكثر من ذلك فهو كاذب» (٢).

وقال عميد الطائفة محمد بن محمد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣) في كتابه (أوائل المقالات)، وكذا في كتابه (المسائل السروية) الذي وضعه لبيان أصول المسائل الإسلامية فيما تفرق فيه الشيعة الإمامية عن غيرهم من أهل العدل:

وقد قال جماعة من أهل الإمامة: إنه لم ينقص من كلمة ولا من آية ولا من سورة، ولكن حذف ما كان مثبتاً في مصحف أمير المؤمنين ٧ من تأويله وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله، وذلك كان ثابتاً منزلاً وإن لم يكن من جملة كلام الله تعالى الذي هو القرآن المعجز، وقد يسمّى تأويل القرآن قرآناً... (٣).

وقال أيضاً: «وعندى أن هذا القول أشبه [أى: أقرب في النظر] من مقال من ادعى

١- مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح: ٢٦٥.

٢- الاعتقادات، للشيخ الصدوق، ص ٨٤.

٣- أوائل المقالات، الشيخ المفيد، ص ٨١؛ المسائل السروية، الشيخ المفيد: ص ٨٠.

نقصان كلم من نفس القرآن على الحقيقة دون التأويل، وإليه أميل» (١).
وقال أيضاً:

وأما الزيادة فيه فمقطوع على فساده من وجه ويجوز صحتها من وجه، فالوجه الذى أقطع على فساده أن يمكن لأحد من الخلق زيادة مقدار سورة فيه على حدّ يلتبس به عند أحد من الفصحاء، وأما الوجه المجوّز فهو أن يزداد فيه الكلمه والكلمتان والحرف والحرفان وما أشبه ذلك، مما لا يبلغ حدّ الإعجاز ويكون ملتبساً عند أكثر الفصحاء بكلم القرآن، غير أنه لا بدّ متى وقع ذلك من أن يدل الله عليه، ويوضّح لعباده عن الحقّ فيه، ولست أقطع على كون ذلك، بل أميل إلى عدمه وسلامة القرآن عنه، ومعنى بذلك حديث عن الصادق جعفر بن محمد (٢).

وقال فى (أجوبة المسائل السروية):

فإن قال قائل: كيف يصحّ القول بأنّ الذى بين الدفين هو كلام الله تعالى على الحقيقة من غير زيادة فيه ولا نقصان، وأنتم تروون عن الأئمة: أنهم قرأوا (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)، (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)، وقرأوا (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ)، وهذا بخلاف ما فى المصحف الذى فى أيدي الناس؟

قيل له: قد مضى الجواب عن هذا، وهو: أنّ الأخبار التى جاءت بذلك أخبار آحاد لا يقطع على الله تعالى بصحتها، فلذلك وقفنا فيها ولم نعدل عمياً فى المصحف الظاهر، على ما أمرنا به حسب ما بيناه. مع أنّه لا ينكر أن تأتى القراءة على وجهين منزّلين: أحدهما: ما تضمّنه المصحف، والثانى: ما جاء به الخبر، كما يعترف به مخالفونا من نزول القرآن على أوجه شتى (٣).

وقال الشريف المرتضى، على بن الحسين علم الهدى (ت ٤٣٦هـ) فى رسالته الجوابية الأولى عن (المسائل الطرابلسيات):

١- أوائل المقالات، ص ٨١.

٢- المصدر السابق، صص ٨١ و ٨٢.

٣- المسائل السروية، صص ٨٢ و ٨٤.

ص ١٤٧

إنّ العلم بصحّة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة وأشعار العرب المسطورة، فإنّ العناية اشتدّت والدواعى توفّرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حدّ لم يبلغه فيما ذكرناه؛ لأنّ القرآن معجزة النبوة ومأخذ العلوم الشرعيّة والأحكام الدّينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية، حتّى عرفوا كلّ شيء اختلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيّراً ومنقوصاً، مع العناية الصادقة والضبط الشديد(١).

وقال أيضاً:

إنّ العلم بتفسير القرآن وأبعاضه في صحّة نقله كالعلم بجملته، وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنّفة، ككتاب سيويه والمزني، فإنّ أهل العناية بهذا الشأن يعلمون من تفصيلهما ما يعلمونه من جملتهما، حتّى لو أنّ مدخلاً أدخل في كتاب سيويه باباً في النحو ليس من الكتاب لعرف وميّز وعلم أنّه ملحق وليس من أصل الكتاب، وكذلك القول في كتاب المزني، ومعلوم أنّ العناية بنقل القرآن وضبطه أصدق من العناية بضبط كتاب سيويه ودواوين الشعراء(٢).

وذكر أخيراً:

أنّ من خالف في ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتدّ بخلافهم، فإنّ الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة ظنّوا صحّتها، لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحّته(٣).

وقال شيخ الطائفة، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠) في مقدّمه تفسيره (التيان):

وأما الكلام في زيادته ونقصانه فمما لا يليق بهذا الكتاب المقصود منه العلم بمعاني القرآن؛ لأنّ الزيادة منه مجمع على بطلانها، والنقصان منه فالظاهر أيضاً من مذهب

١- نقلاً عن: مجمع البيان، الطبرسي، ج ١، ص ١٥.

٢- مجمع البيان، ج ١، ص ١٥.

٣- الاحتجاج، الطبرسي، ج ١، ص ٣٧٨.

المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبننا، وهو الذى نصره المرتضى، وهو الظاهر فى الروايات، غير أنه رويت روايات كثيرة من جهة الخاصية والعامية بنقصان كثير من آى القرآن، ونقل شىء منه من موضع إلى موضع، طريقها الآحاد التى لا توجب علماً ولا عملاً، والأولى الإعراض عنها، وترك التشاغل بها؛ لأنه يمكن تأويلها(١).

وقال أبو على الفضل بن الحسن الطبرسى (ت ٥٤٨هـ) فى (مقدمة التفسير):

والكلام فى زيادة القرآن ونقصانه مما لا يليق بالتفسير، أما الزيادة فيه فمجمع على بطلانه، وأما النقصان منه: فقد روى جماعة من أصحابنا، وقوم من حشوية العامية، أن فى القرآن تغييراً ونقصاناً، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه، وهو الذى نصره المرتضى واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء(٢).

فهؤلاء عمدة علماء الإمامية من فقهائنا وأعلامنا المتقدمين وعليهم المعول، أما ما ذكره عن بعض الشيعة الإمامية من لا يرقى إلى هذا المستوى العلمى فهو أمر راجع له، ليس بالضرورة الأخذ بقوله والاعتماد عليه، فما من مذهب من المذاهب الإسلامية يخلو من وجود هؤلاء، ولكن العمدة هو قول من يمثل مرجعاً من مراجع الدين، وما سواهم فلا يعدّ معياراً يعتمد عليه فى تقييم وتمثيل المذهب.

أقوال المعاصرين من فقهاء وعلماء الإمامية فى نفي التحريف

قال الشيخ العلامة محمد كاشف الغطاء فى كتابه (أصل الشيعة وأصولها): «إنّ الكتاب الموجود بين المسلمين هو الكتاب الذى أنزله الله إليه للإعجاز والتحدّى، ولتعليم الأحكام، وتمييز الحلال من الحرام، وأنه لا- نقص ولا- تحريف، ولا- زيادة فيه، وعلى هذا إجماعهم»(٣).

وقال العلامة البلاغى فى تفسيره: «(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) ولئن سمعت فى الروايات الشاذة فى تحريف القرآن وضياع بعضه فلا تقم لتلك الروايات وزناً، وقل ما يشاء

١- التبيان فى تفسير القرآن، الطوسى، ج ١، ص ٣.

٢- تفسير مجمع البيان، ج ١، ص ٤٣.

٣- راجع: أصل الشيعة وأصولها، للشيخ كاشف الغطاء، ص ٢٢٠.

العلم في اضطرابها ووهنها وضعف روايتها ومخالفتها للمسلمين»(١).

وقد وصفه الشيخ الفقيه المعاصر لطف الله الصافي بقوله:

وممن قنّد القول بالتحريف زيادةً ونقيصه، وردّ كلّ شبهة في ذلك، بأنّ بيان وأوضح برهان، العالم الجليل المفسّر المتكلم المجاهد الشيخ محمّد جواد البلاغي صاحب الكتب الممتعة، والتصانيف القيّمة، في مقدّمة تفسيره المعروف والمسّمى بآلاء الرحمن، فإنّه قد أدّى حقّ المقام، ودافع عن قداسة القرآن، وأظهر الحقّ وأبطل الباطل، فراجعه حتّى تعرف قيمة خدمات الشيعة للإسلام والقرآن، وغيرتهم على الدين والكتاب(٢).

وقال أيضاً في حقّ القرآن:

لا يقول أحد من الإمامية لا قديماً ولا حديثاً: إنّ القرآن مزيد فيه قليل أو كثير فضلاً عن كلّهم، بل كلّهم متّفقون على عدم الزيادة، ومن يعتد بقوله من محققهم متّفقون على أنّه لم ينقص منه(٣).

وقال السيّد عبد الحسين شرف الدين العاملي في كتابه الفصول المهمّة:

والقرآن الحكيم لا- يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، إنّما هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس، لا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفاً، ولا تبدل فيه لكلمة بكلمة، ولا لحرف بحرف، وكلّ حرف من حروفه متواتر في كلّ جيل تواتراً قطعياً إلى عهد الوحي والنبوة، وكان مجموعاً على ذلك العهد الأقدس مؤلفاً على ما هو عليه الآن، وكان جبرئيل يعارض رسول الله مراراً عديدة، وهذا كلّ من الأمور المعلومة لدى المحققين من علماء الإمامية، ولا عبرة بالحشوية فإنّهم لا يفقهون(٤).

وقال العالم المفسّر الشيخ محمّد النهاوندي في مقدّمة تفسيره (نفحات الرحمن):

قد ثبت أنّ القرآن كان مجموعاً في زمان النبي ٩، وكان شدّة اهتمام المسلمين في حفظ

١- راجع: تفسير آلاء الرحمن، العلامة جواد البلاغي، ج ١، صص ٢٥ و ٢٦.

٢- مجموعة الرسائل، للشيخ لطف الله الصافي، ج ٢، ص ٣٦٦.

٣- المصدر السابق، ص ٢٦٧.

٤- الفصول المهمّة في تأليف الأئمة، السيّد عبد الحسين شرف الدين، ص ١٧٥.

ذلك المجموع بعد النبي ٩ وفي زمان احتمال بعض وقوع التحريف فيه، كاهتمامهم في حفظ أنفسهم وأعراضهم (١).
وممن صنّف في الإمامية في ردّ شبهة التحريف العالم الرئيس السيّد محمّد حسين الشهرستاني، فإنّه صنّف في ذلك كتاباً أسماه
(رسالة في حفظ الكتاب الشريف عن شبهة القول بالتحريف):

لا شبهة في أنّ هذا القرآن الموجود بين الدفتين منزل على رسول الله ٩؛ للإعجاز وللتسالم على نفي زيادة الآية والسورة فيها، والشك
إنّما هو في نزول ما عداه إعجازاً والأصل عدمه (٢).

وقال الفقيه الشيخ لطف الله الصافي:

ولنعم ما أفاده العلامة الفقيه، والمرجع الديني السيّد محمّد رضا الكلبيكاني بعد التصريح بأنّ ما بين الدفتين هو القرآن المجيد: ذلك
الكتاب الذي لا ريب فيه، والمجموع المرتّب في عصر الرسالة بأمر الرسول بلا تحريف ولا تغيير، ولا زيادة ولا نقصان.
وإقامة البرهان عليه: إنّ احتمال التغيير زيادة ونقيصة في القرآن كاحتمال تغيير المرسل به، واحتمال كون القبلة غير الكعبة في غاية
السقوط لا يقبله العقل، وهو مستقل بامتناعه عادة (٣).

وقال أيضاً:

ويكفي في ذلك تصريح أستاذنا الإمام راوية أحاديث أهل البيت: وحامل علومهم، نابغة العصر ومجدد العلم والمذهب في القرن
الرابع عشر، السيّد الحاج آقا حسين الطباطبائي البروجردى حشره الله مع جدّه النبي الكريم ٩، فإنّه أفاد في بعض أبحاثه في الأصول -
كما كتبنا عنه في تقارير بحثه - بطلان القول بالتحريف، وقداسة القرآن عن وقوع الزيادة فيه، وأنّ الضرورة قائمة على خلافه،
وضعّف أخبار النقيصة غاية التضعيف

١- الفصول المهمّة في تأليف الأئمّة، ص ١٧٥.

٢- نقلاً عن: مجموعة الرسائل، ج ٢، ص ٢٦٨.

٣- المصدر السابق، صص ٢٦٧ - ٢٦٨.

قال: إن بعض هذه الروايات مشتمل على ما يخالف القطع والضرورة، وما يخالف مصلحة النبوة، وقال في آخر كلامه الشريف: ثم العجب كل العجب من قوم يزعمون أن الأخبار محفوظة في الألسن والكتب في مدة تزيد على ألف وثلاثمائة، وأنه لو حدث فيها نقص لظهر، ومع ذلك يحتملون تطرق النقيصة في القرآن المجيد (١).

وقال السيد العلامة الكبير المولى محمد إبراهيم الكلبي:

وما يتعلّق بعلم القرآن بأصنافه، ومنه علم القراءة والتواريخ وغيرها، مع كمال اهتمامهم في ضبط ما يتعلّق بكل واحد منها يتبين أنّ النقصان في الكتاب مما لا أصل له، وإلا لاشتهر وتواتر؛ نظراً إلى العادة في الحوادث العظيمة، وهذا منها بل من أعظمها (٢).

وقال الشيخ الأكبر العالم الشهير، نابغة الزمان، الشيخ محمد بهاء الدين العاملي:

الصحيح أن القرآن العظيم محفوظ عن ذلك، زيادة كان أو نقصاناً، ويدل عليه قوله تعالى: (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)، وقال في كتاب الزبدة: القرآن متواتر؛ لتوافر الدواعي على نقله (٣).

وقال العالم الجليل الشيخ جعفر كاشف الغطاء في كتابه المسمى بكشف الغطاء:

(والسابع في زيادته) لا زيادة فيه من سورة ولا آية، من بسملة وغيرها، لا كلمة ولا حرف، وجميع ما بين الدفتين مما يتلى كلام الله تعالى بالضرورة من المذهب بل الدين وإجماع المسلمين، وأخبار النبي والأئمة الطاهرين:.

وقال: (الثامن في نقصه) لا ريب في أنه محفوظ من النقصان، بحفظ ملك الديان، كما دلّ عليه صريح القرآن، وإجماع العلماء في جميع الأزمان، ولا عبرة بالنادر، وما ورد من أخبار النقيصة تمنع البديهة من العلم بظاهرها (٤).

وقال العلامة المظفر في كتابه (عقائد الإمامية):

١- مجموعة الرسائل، ج ٢، ص ٢٦٨.

٢- نقلاً عن: المصدر السابق.

٣- نقلاً عن: آلاء الرحمن، ص ٢٦.

٤- مجموعة الرسائل، ج ٢، ص ٢٦٨.

ص ١٥٢

نعتقد أنّ (القرآن) هو الوحي الإلهي المنزل من الله تعالى على لسان نبيه الأكرم فيه تبيان كلّ شيء، وهو معجزته الخالدة التي أعجزت البشر عن مجاراتها في البلاغة والفصاحة وفيما احتوى من حقائق ومعارف عالية، لا يعتريه التبديل والتغيير والتحريف، وهذا الذي بين أيدينا نتلوه هو نفس القرآن المنزل على النبي، ومن ادّعى فيه غير ذلك فهو مخترق أو مغالط أو مشتبه، وكلّهم على غير هدى، فإنّه كلام الله الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)(١).

وقال السيد الخوئي في تفسيره (البيان في تفسير القرآن):

قد تبين للقارئ أنّ حديث تحريف القرآن حديث خرافة وخيال، لا يقول به إلّا من ضعف عقله، أو من لم يتأمل في أطرافه حقّ التأمل، أو من ألجأه إليه حبّ القول به. والحبّ يعمي ويصم، وأما العاقل المنصف المتدبّر فلا يشك في بطلانه وخرافته(٢).

والحاصل من جميع ما تقدم:

أولاً: أنّ نقل الروايات الدالة على التحريف لا يختص بكتب الشيعة الإمامية؛ لأنّ ما في الكتب الصحاح والمعتمدة لدى السنّة أكثر بكثير، ولكن الكل متفق على ضعف هذه الروايات؛ وعدم العمل بها حتّى مع ورودها في صحيح البخاري ومسلم؛ لمنافاتها لما عليه إجماع المسلمين.

ثانياً: أنّه كما هناك بعض علماء السنّة يقولون بوجود التحريف بمعنى النقيصة، وهو مما لا يعتمد على كلامهم، إلّا ما جاء في كلام أحمد بن حنبل حيث إنّ زعيم من زعماء ورؤساء أحد المذاهب الأربعة، أعنى: المذهب الحنبلية، وعليه التعويل، ولكن ما جاء عن بعض الأشخاص في المذهب الإمامي فهم لا يمثّلون المرجعيات العليا للمذهب، فلا يعول عليهم؛ لمخالفتهم ما عليه إجماع المذهب، وما نقله عن المازندراني في كتابه شرح أصول الكافي، فهذا

١- عقائد الإمامية، الشيخ محمّد رضا المظفر، ص ٦٠.

٢- البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الخوئي، ص ٢٥٩.

ص ١٥٣

رأيه الخاص به لا يدحض ما عليه إجماع فقهاء المذهب الإمامي، كما نقلنا بعض أقوالهم في المسألة. ثالثاً: أنه لا توجد رواية صحيحة عند الإمامية تدل على وجود التحريف في القرآن بالمعنى المتنازع فيه، فإن كانت هناك روايات فهي ضعيفة أو موضوعة و مكذوبة، بذلك قال علماء وفقهاء الإمامية، كما مرّ علينا بعض أقوالهم. رابعاً: أن ما قام به الدمشقي يشابه بفعله فعل من يصطاد في الماء العكر؛ إذ إن هذه المسألة أصبحت من أوضح الواضحات وأبده البدييات بالنسبة لفقهاء الإمامية، بل كان عليه مناقشة وإبطال الروايات الواردة في كتب الصحاح، كصحيح البخاري وصحيح مسلم، كما نقلنا لك بعضها، أو إبطال حديث الغرائق الذي ورد في صحيح البخاري، وفيه اتهام صريح للنبي، وإلا فهو من قبيل أن بائى تجر وباؤه لا تجر.

خامساً: نحن لم نذكر أدلة الشيعة على عدم القول بتحريف القرآن، وذلك للاختصار، والتي هي من قبيل: ما يحتج به الإمامية بعصمة الأئمة الاثنى عشر باعتبار مقارنتهم مع القرآن الذي لا يأتيه الباطل، والمعصوم عن الخطأ والاشتباه، وعن النقيصة والزيادة، وكذلك ما يتمسك به من قاعدة في معرفة الحديث الموضوع عن غيره، والذي يعرف عند الإمامية بحديث العرض على القرآن، فما وافقه أخذ به وما خالفه ضرب به عرض الجدار، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله: «إن على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه»^(١)، وكتواتر القرآن والإجماع عليه، وغيرها من الأدلة التي يحتجون بها على نفى التحريف، فمن طلب المزيد عن ذلك فليراجع كتب الإمامية في هذا الباب.

سادساً: بقى علينا تفنيد ما اتهم به الدمشقي الشيعة الإمامية من إدخال غير القرآن في آي القرآن الكريم، بما يدل على ولاية على ونحوها، بحجة أن هذا العمل تحريف يقوم به

الإمامية، وهو من باب التأويل أو ما يعبر عنه بالتفسير المزجى، وهذا ما سنقوم بدحضه إن شاء الله تعالى هنا.

التأويل أو التفسير المزجى لا يعنى التحريف فى القرآن

المناقشة:

التأويل أو التفسير المزجى لا يعنى التحريف فى القرآن

إنّ التأويل أو التفسير المزجى، هو عبارة عن ذكر كلمات تبين معانى الآيات سواء ما كان منها بخصوص الولاية أو غيرها فى وسط الآيات، ومثل هذا كثير ولا يعدّ تحريفاً للقرآن، كما أنّه وارد فى كتب الفريقين من السنّة والشيعه.

ذكر الدمشقيه عنواناً عريضاً فى كتابه (ظاهرة التكفير فى مذهب الشيعه) سمّاه (تغيير معانى الألفاظ الشرعيه) ثمّ فرّع عليه عنواناً آخر سمّاه (لا تشرك بالإمام إنّ الشرك لظلم عظيم)، ثمّ ذكر مجموعته من المفتريات كعادته وعادة جماعته أن يتقدّموا بمجموعته من الأكاذيب لتهيئه ذهن السامع إلى ما سينقله له على أنّ ذلك من الدين وعقيدة الشيعه، حيث افتتح كلامه هنا بقوله:

فأقام الصلاة بمعنى تولى الإمام الحقّ أحد الأئمة الاثنى عشر.

والتوجه إلى القبلة حقيقته التوجه إلى على بن أبى طالب.

والشرك بالله صار بمعنى اتّخاذ إمام باطل آخر مع الإمام الحقّ.

والكفر بالله بمعنى جحود إمامه الإمام.

والمشرك بالله هو من أشرك بمبايعه الإمام الباطل بدءاً من أبى بكر إلى نهاية الدنيا.

المناقشة:

كما ترى لم يذكر مصدراً واحداً لهذه الكلمات، أو من قال بها، وإنّما اكتفى فى بداية كلامه (أنّ العقيدة الشيعيه تكشف لنا عن تغيير دين الإسلام) على أنّ كتب الشيعه ليست خفيه على أحد، وبالخصوص كتب العقائد، سواء ما كان منها فى تقرير وتبيين عقيدة الشيعه فى أصولها الخمسة (التوحيد والنبوة والإمامة والعدل والمعاد) أو ما كان منها فى ردّ الأباطيل والخرافات

ص ١٥٥

والأكاذيب التي افترها البعض عليها أو على الدين الإسلامي، من قبيل: القول بالتجسيم، وعدم عصمة النبي ٩ مطلقاً أو قبل نبوته، وعدم الإيمان بإمامة الإمام علي، وردّ القول بالتحريف، وأنّ التوسل شرك، ونحوها من العقائد الباطلة. ولكن ماذا نفعل إذا كان هؤلاء لا يخلون من الكذب والافتراء؟! هذا أولاً.

وثانياً بالنسبة لما نقله تحت عنوان (لا- تشرك بالإمام إن الشرك لظلم عظيم)، فهذا يدلّ على جهله في المعارف القرآنية وأنواع التفسير وطرقه، كما يدلّ على جهله بما ذكر في أمّهات كتبه وكتب أسلافه؛ إذ هناك قسم من التفسير يعتبر عنه بالتفسير المزجي، بمعنى تخلل بعض الكلمات الموضحة للمعنى داخل الآية، لا بمعنى أنّها من كلمات الآية بحيث تكون جزءاً منها، وهو مما لا يقتصر على كتب الشيعة الإمامية، بل ما جاء في أمّهات كتب أهل السنة كثير جداً، وإليك الجواب عمّا ذكره الدمشقي:

١- جاء في الكافي، عن أبي عبد الله ٧ قال: (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَجْبُطَنَّ عَمَلُكَ) [الزمر: ٦٥]، يعني: إن أشركت في الولاية غيره (يَلِ اللّٰهَ فَاعْبُدْهُ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ...)، يعني: بل الله فاعبد بالطاعة، وكن من الشاكرين أن عضدتك بأخيكت وابن عمك (١).

الجواب:

أولاً: أن هذه الرواية ضعيفة؛ لمجهولية الحكم بن بهلول (٢).

ثانياً: حتى لو سلّمنا بما جاء فيها، وأغمضنا النظر عن سندها، فهي في مقام التفسير، لا أن ذلك جزء من القرآن والتنزيل، ويشهد لذلك ما جاء بسنده إلى أبي حمزة عن

١- الكافي، ج ١، ص ٤٢٧.

٢- أنظر: مستدركات علم رجال الحديث، للنمازي الشاهرودي، ج ٣، ص ٢٣٥؛ ذكره السيد الخوئي من دون أن يوثقه أو يدفع القول بمجهوليته، في كتابه معجم رجال الحديث؛ وصرّح السيد محسن الأمين في كتابه أعيان الشيعة، ج ٣، ص ٤٣٨، بأنّه مجهول.

ص ١٥٦

أبي جعفر، قال: سألته عن قول الله تبارك وتعالى لنبية:

(لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) قال: تفسيرها لئن أمرت بولاية غير علي مع ولاية علي صلوات الله عليه من بعدك ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين.

قوله: (بَلِ اللَّهِ فَاغْتِيذُ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) الظاهر أنه طلب العبادة والشكر على النعمة المذكورة منه، ويحتمل التعريض أيضاً بغيره من الأمة بأن يعبدوه ويشكروه على النعمة المذكورة، وهي تقوية الله تعالى نبيه بأخيه وابن عمه، وهو أنسب بالسابق (١).
وثالثاً: أن الشرك لا يقصد منه شرك العبودية والألوهية؛ لأن الشرك مشترك لفظي له معانٍ مختلفة، واحد منها شرك الألوهية، وهو غير مقصود في هذه الآية الكريمة قطعاً.

قال الشيخ أبو طالب التجليل:

كلمة الإشراك تصدق على الإشراك في أي شيء كان، ولا تختص بالإشراك في العبودية والألوهية، كما هو واضح، وهذا التفسير الوارد في الرواية يتضمن تنزيه الرسول الأكرم ٩ عن كونه فيه معرض الإشراك بالله سبحانه وتعالى، بحيث يقتضي تهديده ليجنب عنه (٢).

٢- قالت الرافضة: (وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) [الكهف: ١١٠]، أي: «لا تشرك في ولاية علي أحداً» (٣).

الجواب:

لقد جاء في تفسير هذه الآية الكريمة ما ذكره القمي في تفسيره:

هذا الشرك شرك رياء، وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر ٧ قال: سئل رسول الله عن تفسير قول الله: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ...) فقال: من صلى مرءاه الناس فهو مشرك، ومن زكى مرءاه الناس فهو مشرك ومن صام مرءاه الناس فهو مشرك، ومن حج مرءاه الناس فهو

١- شرح أصول الكافي، المولى محمد صالح المازندراني، ج ٧، ص ٩٩.

٢- تنزيه الشيعة الاثني عشرية عن الشبهات الواهية، أبو طالب التجليل، ج ٢، ص ١٢.

٣- ظاهرة التكفير عند الإمامية، عبد الرحمن الدمشقية، ص ١٢.

ص ١٥٧

مشرك، ومن عمل عملاً مما أمر الله به مرأه الناس فهو مشرك ولا يقبل الله عمل مرأه (١).
وقال الطبرسى فى تفسيره:

قال عطاء: عن ابن عباس: أن الله تعالى قال: (وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) ولم يقل، ولا يشرك به؛ لأنه أراد العمل الذى يعمل الله، ويحب أن يحمد عليه. قال: ولذلك يستحب للرجل أن يدفع صدقته إلى غيره ليقسمها، كيلا يعظمه من يصله بها (٢).
وهكذا جاءت تفاسير الشيعة مؤكدة لهذا المعنى، دون أن تتعرض لما ذكره الدمشقية.
٣- قال الكاشانى فى تفسير الصافى فى قوله تعالى: (ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ)، قال: «أى: أين إمامكم الذى اتخذتموه من دون الإمام؟!» (٣).

الجواب:

هكذا جاء فى تفسير الصافى:

عن الباقر ٧ فأما النصاب من أهل القبلة فإنهم يخذ لهم خدًا إلى النار التى خلقها الله فى المشرق، فيدخل عليهم منها اللهب والشرر والدخان وفورة الحميم إلى يوم القيامة، ثم مصيرهم إلى الحميم، ثم فى النار يسجرون، ثم قيل: (أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى: أين إمامكم الذى اتخذتموه دون الإمام الذى جعله الله للناس إمامًا؟! (٤).

أقول معلقًا على ذلك بما يسعنى المجال:

أولاً: أن مسألة معرفة إمام الزمان من الثوابت الإسلامية، وقد جاءت رواياته فى كتب الصحاح السنية وغيرها، وقد عدت هذه الروايات الصحيحة من لم يعرف إمام زمانه مات

١- تفسير القمى، على بن إبراهيم القمى، ج ٢، ص ٤٧.

٢- تفسير مجمع البيان، ج ٦، ص ٣٩٦.

٣- تفسير الصافى، الفيض الكاشانى، ج ٤، ص ٣٤٨.

٤- تفسير مجمع البيان، ج ٦، ص ٣٩٦.

ص ١٥٨

ميتة جاهلية، فقد أخرج مسلم في الصحيح من حديث عاصم(١)، أن رسول الله، قال: «مِنْ مَيَاتٍ وَلَيْسَ فِي عُقْبَتِهِ يَبَعَةٌ مَيَاتٌ مَيَّتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ»(٢)، رواها أيضاً غيره(٣). ثم أن النبي لا يأمر بالبيعة لإمام فاسق أو فاجر أو ظالم، بل إمام هدى.

وأخرج عمرو بن أبي عاصم (المتوفى ٢٨٧هـ) عن أبي صالح حديثين: أحدهما: عن

أبي هريرة، والآخر: عن معاوية، أن رسول الله قال: «من مات وليس عليه إمام مات ميتة جاهلية»(٤)، وقال الهيثمي بعد أن أخرج الحديث المتقدم عن معاوية بن أبي سفيان: «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه العباس بن الحسن القنطري ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح»(٥)، والظاهر أنه العباس بن الحسين (مصغراً) القنطري، وهو ثقة من شيوخ البخاري، ولعله تحرف (الحسين) في نسخة الطبراني فلم يعرفه الهيثمي(٦) إلى غير ذلك من أحاديث السنة في هذا الباب.

وثانياً: أن مسألة تنصيب الإمام من قبل الله تعالى ونبيه الأكرم، هي نقطة الخلاف الأولى بعد رحيل النبي الأكرم، حتى قال عنها الشهرستاني في كتابه (الملل والنحل): «وأعظم خلاف بين الأمية خلاف الإمامة؛ إذ ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية، مثلما سل على الإمامة في كل زمان»(٧).

وكان للإمامية أدلتهم من الآيات والروايات الصحيحة التي جاءت بها كتب الصحاح ما ملأ الخافقين، وما من كتاب من كتب الشيعة الإمامية إلا وتجده مليء بالأدلة والبراهين

١- أنظر: السنن الكبرى، البيهقي، ج ٨، ص ١٥٧.

٢- صحيح مسلم، ج ٦، ص ٢٢.

٣- أنظر: السنن الكبرى، ج ٨، ص ١٥٧؛ فتح الباري، ج ١٣، ص ٥.

٤- كتاب السنة، عمرو بن أبي عاصم، ص ٤٨٩.

٥- مجمع الزوائد، ج ٥، ص ٢٥٥.

٦- أنظر ما حققه محمد ناصر الدين الألباني على كتاب السنة لعمرو بن أبي عاصم، ص ٤٩٠.

٧- الملل والنحل، للشهرستاني، ج ١، ص ٢٤. ثم لو كانت الإمامة من المسائل الفقهية التي يجوز فيها الاجتهاد، فلماذا كل هذا النزاع، وتكفير من يقول بوجوبها؟!

ص ١٥٩

والنصوص الشرعية من الآيات والرواية في إثبات الإمامة الإلهية لأهل البيت: بلا فصل بعد النبي، فمن شاء فليراجع ذلك. وثالثاً: أن مثل هذا التفسير والتأويل واقع في كثير من كتب التفسير السني، قال الحاكم في المستدرک: أخبرنا أبو عبد الله الدشتكي، حدّثنا عمرو بن أبي قيس، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عزّ وجلّ: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ) قال: وهي النقرة، يعني الكوة (١).

الفصل الثالث: الخلط بين مفهومي الناصبي والسني

تمهيد

إشارة

١- المستدرک على الصحيحين، ج ٢، ص ٣٩٧، وقال فيها: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وفي تلخيص الذهبي في هامش هذا الكتاب قال عنه: صحيح.

ص ١٦١

الفصل الثالث: الخلط بين مفهومي الناصبي والسني

ص ١٦٣

تمهيد

هناك محاولات فاشلة تنم عن جهل القائم بها، أو تعمده لها، وهي ما يقوم بها بعض المغرضين من أعداء الدين الإسلامي، أو بعض المتعصبين للمذهب الوهابي؛ وذلك بهدف خلط المفاهيم الدينية على المسلمين، كان من بينها الخلط بين مفهومي السني المخالف للمذهب الإمامي والناصرى المعلن العدا والنصب لأهل البيت؛ وذلك بحجة الدفاع عن أهل السنة والمسلمين، والوقوف بوجه المد الشيعة الذي يعتبرونه مداً إيرانياً عدائياً للإسلام والمسلمين في العصر الحاضر، بعد فشل محاولتهم القديمة التي عرفت بـ (السيئة اليهودية).

وما أن تنكشف هذه الحقيقة الواضحة - رغم أنوفهم - عندها يرون أنفسهم تدور في حلقة فارغة لا مخرج منها ولا ملجأ يلودون به، إلا اصطناع التأويل الفاسد لأفكارهم، فتأمل في كلمة هذا الأستاذ الجامعي السلفي حسن بن فهد الهويمل، حيث تجده يعترف بكل صراحة بخطئهم جميعاً بعد كل ما تبجح به أسلافه ومعاصريه بكون الشيعة أتباع اليهودي ابن سبأ، ولكن ما أن كشف الله تعالى هذه الأكذوبة التاريخية، ولم يجد هذا الأستاذ وجهاً للتشبث بعد ذلك بهذه الفرية على الشيعة الإمامية من أتباع مذهب أهل البيت: الحق، راح يصرح بقوله: «ومع قراءتي لما كتب(١) ووقوفي على الجهد المبذول في التقصي إلا أنني لا أطمئن لما ذهب إليهولا

١- قال ذلك في معرض تقييم نتائج كتابات الدكتور الهلابي، والأستاذ حسن المالكي حول عبدالله بن سبأ، حيث ذهب الأول إلى نفي وجوده ودوره في أحداث الثورة على عثمان، وذهب الثاني إلى نفي دوره في أحداث الثورة على عثمان.

ص ١٦٤

أرتاح له؛ لأن في نفس هذه الشخصية (أى: شخصية عبدالله بن سبأ) نفساً لأشياء كبيرة»^(١). وإليك جملة من أقوال علماء ومفكرى السنّة المعاصرين:

١- قال الدكتور طه حسين:

إنّ أمر السبئية وصاحبهم ابن السوداء إنّما كان متكلفاً منحولاً- قد اخترع بآخره حين كان الجدل بين الشيعة وغيرهم من الفرق الإسلامية، أراد خصوم الشيعة أن يدخلوا في أصول هذا المذهب عنصراً يهودياً إمعاناً في الكيد لهم والنيل منهم^(٢).

٢- قال الدكتور كامل حسين:

فقصة ابن سبأ في مصر وأنه بثّ آراء التشيع بين المصريين هي أقرب إلى الخرافات منها إلى أى شيء آخر^(٣).

٣- قال الدكتور على النشار:

ومن المحتمل أن تكون شخصية عبدالله بن سبأ شخصية موضوعه، أو أنّها رمزت إلى شخصية ابن ياسر، ومن المحتمل أن يكون عبدالله بن سبأ هو مجرد تغليف لاسم عمار بن ياسر^(٤).

٤- قال الدكتور حامد حفنى داود:

ولعلّ أعظم هذه الأخطاء التاريخية التي أفلتت من زمام هؤلاء الباحثين وغم عليهم أمرها، فلم يفقهوها ويفطنوا إليها، هذه المفتريات التي افتروها على علماء الشيعة حين لفقوا عليهم قصة عبدالله بن سبأ فيما لفقوه من قصص^(٥).

٥- قال الدكتور عبد العزيز صالح الهلابي:

١- أنظر: جريدة الرياض التي تصدر في السعودية، العدد ٤ ربيع الأول سنة ١٤١٨هـ، نقلاً عن سامى البدرى، شبهات و ردود، ج ٣، ص ١٤٩.

٢- على وبنوه، د. طه حسين، ج ٢، ص ٢٤.

٣- في أدب مصر الفاطمية، محمّد كامل حسين، ص ٧.

٤- نشأة الفكر الفلسفى، على النشار، ج ٢، ص ٣٩.

٥- نظرات في الكتب الخالدة، حامد حفنى، ص ١٠٢؛ مقدمة كتاب عبدالله بن سبأ، العلامة العسكرية، ج ١، ص ١٧.

إنّ ابن سبأ شخصية وهمية لم يكن لها وجود، فإن وجد شخص بهذا الاسم فمن المؤكّد أنّه لم يقدّم بالدور الذي أسنده إليه سيف وأصحاب كتب الفرق لا من الناحية السياسية ولا من ناحية العقيدة... إنّ إغفال هؤلاء المؤرّخين لهذا الرجل الذي كان له هذا الدور الكبير في أحداث الفتنة وفي تغيير وجه التاريخ الإسلامي دليل على أنّ الرجل مكذوب مختلق في عصر متأخر عن عصر أولئك المؤرّخين المذكورين وغيرهم (١).

٦- الدكتور سهيل زكار: «إنّ ابن سبأ لم يوجد بالمرّة، بل هو شخصية مخترعة» (٢).

ولكن نقول لهم كما قال لهم الحقّ تبارك وتعالى في قوله عزّ وجلّ: (أَقْمِنُ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنَ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [التوبة: ١٠٩].

جعل الناصبي هو السنن مغالطة وغلط في المفاهيم

إنّ الخلط بين مفهومي السنن والناصبي؛ إمّا أنّه ينمّ عن جهل القائل به، وإمّا أنّه يكشف عمّا رواء ذلك من أهداف غير نزيهة للإسلام والمسلمين، من قبيل إرادته إثارة الفتنة والفرقة بين أبناء الأمة الإسلامية الواحدة، مستغلاً بذلك المغفلين من المسلمين، بأساليب ملتوية ومغالطات مقصودة، بحيث يقوم بتصوير الناصب بصورة السنن المخالف، والواقع يكذّبه، فإنّ الناصبي غير السنن المخالف للشيعة الإمامية بأفكاره وأحكامه، وهذا ما يتجدد به الخطاب اليومي للوهائية عبر قنوات الإعلام ووسائله الحديثة المرئية وغير المرئية، حتّى أنّه يؤكّد هذه الفرية على الشيعة الإمامية بأنّها تحكم بكفركم أيّها المسلمون، وبالخصوص أنتم أهل السنن والجماعة؛ لمجرد اتّباعكم للقرآن والسنن النبوية والقول بعدالة جميع الصحابة، وبتقديمكم الخلفاء الثلاثة على بن أبي طالب، أو عدم قولكم بإمامته، ونحوها من الأقوال التي يكررونها يومياً في وسائلهم الإعلامية.

١- عبدالله بن سبأ دراسة للروايات التاريخية عن دوره في الفتنة، الهلابي، ص ٧٣.

٢- المنتظم، ابن الجوزي، هامش ص ٣٠١.

ص ١٦٦

ولم يكن عبدالرحمن الدمشقي أول من قام بهذه الفرية على الشيعة المتمثلة بالخلط بين هذين المفهومين جهلاً أو عمداً، بل قد سبقه الكثير من جماعته وأهل حركته، حيث جاء عن بعضهم قوله: «كلمة النواصب اصطلاح يرمز إلى أهل السنة، الذين يقال عنهم: إنهم يناصرون أهل البيت العدا»^(١).

وفى الجواب نقول:

إن الشيعة الإمامية تفرق بين الناصبي المجمع على كفره ونجاسته، وبين المسلم السنّي المجمع على طهارته، وإليك أقوالهم فى الناصبي، ثم بعد ذلك نقل لك أقوالهم فى السنّي المخالف لهم فى عقيدته وأحكامه:

قال الشريف المرتضى: «الناصب كالغالى فى الكفر والخروج عن الإيمان، ولا يجوز مناكحة كل واحد منهما مع الاختيار، ولا فرق بينهما فى أنّهما كافران لا يتعلّق عليهما أحكام أهل الإسلام»^(٢).

وفى هامش شرائع الإسلام جاء فى تعريف النواصب: «(النواصب) وهم الذين يعادون ويسبّون واحداً من الأئمة المعصومين، كفرقة من الإسماعيلية الذين يسبون الإمام موسى بن جعفر»^(٣).

وقال العاملى فى مدارك الأحكام: «النواصب؛ وهم المبغضون لأهل البيت»^(٤).

وفى ذخيرة المعاد للسبزواري، قال: «النواصب، وهم الذين يناصرون العداوة لأهل البيت»^(٥).

تعريف علماء السنة للناصبي

- ١- راجع: كتاب حوار هادى، ص ٦٢، الهامش، وهو عبارة عن محاضرة لعبد الله بن سعيد الجنيد، طبعت تحت عنوان حوار هادى بين السنة والشيعة.
- ٢- رسائل المرتضى، ج ٤، ص ٣٩.
- ٣- شرائع الإسلام، للمحقق الحلى، ج ١، ص ١٢، هامش.
- ٤- مدارك الأحكام، العاملى، ج ١، ص ١٢٩.
- ٥- ذخيرة المعاد، المحقق السبزواري، ج ١، ق ١، ص ١٥٢.

ص ١٦٧

الناصبى نسبة إلى النواصب؛ وهم الذين يدينون ببغض على بن أبى طالب ٢، سمّوا بذلك؛ لأنهم نصبوا له العداة والخلاف (١). وقال ابن حجر فى فتح البارى: «وفى هذا الحديث علم من أعلام النبوة، وفضيلة ظاهرة لعلى ولعمار، وردّ على النواصب الزاعمين أنّ علياً لم يكن مصيباً فى حروبه» (٢).

وجاء فى هامش سير أعلام النبلاء للذهبي:

النواصب والناصبية وأهل النصب: هم المتدينون ببغض على بن أبى طالب - رضى الله عنه - لأنهم نصبوا له، أى: عادوه. ومما يحزّ فى القلب أنّه ما زالت بعض العبارات العامية فى اللهجة الدمشقية تحمل هذه البقايا، دون إدراك لمعناها (٣). ونقل الذهبي عن أبى نعيم الحداد بأنّه قال:

سمعت الحسن بن أحمد السمرقندى الحافظ، سمعت أبا عبد الرحمن الشاذياخى الحاكم يقول: كُنّا فى مجلس السيّد أبى الحسن، فسئل أبو عبد الله الحاكم عن حديث الطير، فقال: لا يصح، ولو صحّ لما كان أحد أفضل من على بعد النبى صلى الله عليه وسلم. فهذه حكاية قوية، فما باله أخرج حديث الطير فى "المستدرک"؟! "فكأنّه اختلف اجتهاده، وقد جمعت طرق حديث الطير فى جزء، وطرق حديث "من كنت مولاه" وهو أصح، وأصح منهما ما أخرجه مسلم عن على قال: إنّه لعهد النبى الأمى صلى الله عليه وسلم إلى". إنه لا- يجبك إلّا مؤمن، ولا يبغضك إلّا منافق. "وهذا أشكل الثلاثة، فقد أحبه قوم لا خلاق لهم، وأبغضه بجهل قوم من النواصب، فالله أعلم (٤)

وجد على هامش الأصل - تعليق على استشكال الذهبى ونصّه: قلت: لا إشكال، فالمراد: لا يجبك الحبّ الشرعى المعتد به عند الله تعالى، أمّا الحب المتضمّن لتلك

١- راجع: الملل والنحل، عبدالكريم الشهرستانى.

٢- فتح البارى شرح صحيح البخارى، ج ١، ص ٤٥١.

٣- سير أعلام النبلاء، ج ١٥، ص ٤٧٦، الهامش وتعليق شعيب الأرنؤوط.

٤- المصدر السابق، ج ١٧، ص ١٦٩، تعليق شعيب الأرنؤوط.

ص ١٦٨

البلايا والمصائب، فلا عبرة به، بل هو وبال على صاحبه كما أحببت النصارى المسيح (١).

وعدّ ابن عبد البر في الاستيعاب بأن الشاتم لعلى من النواصب، حيث قال: «قال

أبو عمر: وأما ربيعة بن يزيد السلمى فكان من النواصب يشتم علياً رضى الله عنه» (٢).

وقال ابن حجر في الإصابة: «أما ربيعة بن يزيد السلمى فكان من النواصب يشتم علياً قال أبو حاتم: لا يروى عنه ولا كرامة، ومن ذكره فى الصحابة لم يصنع شيئاً» (٣).

وقال الزرندي الحنفى فى نظم درر السمطين، فى ذم من يظهر السرور والفرح فى يوم عاشوراء؛ إمّا ناجم من النصب للحسين وأهل بيته، وإمّا أنه يدلّ على جهلهم، حيث قال:

فأخذوا هذا اليوم عيداً وأخذوا فى إظهار الفرح والسرور؛ إمّا لكونهم من النواصب المتعصّبين على الحسين وأهل بيته، وإمّا من الجهال الذين قابلوا الفاسد بالفاسد (٤).

وقال المناوى فى فيض القدير شرح الجامع الصغير:

(فائدة) قال ابن حجر: حديث تقتل عماراً الفئة الباغية رواه جمع من الصحابة، منهم: قتادة وأم سلمة وأبو هريرة وابن عمر وعثمان وحذيفة وأبو أيوب وأبو رافع وخزيمة بن ثابت ومعاوية وعمرو بن العاص وأمية وأبو اليسر وعمار نفسه، وغالب طرقه كلّها صحيحة أو حسنة، وفيه علم من أعلام النبوة، وفضيلة ظاهرة لعلى وعمار، ورد على النواصب الزاعمين أن علياً لم يكن مصيباً فى حروبه (٥).

وقال أحمد بن الصديق المغربى، فى فتح الملك العلى:

وأما اشتراط كونه روى ما لا يؤيد بدعته فهو من دسائس النواصب التى دسوها بين أهل الحديث ليتوضّعوا بها إلى إبطال كلّ ما ورد فى فضل على، وذلك أنهم جعلوا آية

١- سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص ١٦٩؛ هامش رقم ٢.

٢- الاستيعاب، ابن عبد البر، ج ٢، ص ٤٩٣.

٣- الإصابة فى تمييز الصحابة، ابن حجر، ج ٢، ص ٣٩٨.

٤- نظم درر السمطين، الزرندي الحنفى، ص ٢٢٩.

٥- فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوى، ج ٤، ص ٦١٣.

ص ١٦٩

تشيع الراوى وعلامه بدعته هو روايته فضائل على، كما ستعرفه، ثم قرروا أن كل ما يرويه المبتدع مما فيه تأييد لبدعته فهو مردود ولو كان من الثقات، والذي فيه تأييد التشيع فى نظرهم هو فضل على وتفضيله، فينتج من هذا أن لا يصح فى فضله حديث، كما صرح به بعض من رفع جلباب الحياء عن وجهه من غلاة النواصب كابن تيمية وأضرابه، ولذلك تراهم عندما يضيق بهم هذا المخرج ولا يجدون توصلاً منه إلى الطعن فى حديث؛ لتواتره أو وجوده فى الصحيحين يميلون به إلى مسلك آخر وهو التأويل وصرف اللفظ عن ظاهره، كما فعل حريز بن عثمان فى حديث أنت منى بمنزلة هارون من موسى، وكما فعل ابن تيمية فى أكثر ما صح من فضائل بالنسبة إلى اعترافه(١).

إلى أن قال:

وأول من علمته صرح بهذا الشرط وإن كان معمولاً به فى عصره إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني المعروف بين أهل الجرح والتعديل بالسعدى، وهو أحد شيوخ الترمذى وأبى داود والنسائى، وكان من غلاة النواصب، بل قالوا: إنه حريزى المذهب على رأى حريز بن عثمان وطريقته فى النصب، وكان حريز المذكور يلعن علياً سبعين مرة فى الصباح وسبعين مرة بالعشى، فقيل له فى ذلك، فقال: هو القاطع رؤوس آبائى وأجدادى، ذكره ابن حبان(٢).

وقال أيضاً:

وقال إسماعيل بن عياش: عادل حريز بن عثمان من مصر إلى مكة فجعل يسب علياً ويلعنه، وقيل ليحيى بن صالح: لم لم تكتب عن حريز؟ فقال: كيف أكتب عن رجل صليت معه الفجر سبع سنين فكان لا يخرج من المسجد حتى يلعن علياً سبعين مرة، وأخبره فى هذا كثيرة.

وقد ذكر الخطيب فى ترجمته من تاريخ بغداد، والحافظ فى ترجمه محمد بن حريز من اللسان: أن الحافظ يزيد بن هارون قال: رأيت رب العزة فى المنام فقال: يا يزيد لا تكتب عنه فإنه

١- فتح الملك العلى، أحمد بن الصديق المغربى، ص ١٠٩.

٢- تهذيب التهذيب، ابن حجر، ج ٢، ص ٢٤٠؛ ميزان الاعتدال، ج ١، ص ٤٧٥.

ص ١٧٠

يسبب علياً، فالجوزجاني كان على مذهب هذا الخبيث وطريقته في النصب، وزاد عليه بالتعصب في الجرح والتعديل، فكان لا يميز به رجل ممن فيه تشيع إلا جرحه وطعن في دينه، وعبر عنه بأنه زائع عن الحق متنكب عن الطريق مائل عن السبيل، كما تبه عليه الحافظ في مقدمه اللسان فقال: ومما ينبغي أن يتوقف في قبول قوله في الجرح من كان بينه وبين من جرحه عداوة سببها الاختلاف في الاعتقاد، فإن الحاذق إذا تأمل ثب أبي إسحاق الجوزجاني لأهل الكوفة رأى العجب، وذلك لشدة انحرافه في النصب وشهرة أهلها بالتشيع، فتراه لا يتوقف في جرح من ذكره منهم بلسان ذلقة وعبارة طلقة حتى أنه أخذ يلين مثل الأعمش وأبي نعيم وعبيدالله (١). وقال أيضاً في كتابه (القول المقنع في الرد على الألباني المبتدع):

وابن تيمية أكثر الطعن في أحاديث فضل علي، تجد ذلك في منهاجه واضحاً، فلا يعتمد عليه فيما يطعن فيه من تلك الأحاديث؛ لأن فيه انحرافاً عن علي ٧، كما تبه عليه الحافظ في ترجمته من الدرر الكامنة، وقال في لسان الميزان: لكن وجدته - يعني ابن تيمية - كثير التحامل إلى الغاية في رد الأحاديث التي يوردها ابن المطهر، وإن كان معظم ذلك من الموضوعات والواهيات، لكنه رد في رده - يعني المنهاج - كثيراً من الأحاديث الجياد التي لم يستحضر حالة التصنيف مظانها: لأنه كان لا تساعه في الحفظ يتكل على ما في صدره، والإنسان عرضة للنسيان، وكم من مبالغة لتوهين كلام الرافضي أدته أحياناً إلى تنقيص علي (٢). وذكر السقاف في كتابه (تناقضات الألباني):

إعلم أن الألباني يصحح أحاديث موضوعه وضعيفة فيها ذكر فضائل لمعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص شعباً وتأييداً للنواصب، وهو مخطئ وخاطئ في ذلك؛ لأن هذه الأحاديث لا يمكن أن تصح حسب موازين علم الحديث زيادة على تصريح الحذاق من أهل هذا الشأن من كبار المحققين بعدم صحتها، وإليك ذلك: ١ - حديث عمير بن سعيد قال: لا تذكروا

١- راجع: لسان الميزان، ابن حجر، ج ١، ص ١١.

٢- القول المقنع في الرد على الألباني المبتدع، ج ٦، ص ٩.

ص ١٧١

معاوية إلّا بخير، فأنى سمعت رسول الله ٩ يقول: (اللهم اهد به). رواه الترمذى فى

(سننه) (٥ / ٦٨٧) وغيره. قلت: صححه الألبانى فى (صحيح سنن الترمذى) (٣ / ٢٣٦) فقال: (صحيح بما قبله)!! قلت: كلا والذى برأ

النسمة، فإنه حديث موضوع لاشك فى ذلك، فإن فى سننه عمرو بن واقد، وقد قال فيه الألبانى نفسه فى (ضعيفته) (٢ / ٣٤١)

متناقضاً: (وعمر بن واقد متروك كما فى التقريب) (٤٥١)، وقال فى (صحيحته)

(١ / ٤٥٨) عن طريق فيها عمرو هذا: (فهذه طريق أخرى عن إسماعيل ولكنها واهية؛ فإن

عمرو بن واقد (٤٥٢) متروك)، قلت: بل هو كذاب كذبه جماعة من الحفاظ، ففى (تهذيب (٤٥٣) التهذيب) (٨ / ١٠٢): (قال أبو

مسهر: كان يكذب...)(١).

وقال محمود سعيد ممدوح فى كتابه (رفع المنارة):

«والنواصب مجروحون بقوله صلى الله عليه وسلم لعلى ٧: (لا يحببك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق)، ففض يدىك من جرح النواصب

تسلم»(٢).

وقال الحاكم الحسكافى فى رد من اعترض على نزول آية (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ) فى حق أهل البيت::

ونزلت هذه الآية: (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَشْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا). (ثم إن) الحديث بطوله اختصرته فى مواضع. قلت: اعترض بعض

النواصب على هذه القصيدة بأن قال: اتفق أهل التفسير على أن هذه السورة مكية، وهذه القصيدة كانت بالمدينة - إن كانت - فكيف

كانت سبب نزول السورة؟ وبأن بهذا أنها مخترعة!!! قلت: كيف يسوغ له دعوى الإجماع مع قول الأكثر: أنها مدنية؟! (٣).

وقال الألوسى فى بيان مكانة أهل البيت: فى آية المباهلة، وذهب النواصب إلى أن المباهلة جائزة لإظهار الحق إلى اليوم إلّا أنه يمنع

فيها أن يحضر الأولاد والنساء، وزعموا رفعهم الله تعالى لا قدرأ، وحطهم ولا حط عنهم وزراً أن ما وقع منه صلى الله عليه وسلم

١- تناقضات الألبانى، حسن السقاف، ج ٢، ص ٢٢٨.

٢- رفع المنارة، سعيد ممدوح، ص ١٥٢.

٣- شواهد التنزيل، ج ٢، ص ٤٠٩.

كان لمجرد إزام الخصم وتبكيته، وأنه لا يدلّ على فضل أولئك الكرام على نبينا وعليهم أفضل الصلاة وأكمل السلام، وأنت تعلم أنّ هذا الزعم ضرب من الهذيان، وأثر من مس الشيطان. وليس يصح في الأذهان شيء * إذا احتاج النهار إلى دليل (١).

والحاصل من جميع ما تقدّم بأنّ الشيعة الإمامية وأهل السنة يعلمون ماذا يعنى الناصبي، ولذلك حكموا بكفره ونجاسته، ولم يعرف أحد منهم بأنه يعنى السنّي المخالف للشيعة في أصولها أو فروعها، بل هو من نصب العداوة والبغضاء لأهل البيت:، ولذلك وصف بعضهم ابن تيمية والألباني وغيرهم بهذا الوصف لمحاربتهم أهل البيت: عن طريق إنكار فضائلهم، كما مرّ علينا قبل قليل من بعض كبار أهل السنة، فتدبر جيداً.

مفارقات ارتكبا أرباب الجرح والتعديل من أهل السنة

إشاره

لقد رأينا كيف أنّ الجميع متفق على تكفير ونجاسة الناصبي، بغض النظر عن مذهبه، فمن صدق عليه عنوان الناصبي فالحكم شامل له بلا-استثناء، والعجيب أنّ أرباب الجرح والتعديل؛ الذين ينبغي أن يكونوا أمناء في أداء مهمّتهم ووظيفتهم التي نصبوا أنفسهم لها، وجدناهم لا يؤدّون الأمانة بصدق وإخلاص، حيث قاموا بتصحيح وتوثيق أعداء الدين وأعداء أمير المؤمنين مع صريح شهادتهم بأنّهم من النواصب الذين مرّ علينا حكمهم عند جميع علماء المسلمين، سنّة وشيعة، وإليك نماذج من هؤلاء النواصب، لترى بنفسك كيف أنّ أرباب الجرح والتعديل التي باتت الأمة تسير وراءهم وتأخذ بأقوالهم في ثبوت الحديث وعدمه:

١- توثيق الناصبي إبراهيم بن هشام الغساني الدمشقي (ت ٥٢٨هـ)

وهو من رواة الحديث، قال عنه ابن حجر العسقلاني في ترجمته في كتاب لسان الميزان «قال تمام: حدّثنا محمّد بن سليمان، حدّثنا محمّد بن الفيض، قال: أدركت من شيوخنا بدمشق من يزيغ بعليّ بن أبي طالب، فذكر جماعة، منهم إبراهيم هذا...» (٢).

١- تفسير الألوّسى روح المعاني، ج ٣، ص ١٩٠.

٢- لسان الميزان، ج ١، ص ١٢٢.

ص ١٧٣

وقال عنه الهيثمي في (مجمعه)، حيث جاء في سند رواية الطبراني: «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه إبراهيم بن هشام الغساني، ووثقه ابن حبان (١) وغيره، وضعفه أبو حاتم وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح» (٢).

٢- توثيق الناصبي إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني (ت ٥٢٥٩هـ)

إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق الجوزجاني، من أئمة الجرح والتعديل عند أهل السنة وصاحب كتاب أحوال الرجال، قال عنه ابن عدي في الكامل:

إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني كان مقيماً بدمشق، يحدث على المنبر، ويكاتبه أحمد بن حنبل فيتقوى بكتابه ويقراه على المنبر، وكان شديد الميل إلى مذهب أهل دمشق في التحامل على علي (٣).

وقال الذهبي في تذكرة الحفاظ: «وقال عنه الدارقطني: كان من الحفاظ الثقات المصنفين، وفيه انحراف عن علي» (٤).

قال ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب:

وقال السلمى عن الدارقطني بعد أن ذكر توثيقه: لكن فيه انحراف عن علي، اجتمع على بابه أصحاب الحديث، فأخرجت جارية له فرّوجة لتذبحها فلم تجد من يذبحها فقال: سبحان الله فرّوجة لا يوجد من يذبحها وعلي يذبح في ضحوة نيفاً وعشرين ألف مسلم (٥).

وقد وصفه ابن حبان في جملة الثقات، بأنه: «كان حريزي المذهب...» (٦).

ويعنى بذلك نسبه إلى حريز بن عثمان المعروف بالنصب ولعن أمير المؤمنين، كما ذكره

١- نقل عنه ابن حبان في كتاب صحيح ابن حبان، ج ٢، ص ٢٨٧.

٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج ٨، ص ٧١.

٣- الكامل في ضعفاء الرجال، عبدالله بن عدي، ج ١، ص ٣١٠.

٤- تذكرة الحفاظ، ج ٢، ص ٥٤٩.

٥- تهذيب التهذيب، ج ١، ص ١١٨.

٦- الثقات، ج ٨، ص ٨١. كما نقل عنه في مواضع مختلف أحاديث كثيرة في جملة من أدرج أسمائهم في الصحيح. أنظر: صحيح ابن حبان، ج ٢، ص ٤٠٦ وغيرها من الصفحات.

ص ١٧٤

عنه الذهبى (١)، وابن حجر (٢)، وابن العماد الحنبلى (٣)، والنسائى، والدار قطنى (٤)، وقال عنه محمود سعيد بن ممدوح الشافعى: «الجوزجاني الناصبى... والجوزجاني المعروف بنصبه» (٥)، كما نصّ على نصبه حسن بن على السقاف فى كتابه زهر الريحان (٦)، و أحمد بن محمّد الصديق الغمارى فى كتابه فتح الملك العلى (٧).

٤- توثيق أزهر بن عبدالله الحرازي (ت ١٢٨ أو ١٢٩هـ)

أزهر بن عبدالله الحرازي الحمصى، تابعى ومن رواة الحديث، قال عنه الذهبى فى كتابه ميزان الاعتدال: «تابعى، حسن الحديث، لكنّه ناصبى، ينال من علىّ رضى الله عنه» (٨)، كما نصّ على نصبه أيضاً فى كتابه الكاشف (٩).
أمّا ابن حجر العسقلانى فقال: «صدوق، تكلموا فيه للنصب» (١٠).
ونقل العسقلانى فى تهذيب التهذيب أنّ ابن الجارود ذكر أزهر بن عبدالله ونصّ على أنّه يسبّ أمير المؤمنين (١١).
ورغم ذلك فهو صدوق عند ابن حجر كما مرّ، ووثقه العجلى (١٢) وابن حبان (١٣)، بل

١- أنظر: ميزان الاعتدال، ج ١، ص ١٠١.

٢- أنظر: تقريب التهذيب، ص ٦٧.

٣- شذرات الذهب، ج ٢، ص ١٣٠.

٤- أنظر: تهذيب الكمال، ج ١، ص ٤٥٦.

٥- غاية التبجيل، صص ٢٤٠ و ٢٤٤.

٦- أنظر: زهر الريحان، ص ١٣٧.

٧- أنظر: فتح الملك العلى، ص ٧٤.

٨- ميزان الاعتدال، الذهبى، ج ١، ص ١٩٧.

٩- الكاشف، ص ٦٩.

١٠- تقريب التهذيب، ص ٦٩.

١١- تهذيب التهذيب، ج ١، ص ١٣٢.

١٢- تاريخ الثقات، ص ٥٩.

١٣- الثقات، الألبانى، ج ٤، ص ٣٩.

روى عنه البخارى فى الأدب المفرد، وأبو داود والنسائى وابن ماجه والترمذى !! و سذكروه أيضاً فى ترجمه أسد بن وداعه بعد قليل.

٥- توثيق إسحاق بن سويد العدوى (ت ٥١٣هـ)

إسحاق بن سويد العدوى البصرى، من رواة الحديث، ذكره العجلى فى تاريخ الثقات فقال: «ثقة، وكان يحمل على على» (١). وذكر ابن حجر فى ترجمته: «وقال أبو العرب الصقلى فى الضعفاء: كان يحمل على على تحاملاً شديداً، وقال: لا أحبّ علياً» (٢). وقال ابن حجر أيضاً عنه: «صدوق، تكلم فيه للنصب» (٣). ورغم ذلك فقد وثقه أحمد بن حنبل والنسائى ويحيى بن معين (٤) وابن حبان (٥) والعجلى كما مرّ معنا، وروى عنه البخارى ومسلم فى صحيحهما، وأحمد فى المسند، وكذلك النسائى وأبو داود.

٦- توثيق أسد بن موسى الأموى (ت ٢١٢هـ)

أسد بن موسى بن إبراهيم بن الوليد بن عبدالمملك الأموى، من الحُفَظاء والرواة وأصحاب المؤلّفات، قال عنه ابن حجر: «أسد السنّة، صدوق، يُعزّب، وفيه نصب» (٦)، أسد السنّة الناصبى !! ما أشد تناقضهم. وذكره الذهبى ضمن الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الردّ (٧)، فكلّ ما ذكره فيه

- ١- تاريخ الثقات، ص ٦١.
- ٢- تهذيب التهذيب، ج ١، ص ١٥٢.
- ٣- تقريب التهذيب، ص ٧٣.
- ٤- تهذيب الكمال، ج ٢، ص ٤٨.
- ٥- الثقات، اللباني، ج ٦، ص ٤٧.
- ٦- تقريب التهذيب، ص ٧٦.
- ٧- معرفة الرواة، الذهبى، توفى ٧٤٨هـ، ص ٦٦.

ص ١٧٦

لا يوجب جرحه!! بل وثقه ابن حبان (١) والنسائي (٢) والعجلي (٣)، وابن العماد الحنبلي (٤)، وروى عنه البخاري في صحيحه وفي الأدب المفرد، وروى عنه كذلك النسائي وأبو داود

٧- توثيق أسد بن وداعة الشامي (ت ١٣٧هـ)

أسد بن وداعة أبو العلاء الشامي، من التابعين ومن رواة الحديث، قال عنه الذهبي: أسد بن وداعة، شامي من صغار التابعين، ناصبي يسب، قال ابن معين: كان هو وأزهر الحرازي وجماعة يسبون علياً، وقال النسائي: ثقة (٥).

وروى العقيلي وابن حجر الجريمة التالي:

حدّثنا محمّد، حدّثنا عباس قال: سمعت يحيى، قال: حدّثنا أزهر الحراني وأسد بن وداعة وجماعة كانوا يسبون علي بن أبي طالب، وكان ثور بن يزيد في ناحية لا يسب، فإذا لم يسب جرّوا برجله (٦).

ولا أدري ما هو مبرر بعض علماء أهل السنة في توثيق هذا الناصبي المنافق المتجرئ على الله ورسوله؟! فما هو تبرير النسائي في توثيقه؟! وما هو تبرير ابن حبان في توثيقه أيضاً (٧)؟! بل زاد ابن حبان فقال:

أسد بن وداعة الشامي كنيته أبو العلاء يروى عن شداد بن أوس، روى عنه أهل الشام، وكان عابداً، قتل سنة ست أو سبع وثلاثين ومائة (٨).

١- الثقات، ابن حبان، ج ٨، ص ١٣٦.

٢- نقلاً عن: تهذيب الكمال، ج ٢، ص ١٦٦. وكذلك نقل توثيقه إياه المبار كفوري، تحفة الأحوذى، ج ٢، ص ٤٠٥.

٣- تاريخ الثقات، ص ٦٢.

٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ٢، ص ٢٧.

٥- ميزان الاعتدال، ج ١، ص ٢٢٩.

٦- الضعفاء الكبير، ج ١، ص ٢٦؛ تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٣٤٥.

٧- الثقات، ج ٤، ص ٥٦.

٨- المصدر السابق، ص ٥٧.

ص ١٧٧

نعم، كان عابداً للطاغوت، متبعاً للشيطان، وإلّا فمن يتجرأ على سب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ما عساه إلّا منافقاً أو كافراً.

٨- توثيق حريز بن عثمان الرحبي (ت ٥١٦٣هـ)

حريز بن عثمان الرحبي الحمصي، تابعي، حافظ، من رواة الحديث، أخرج له البخاري والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه، وهو من المشهورين بالتصب والبغض لسيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وقد نصّ عليّ نَصبه الذهبي (١) وأحمد بن حنبل (٢) وابن حبان (٣) والعجلي، حيث قال: «حريز بن عثمان الرحبي شامي ثقة، وكان يحمل عليّ علي» (٤)، وأحمد بن محمد الغماري (٥) وابن عقيل الحضرمي (٦) وحسن بن فرحان المالكي (٧) وغيرهم، أمّا من ذكر أنّه اتّهم ورُمي بالتصب فهُم أكثر.

ودعونا نفتح الملف الإجرامي لهذا الحافظ الناصبي لِنرى من هذا الذي وثّقه؟

وهل تنطبق عليه شروط التوثيق أم لا؟ وهل هم صادقون في دعواهم محبة آل

البيت؟

أنبأنا محمّد بن الحسين القطان، أنبأنا عثمان بن أحمد الدقاق، حدّثنا سهل بن

أبي سهل، حدّثنا أبو جعفر عمرو بن علي، قال: وحريز بن عثمان كان ينتقص علياً وينال منه... (٨).

أنبأنا أحمد بن أبي جعفر، أنبأنا يوسف بن أحمد الصيدلاني، حدّثنا محمّد بن عمرو

١- أنظر: الكاشف، ص ١٣٧.

٢- نقلاً: تهذيب الكمال، ج ٤، ص ٢٣٥.

٣- نقلاً: تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٤٦٥.

٤- تاريخ الثقات، ص ١١٢.

٥- فتح الملك العلي، صص ٢٥ و ٧٤.

٦- العتب الجميل علي أهل الجرح والتعديل، محمّد بن عقيل الحضرمي، ص ١٣١.

٧- قراءة في كتب العقائد، ص ١٧٦.

٨- تاريخ بغداد، ج ٨، ص ٢٦١.

ص ١٧٨

العقيلي، حدّثنا محمّد بن أيوب، عن يحيى بن ضر، يحدّثنا يحيى بن المغيرة قال: ذكر أنّ حريزاً كان يشتم علياً على المنابر (١). وقال العقيلي:

حدّثنا محمّد بن أيوب بن يحيى بن ضريس، قال: حدّثنا يحيى بن المغيرة، قال: ذكر جرير أنّ حريز كان يشتم علياً على المنابر. حدّثنا محمّد بن إسماعيل، قال: حدّثنا الحسن بن علي الحلواني، قال: حدّثنا عمران بن أبان، قال: سمعت حريز بن عثمان يقول: لا أحبّه قتل آبائي قتل آبائي يعني علياً (٢).

وقال: حدّثنا محمّد بن اسماعيل، حدّثنا الحسن بن علي قال: قلت ليزيد بن هارون: هل سمعت من حريز بن عثمان شيئاً تنكره عليه من هذا الباب؟ فقال: إنّي سألته أن لا يذكر لي شيئاً من هذا مخافة أن أسمع منه شيئاً يضيق عليّ الرواية عنه، قال: فأشدّ شيء سمعته يقول: لنا أمير ولكم أمير يعني: لنا معاوية ولكم عليّ، فقلت ليزيد: فقد آثرنا على نفسه؟ فقال: نعم (٣).

أنبأنا محمّد بن عبدالله بن أبان الهيتي، قال: حدّثنا الحسين بن عبدالله بن روح الجواليقي، حدّثني هارون بن رضى مولى محمّد بن عبدالرحمن بن اسحاق القاضي، حدّثنا أحمد بن سنان، قال: سمعت يزيد بن هارون يقول: رأيت ربّ العزة في المنام، فقال لي: يا يزيد تكتب من حريز بن عثمان؟ فقلت: يا ربّ ما علمت منه إلّا خيراً، فقال لي: يا يزيد لا تكتب منه فإنّه يسبّ علياً (٤).

وروى هذا الخبر بأكثر من صورة.

وقال أحمد بن سعيد الدارمي، عن أحمد بن سليمان المروزي: سمعت إسماعيل بن عياش قال: عادت حريز بن عثمان من مصر إلى مكة فجعل يسبّ علياً ويلعنه (٥).

١- تاريخ بغداد، ج ٨، ص ٢٦١.

٢- ضعفاء العقيلي، ج ١، ص ٣٢١. تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٤٦٥.

٣- تاريخ بغداد، ج ٨، ص ٢٦١؛ تهذيب الكمال، ج ٤، ص ٢٣٦.

٤- تاريخ بغداد، ج ٨، ص ٢٦١.

٥- تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٤٦٥؛ تهذيب الكمال، ج ٤، ص ٢٣٧.

ص ١٧٩

قال ابن حجر:

قلت: وحكى الأزدى فى الضعفاء أنّ حريز بن عثمان روى أنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما أراد أن يركب بغلته جاء على بن أبى طالب فحلّ حزام البغلة ليقع النبى صلى الله عليه [وآله] وسلم، قال الأزدى: من كانت هذه حاله لا يروى عنه... وقال ابن عدى: قال يحيى بن صالح الوحاظى: أملى على حريز بن عثمان عن عبدالرحمن بن ميسرة عن النبى صلى الله عليه [وآله] وسلم حديثاً فى تنقيص على بن أبى طالب لا يصلح ذكره، حديث معقل منكر جداً لا يروى مثله من يتقى الله، قال الوحاظى: فلما حدّثنى بذلك قمت عنه وتركته، وقال قنجار: قيل ليحيى بن صالح: لمّ لم تكتب عن حريز؟ فقال: كيف أكتب عن رجل صلّيت معه الفجر سبع سنين فكان لا يخرج من المسجد حتّى يلعن علياً سبعين مرة، وقال ابن حبان: كان يلعن علياً بالغداة سبعين مرّة وبالعشى سبعين مرّة، فقيل له فى ذلك فقال: هو القاطع رؤوس آبائى وأجدادى، وكان داعية لمذهبه يتنكب حديثه (١).

قال عنه ابن عقيل الحضرمى:

قد أطلت فى ترجمته هذا الخبيث المخبث بنقل كلامهم؛ لأنّه ممن روى له البخارى وغيره، واعتمدوه وعدّلوه وذوّبوا عنه حمية وتعصّباً للباطل واتّخذوه إماماً وحقّية فى دينهم.... ومما تقدّم نقله تعرف أنّ حريز بن عثمان منافق فاجر وضّاع مُبغض لعلى متجاهر بذلك مُصرّح بلعنه وبأنّه لا يحبّه، يشيد بسبّه ويخترع الأحاديث فى تنقيصه، وهو مع ذلك سفيانى داعية إلى مذهبه الممقوت... (٢).

وقال الحسن بن على السقاف عنه: «خبيث مخبث، ناصب مشهور، مائل عن الحقّ، ومعوج الفكر ضال، تحايده مسلم فلم يخرج له» (٣).

قال عنه حسن بن فرحان المالكي:

١- تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٤٦٥.

٢- العتب الجميل، ص ١٣١.

٣- المصدر السابق، ص ١٢٨.

ص ١٨٠

وقد تربى الناس فى الشام على بغض على ولعنه فظهر منهم أكثر من خمسين محدثاً ناصبياً فى القرون الثلاثة الأولى، كان أشهرهم حريز بن عثمان الرحبي من رواة البخارى، وكان يسبّ علياً فى اليوم ١٤٠ مرّة فقط!! (١).

وقال أحمد بن محمد الغمارى: «وصحّ البخارى لحريز بن عثمان، وقد وصل فى البدعة إلى حدّ مفسّق بالإجماع أو مكفّر على رأى البعض» (٢).

هذا هو حريز بن عثمان الرحبي، و تلك جرائمه باعتراف علماء أهل السنّة، وأمّا الغمارى والسقاف وابن فرحان وابن عقيل فإنّ الإنصاف دعاهم لفضح هذا الناصبى والتحذير منه، ولكن صيحاتهم ذهبت أدراج الرياح، ولكنها لا تذهب عند الله تبارك وتعالى.

أمّا عامّة علماء أهل السنّة فيوثقون هذا الناصبى و يقبلون روايته، و سبق أن ذكرنا أنّ البخارى والترمذى والنسائى وابن ماجه وأبا داود أخرجوا له فى كتبهم، وقبلوا روايته بطيب خاطر، و إليك نماذج مما قالوه فيه:

قال عنه أحمد بن حنبل: «ثقة ثقة ثقة» (٣)، وقال ابن حجر: «ليس بالشام أثبت من حريز...» (٤)، وقال المدينى: «لم يزل من أدركناه من أصحابنا يوثقونه» (٥)، قال عنه الذهبى: «حريز بن عثمان الحافظ العالم المتقن... محدث حمص، من بقايا التابعين الصغار» (٦).

وقال عنه أبو حاتم الرازى:

حريز بن عثمان الرحبي أبو عثمان الحمصى روى عن عبدالله بن بسر، صاحب النبى صلى الله عليه وسلم وراشد بن سعد وعبدالرحمن بن ميسرة روى عنه معاذ بن معاذ وعيسى بن يونس وبقية وعثمان بن سعيد بن كثير بن دينار سمعت أبى يقول ذلك.

١- قراءة فى كتب العقائد، ص ١٧٦.

٢- فتح الملك العلى، ص ٢٥.

٣- نقلًا عن: تاريخ بغداد، ج ٨، ص ٢٦٣.

٤- أنظر: تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٤٦٥.

٥- تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٤٦٥؛ تاريخ بغداد، ج ٨، ص ٢٦٣.

٦- سير أعلام النبلاء، ج ٧، ص ٦٠.

ص ١٨١

حدّثنا عبدالرحمن، نا محمّد بن عوف الحمصى، نا أحمد بن حنبل قال: ليس بالشام أثبت من حريز إلا أن يكون بحير، قيل: صفوان بن عمرو؟ قال: حريز فوّه، حريز ثقة ثقة. حدّثنا عبدالرحمن، قال ذكره أبى عن ابن منصور عن يحيى بن معين قال: حريز بن عثمان ثقة. حدّثنا عبدالرحمن حدثنى أبى قال: سمعت دحيما يثنى على حريز، حدّثنا عبدالرحمن سمعت أبى يقول: حريز بن عثمان حسن الحديث. ولم يصح عندى ما يقال فى رأيه، ولا أعلم بالشام أثبت منه، هو أثبت من صفوان بن عمرو وأبى بكر بن أبى مريم، وهو ثقة متقن (١).

الشيعة لا تحكّم بكفر المخالف

بعد أن اتّضح لنا أنّ حكم تكفير النواصب لا يختص بمذهب من المذاهب الإسلامية، بل هو محلّ وفاق بين علماء المسلمين سنّهم وشيعتهم، حيث خصصوه بكلّ من يعلن العداوة والبغضاء لأهل البيت، فالناصبى اسم ينطبق على كلّ من نصب العداة لأهل البيت: وأعلنه بحرب أو بشتّم لهم، أو سبّ سيّدهم مولى الموحّدين أمير المؤمنين على بن أبى طالب. أخرج أحمد بسنده عن أم سلمة أنّها قالت لعبد الله الجدلى: «أيسب فيكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: معاذ الله، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من سبّ علياً فقد سبّنى» (٢)، رواه الحاكم وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» (٣)، وقال الهيثمى فى ذيله: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبى عبد الله الجدلى وهو ثقة» (٤).

وروى الذهبى فى تاريخ الإسلام، عن زر، عن على قال:

- ١- الجرح والتعديل، ج ٣، ص ٢٨٩.
- ٢- مسند أحمد بن حنبل، ج ٦، ص ٣٢٣؛ السنن الكبرى ج ٥، ص ١٣٣؛ خصائص أمير المؤمنين للنسائى، ص ٩٩؛ فيض القدير للمناوى، ج ٦، ص ١٩٠.
- ٣- المستدرک على الصحيحين، ج ٣، ص ١٢١.
- ٤- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمى، ج ٩، ص ١٣٠.

إنَّه لعهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق. أخرجه مسلم، والترمذي وصححه. وقال أبو صالح السمان وغيره عن أبي سعيد قال: إنا كنا نعرف المنافقين ببغضهم علياً. وقال أبو الزبير عن جابر قال: ما كنا نعرف منافق هذه الأمة إلا ببغضهم علياً (١).

وأما حكم المخالف للشيعة الإمامية من أهل السنة، فإن فقهاء الإمامية الأعظم لا يحكمون بكفره كما ادعى الدمشقية بناءً على مساوئه بالناصبي؛ إذ كيف يحكمون بكفره وهم يقبلونه في موارد مهمّة في الحياة كالزواج والأكل والصلاة خلفه ونحوها، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على الحكم بطهارته والقول بإسلامه، وإن لم يصطلحوا عليه لفظ المؤمن بمعناه الخاص، إذ إنهم يرون الإيمان الخاص درجة أعلى من الإسلام الذي هو الإيمان بمعناه العام (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [الحجرات: ١٤] وهم يعتقدون بصحة إطلاق الإيمان بمعناه الخاص على من والى الإمام على ٧، واعترف بإمامته وإمامة الأئمة من ولده المخصوصين بحديث الاثني عشر إماماً، وإلا فلا- خصوصية للإمامية على غيرها من الفرق الإسلامية، ولاعتقد بما تعتقد به أهل السنة بجعل الإمامة من الفروع التي يجوز فيها الاجتهاد والتقليد.

ثم إن المخالف في تعبير الإمامية لا- يختص بأهل السنة فقط، بل يعم بذلك الفرق الشيعية التي لا تؤمن بالأئمة الاثني عشر، فهو مصطلح عام يشمل كل من لا يوافق الشيعة الإمامية في أصولها وفروعها، سواء كان من الشيعة أم من السنة، وأن حكمه غير حكم الناصبي.

أقوال علماء الشيعة الإمامية في المخالف

قال الشهيد الثاني:

قوله [الحلى]: (ولا يشترط الإيمان الخ). اختلف الأصحاب في اشتراط إيمان الذابح زيادة

ص ١٨٣

على الإسلام، فذهب الأكثر إلى عدم اعتباره والاكتفاء في الحل بإظهار الشهادتين على وجه يتحقق معه الإسلام، بشرط أن لا يعتقد ما يخرج عنه كالناصبي (والغالي) (١).

وقال السبزواري: «والأكثر على عدم اشتراط الإيمان والاكتفاء في الحل بإظهار الشهادتين على وجه يتحقق معه الإسلام، بشرط أن لا يعتقد ما يخرج عنه كالناصب» (٢).

وقال السيد الكلبي كاني: «ولا يشترط الإيمان، وفيه قول بعيد باشرطه. نعم، لا تصح ذباحة المعلن بالعداوة لأهل البيت: - كالخارجي - وإن أظهر الإسلام» (٣).

وقال السيد السيستاني:

مسألة ٢١٤: لا يجوز للمؤمن أو المؤمنة أن ينكح دواما أو متعة بعض المنتحلين

لدين الإسلام ممن يحكم بنجاستهم كالنواصب وغيرهم ممن تقدم ذكرهم في كتاب الطهارة.

مسألة ٢١٥: يجوز زواج المؤمن من المخالفة غير الناصبية، كما يجوز زواج المؤمنة من المخالف غير الناصبي، على كراهة، نعم إذا خيف عليه أو عليها الضلال حرم (٤).

قال السيستاني في المسائل المنتخبة:

مسألة ١١٧٣: يشترط في تزكية الذبيحة أمور: الأول: أن يكون الذابح مسلما - رجلا - كان أو امرأة أو صبيا مميزا - فلا تحل ذبيحة الكافر حتى الكتابي وإن سمي على الأحوط، وكذا الناصب المعلن بعداوة أهل البيت: (٥).

وقال الشيخ لطف الله الصافي في هداية العباد:

مسألة ١٢١١: لا يجوز للمؤمن أن تنكح الناصب المعلن بعداوة أهل البيت،

ولا الغالي المعتقد بألوهيتهم أو نبوتهم، وكذا لا يجوز للمؤمن أن ينكح الناصبة والغالية؛

١- مسالك الأفهام، ج ١١، ص ٤٦٨.

٢- كفاية الأحكام، ج ٢، ص ٥٨٣.

٣- إرشاد السائل، ص ١٩٩.

٤- منهاج الصالحين، ج ٣، ص ٧٠.

٥- المسائل المنتخبة، ص ٤٥٥.

ص ١٨٤

لأنهم بحكم الكفار وإن انتحلوا دين الإسلام.

مسألة ١٢١٢: لا إشكال في جواز نكاح المؤمن المخالف غير الناصبة، وأما نكاح المؤمنة المخالف غير الناصب، فالجواز مع الكراهة لا يخلو من قوة. (١)

وقال السيد محمد سعيد الحكيم في منهاج الصالحين:

مسألة ٤٠١: الناصب نجس - على الأحوال وجوباً - إذا رجع نضبه إلى إنكار الضرورى بالنحو الموجب للكفر، الذى تقدم فى المسألة السابقة. وكذا الغالى إذا رجع غلوه إلى إنكار التوحيد لله تعالى أو إنكار النبوة أو إنكار الضرورى بالنحو المتقدم (٢).

وقد لاحظت أنى أوردت آراء عدد من كبار فقهاء الشيعة من القدماء والمعاصرين من العرب والعجم.

والحاصل: أنه بعد ذكر هذه الأقوال فى الناصب والمخالف وبين الفرق بينهما يتضح لك ما يروم الوصول إليه عبدالرحمن بن محمد سعيد دمشقي، من إيهام بعض عوام أهل السنة ليحقق هدفه المنشود من وراء ذلك، وهو إثارة الفتنة والبغضاء بين أبناء الأمة الإسلامية، وهو بذلك متعمد وليس بجاهل، فإن الجاهل لا يقحم نفسه فى مثل هذه الأمور، خصوصاً وأنه يعد نفسه اليوم من كبار الوهابية وأهل العلم والفتيا بينهم، وقد لا يكون هناك من يكون بمنزلته، حيث يرى نفسه مجتهداً للدفاع عن الفكر الوهابي باسم أهل السنة والإسلام ضد ما يصفهم بالكفرة الخارجين عن الدين والملء، فانظر كيف ينقل عبارة أئمة الشيعة الإمامية الواردة فى الناصبي؟ وكيف يعلق عليها بأن المقصود بها هم أهل السنة؟ ولكن كما يقول الحق تبارك وتعالى: (لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) [الأنعام: ١٢٣] وقال تعالى: (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) [الأنفال: ٣٠] وقال تعالى: (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) [فاطر: ٤٣].

فانظر إلى ما استدلل به على قوله؟ وهى عبارة السيد الخوئي = التى نقلناها فى بداية

١- هداية العباد، ج ٢، ص ٢٧٥.

٢- منهاج الصالحين، ج ١، ص ١٢٧.

ص ١٨٥

الفصل، والآخر هو ما رواه القمي الملقب بالصدوق عن داود بن فرقد، قال: قلت لأبي عبد الله [يعني الإمام الصادق]: ما تقول في قتل الناصب؟ قال: حلال الدم، ولكنني أتقى عليك، فإن قدرت أن تقلب عليه حائطاً أو تغرقه في ماء لكيلا يشهد به عليك فافعل، قلت: فما ترى في ماله؟ قال: توه ما قدرت عليه (١). ثم قال الدمشقي: «وذكر هذه الرواية الحر العاملي في (وسائل الشيعة ١٨/٤٦٣، ونعمة الجزائرى في الأنوار النعمانية ٢/٣٠٧)، إذ صرح بجواز قتلهم واستباحة أموالهم» (٢).

رأى السيد الخوئي في المخالف

قال=:

قد وقع الكلام في نجاسة الفرق المخالفة للشيعة الاثني عشرية وطهارتهم، وحاصل الكلام في ذلك: أن إنكار الولاية لجميع الأئمة: أو لبعضهم هل هو كإنكار الرسالة يستتبع الكفر والنجاسة؟ أو أن إنكار الولاية إنما يوجب الخروج عن الإيمان مع الحكم بإسلامه وطهارته، فالمعروف المشهور بين المسلمين طهارة أهل الخلاف وغيرهم من الفرق المخالفة للشيعة الاثني عشرية... إلى أن قال:

والأخبار الواردة بهذا المضمون وإن كانت من الكثرة بمكان إلا أنه لا دلالة لها على نجاسة المخالفين؛ إذ المراد فيها بالكفر ليس هو الكفر في مقابل الإسلام، وإنما هو في مقابل الإيمان كما أشرنا إليه سابقاً أو أنه بمعنى الكفر الباطني، وذلك لما ورد في غير واحد من الروايات من أن المناط في الإسلام وحقن الدماء والتوارث وجواز النكاح إنما هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسوله، وهي التي عليها أكثر الناس، وعليه فلا يعتبر في الإسلام غير الشهادتين، فلا مناص معه عن الحكم بإسلام أهل الخلاف... مضافاً إلى السيرة القطعية الجارية على طهارة أهل الخلاف، حيث إن المشرعين في زمان الأئمة:

١- علل الشرائع، الصدوق، ص ٦٠١، طبع النجف.

٢- ظاهرة التكفير في مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ص ٤٨.

وكذلك الأئمة بأنفسهم كانوا يشتركون منهم اللحم ويرون حلية ذبائهم وياشرونهم، وبالجملة كانوا يعاملون معهم معاملة الطهارة والإسلام من غير أن يرد عنهم ردع(١). وقال أيضاً:

وأما الولاية بمعنى الخلافة فهي ليست بضرورية بوجه، وإنما هي مسألة نظرية، وقد فسروها بمعنى الحب والولاء ولو تقليداً لأبائهم وعلمائهم، وإنكارهم للولاية بمعنى الخلافة مستند إلى الشبهة كما عرفت، وقد أسلفنا أن إنكار الضرورى إنما يستتبع الكفر والنجاسة فيما إذا كان مستلزماً لتكذيب النبي، كما إذا كان عالمياً بأن ما ينكره مما ثبت من الدين بالضرورة، وهذا لم يتحقق في حق أهل الخلاف؛ لعدم ثبوت الخلافة عندهم بالضرورة لأهل البيت؛ نعم الولاية - بمعنى الخلافة - من ضروريات المذهب لا من ضروريات الدين. هذا كله بالإضافة إلى أهل الخلاف. ومنه يظهر الحال في سائر الفرق المخالفين للشيعة الاثنى عشرية من الزيدية، والكيسانية، والإسماعيلية، وغيرهم، حيث إن حكمهم حكم أهل الخلاف؛ لضرورة أنه لا فرق في إنكار الولاية بين إنكارها ونفيها عن الأئمة: بأجمعهم وبين إثباتها لبعضهم ونفيها عن الآخرين؛ كيف وقد ورد إن من أنكر واحداً منهم فقد أنكر جميعهم؛ وقد عرفت أن نفي الولاية عنهم - بأجمعهم - غير مستلزم للكفر والنجاسة فضلاً عن نفيها عن بعض دون بعض، فالصحيح الحكم بطهارة جميع المخالفين للشيعة الاثنى عشرية(٢).

وهذا ليس مختصاً بالسيد الخوئي، بل هو رأى مشهور عند الشيعة الإمامية، ولا عبرة بمن خالف هذا المشهور، كما تقدم نقل آراء في التفريق بين الناصبي الذي يذهب جميع علماء المسلمين سنة وشيعة إلى تكفيره ونجاسته وخروجه عن الملة؛ لعدائه لله ولرسوله ولأهل بيته: الثابت بالضرورة من الدين وجوب مودتهم في آية المودة (قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) [الشورى: ٢٣] وإن لم يكن حق في القرآن غير هذا لكفى، كيف

١- كتاب الطهارة، صص ٨٤ و ٨٥.

٢- المصدر السابق، صص ٨٦ و ٨٧.

ص ١٨٧

والقرآن أنزل فيهم ما يوجب لهم من الحقوق ما ليس لغيرهم من سائر المسلمين. ويؤيد ما ذهب إليه مشهور علماء الإمامية، من عدم وجود دليل روائي يدلّ على كفر المخالف، هو ما ذهب إليه الإمام الخميني = الذي هو الآخر مرمى لسهام الوهابية، حيث قال =:

ولا دليل عليها سوى توهم إطلاق معاهد إجماعات نجاسة الكفار، وهو وهم ظاهر؛ ضرورة أن المراد من الكفار فيها مقابل المسلمين الأعم من العامة والخاصة، ولهذا ترى إلحاقهم بعض المنتحلين إلى الإسلام كالخوارج والغلاة بالكفار، فلو كان مطلق المخالف نجساً عندهم فلا معنى لذلك، بل يمكن دعوى الإجماع أو الضرورة بعدم نجاستهم (١). وقال أيضاً:

والإنصاف أنّ سنخ هذه الروايات الواردة في المعارف غير سنخ الروايات الواردة في الفقه.. ولذا فإنّ صاحب الوسائل لم يوردها في أبواب النجاسات في جامع (وسائل الشيعة)؛ لأنها أجنبية عن إفادة الحكم الفقهي (٢). أقول: إنّ الناصبي إنّما حكم بكفره ونجاسته تبعاً لنجاسة الكافر؛ وذلك لعداوته وبغضه لأهل البيت، فهو يشترك من هذه الجهة مع الكافر المحارب لله ورسوله؛ فهما مشتركان في النتيجة في إعلان الحرب لله تعالى ورسوله.

الفصل الرابع الإمامية لا تحكّم بكفر المسلمين

الإمامية لا تحكّم بكفر المسلمين

إشاره

١- كتاب الطهارة، ج ٣، ص ٣١٧.

٢- المصدر السابق، ص ٣٢١.

ص ١٨٩

الفصل الرابع الإمامية لا تحكم بكفر المسلمين

الإمامية لا تحكم بكفر المسلمين

لقد منَّ الله تعالى على البشرية بوجه عام، وعلى أهل الإسلام والشيعه الإمامية بوجه خاص، بالنبى الأكرم محمد، وبأئمة من أهل بيته: عارفين بالدين، معصومين عن الخطأ والاشتباه (١)، شهد لهم بذلك الله تعالى ورسوله، والمنصفين والمتورعين فى الدين من علماء المسلمين، قبل أن يشهد لهم من لم يؤمن بالله ورسوله؛ لمجرد قراءته لسيرتهم وحياتهم وقيامهم بدورهم ووظيفتهم الشرعية تجاه الإنسانية جمعاء، فهم أئمة أهل البيت: وآل الرسول محمد، وأئمة العدل والإنصاف، ودعاة الحرية والتحرر من العبودية والظلم، فأما المولى تبارك وتعالى فقد قال فيهم: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) [الأحزاب: ٣٣]، وأوجب محبتهم على الجميع؛ (قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) [الشورى: ٢٣] أقول للجميع لشمول رساله النبى للناس أجمعين، قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [سبأ: ٢٨] وفى عين كونه بشيرا ونذيرا فهو رحمه للعالمين (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً

١- كما شهد لهم المولى تبارك وتعالى فى كتابه العزيز، حينما قال: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا فالطهارة ثابتة لهم باتفاق أهل التحقيق والتفسير، وأما هل هى شاملة للخمسة من أصحاب الكساء حين نزولها فقط أم لا؟ فهذا ما للعلماء فيه أقوال مختلفة، ليس محلّه هنا. فائمة أهل البيت: أوضح المصاديق والقدر المتيقن لآية وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ، وهم أهل الذكر الذين أوجب الله على الجاهلين الرجوع إليهم، قال تعالى: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ فَإِنَّ أَحَدَهُمْ لَ يَقَاسُ بِهِ أَحَدًا، وهم العالمين المعلمين الذين لا يحتاجون إلى غيرهم فى التعليم لا تعلموهم فهم أعلم منكم، وغيرها.

ص ١٩٢

لِّلْعَالَمِينَ) [الأنبياء: ١٩٧] وأهل بيته: منه، وهدفهم هدفه، كما دلّ على ذلك حديث الثقلين: «إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي وإنيهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض» (١)، مضافاً إلى ما أوصى به أمته من توصيات كثيرة، والتي من جملتها السمع والطاعة لهم (٢).

وسنذكر لك بعض أقوال علماء السنّة في أئمة أهل البيت:، فضلاً عن علماء الشيعة فهم سادتهم وقادتهم، وهي على سبيل الاختصار: ذكر الحاكم النيسابوري:

من مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عنه مما لم يخرجاه (سمعت) القاضي أبا الحسن علي بن الحسن الجراحي وأبا الحسين محمّد بن المظفر الحافظ يقولان: سمعنا أبا حامد محمّد بن هارون الحضرمي يقول: سمعت محمّد بن منصور الطوسي يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله من الفضائل ما جاء لعلي (٣). وقال ابن حجر في صواعقه:

وهي كثيرة عظيمة شهيرة حتّى قال أحمد: ما جاء لأحد من الفضائل ما جاء لعلي، وقال إسماعيل القاضي والنسائي وأبو علي النيسابوري: لم يرد في حقّ أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان أكثر ما جاء في علي (٤). وأمّا الإمامان الحسن والحسين فقد تواترت الروايات في علوّ شأنهما وسمو مقامهما، فجاء في مجامع أحاديث السنّة أن رسول الله ٩ قال في حقّ ابنه الحسن: «إنّ ابني هذا

١- مسند أحمد بن حنبل، ج ٣، ص ١٤؛ المستدرک علی الصحیحین، ج ٣، ص ١٤٨، وقال في ذيله: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والمصادر في ذلك كثيرة جداً، وبطرق تبلغ حدّ التواتر، فراجع.

٢- فقد جاء عن النبي بسند صحيح قوله: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن عصى علياً فقد عصاني»، قال الحاكم النيسابوري: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. المستدرک علی الصحیحین، ج ٣، صص ١٢١ و ١٢٨؛ تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٢، ص ٣٠٧.

٣- المستدرک علی الصحیحین، ج ٣، ص ١٠٧.

٤- الصواعق المحرقة، ص ١٨٦.

ص ١٩٣

سيد، ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»^(١)، وقال في حقّ ابنه الحسين: «حسين منى وأنا منه أحبّ الله من أحبّه، الحسن والحسين سلطان من الأسباط»^(٢)، ولذا عندما خرج يوم الطف قال: إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت أطلب الإصلاح في أمة جدي محمد، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر^(٣).

وقد قال الذهبي في مدحهما وبيان موقعهما القيادي في الأمة: «...الحسن والحسين: فسبطا رسول الله وسيدا شباب أهل الجنة، لو استخلفا لكانا أهلاً لذلك»^(٤).

وأما الإمام علي بن الحسين، قال في حقّه محمّد بن إدريس الشافعي: «هو أفقه أهل المدينة»^(٥)، وقال محمّد بن أحمد الذهبي: «... كان له جلاله عجيبة، وحقّ له والله ذلك، فقد كان أهلاً للإمامة العظمى؛ لشرفه وسؤدده وعلمه وتألّفه وكمال عقله»^(٦). وقال أيضاً: «وزين العابدين: كبير القدر، من سادة العلماء العاملين يصلح للإمامة»^(٧)، وقال ابن حجر العسقلاني: «قال ابن عيينة عن الزهري: ما رأيت قرشياً أفضل منه»^(٨)، وقال ابن حجر في الصواعق: وأخرج أبو نعيم والسلفي: لما حجّ هشام بن عبد الملك في حياة أبيه أو الوليد لم يمكنه أن

١- صحيح البخارى: ج ٢، ص ١٧٩، ح ٢٧٠٤؛ الصواعق المحرقة، ص ٢٩١، وغيرها من المصادر الكثيرة جداً من الفريقين.

٢- التاريخ الكبير، ج ٨، ص ٤١٥، ح ٣٥٣٦؛ البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٢٤؛ المعجم الكبير، الطبراني: ج ٣، ص ٣٢ ح ٢٥٨٦، ج ٢٢، ص ٢٧٤؛ الجامع الصغير، ج ١، ص ٥٧٥، ح ٣٧٢٧؛ فيض القدير في شرح الجامع الصغير، ج ٣، ص ٥١٣؛ وفي صحيح الجامع الصغير، ج ١، صص ٦٠١ و ٦٠٢، ح ٣١٤٦، قال عن الحديث بأنّه، حسن، وغيرها من المصادر الكثيرة.

٣- مقتل الحسين: الخوارزمي، ص ٢٧٣؛ الفتوح، ج ٥، ص ٣٤.

٤- سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص ١٢٠.

٥- نقله الجاحظ في رسائله، ص ١٠٦.

٦- سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٣٩٨.

٧- المصدر السابق، ج ١٣، ص ١٢٠.

٨- تقريب التهذيب، ج ١، ص ٦٩٢.

ص ١٩٤

يصل للحجر من الزحام، فُنُصب له منبر إلى جانب زمزم، وجلس ينظر إلى الناس، وحوله جماعة من أعيان أهل الشام، فبينما هو كذلك إذ أقبل زين العابدين، فلمّا انتهى إلى الحجر تنحى له الناس حتّى استلم، فقال أهل الشام لهشام: مَنْ هذا؟ قال: لا أعرفه؛ مخافة أن يرغب أهل الشام في زين العابدين، فقال الفرزدق: أنا أعرفه، ثمّ أنشد:

هذا الذى تعرف البطحاء

وطأتهو البيت يعرفه والحلّ والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلّهم

هذا التقى النقى الطاهر العلم

إذا رأته قريش قال قائلها

إلى المكارم هذا ينتهى الكرم

ينمى إلى ذروة العزّ التى قصرت

عن نيلها عرب الإسلام والعجم

وكذا من أبيات تلك القصيدة:

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله

بجدّه أنبياء الله قد ختموا

فليس قولك من هذا بضائره

العرب تعرف من أنكرت والعجم

ثمّ قال:

من معشر حبّهم دين وبغضهم

كفر وقربهم منجى ومعتصم

لا يستطيع جواد بعد غايتهم

ولا يدانيهم قوم وإن كرموا

فلما سمع هشام غضب، وحبس الفرزدق بعسفان(١).

وأما الإمام محمد بن على الباقر(٧)، فقد قال فى حقّه أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ:

وهو سيّد فقهاء الحجاز، ومنه ومن ابنه جعفر تعلّم الناس الفقه، وهو الملقّب بالباقر، باقر العلم، لقّبه به رسول الله ولم يخلق بعد، وبشر

به، ووعد جابر بن عبدالله برؤيته، وقال: ستراه طفلاً، فإذا رأيت فبلّغه عنى السلام، فعاش جابر حتّى رآه، وقال له ما وصى (٢).

وقال سبط ابن الجوزى فى تذكرة الخواص:

قال عطاء: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبى جعفر، لقد

١- الصواعق المحرقة، صص ٣٠٣ و ٣٠٤.

٢- رسائل الجاحظ، ص ١٠٨.

رأيت الحَكَمَ عنده كأنّه مغلوب، يعنى بالحكم: الحكم بن عيينه، وكان عالماً نبياً جليلاً في زمانه (١).

وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات: «سمي بذلك؛ لأنه بقر العلم أي: شقّه وعرف أصله وعرف خفيّه... وهو تابعي جليل، إمام بارع، مجمع على جلالته، معدود في فقهاء المدينة وأئمتهم» (٢)، وقال ابن خلكان: «كان الباقر عالماً سيّداً كبيراً، وإنّما قيل له الباقر: لأنه تبقر في العلم» (٣)، وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء: «أبو جعفر الباقر: سيّد إمام فقيه، يصلح للخلافه» (٤)، وفي هذا المضمون ما قاله صلاح الدين الصفدي (٥)، وقال محمّد بن المنكدر: «ما رأيت أحداً يفضّل على علي بن الحسين، حتّى رأيت ابنه محمداً، أردت يوماً أن أعظه فوعظني» (٦)، وقال ابن كثير في البداية والنهاية: «وهو تابعي جليل، كبير القدر كثيراً، أحد أعلام هذه الأمة، عالماً وعملاً، وسيادةً وشرفاً» (٧)، وقال الهيثمي في صواعقه بعد أن ذكر على بن الحسين ما نصّه:

وارثه منهم، عبادةً وعلماً وزهادة، أبو جعفر محمّد الباقر، سمّي بذلك من بقر الأرض، أي: شقّها... فلذلك هو أظهر من مخبّات كنوز المعارف، وحقائق الأحكام والحكم واللطائف، ما لا يخفى إلّا على منطمس البصيرة، أو فاسد الطوية والسريرة، ومن ثمّ قيل فيه: هو باقر العلم، وجامعه، وشاهر علمه، ورافعه، صفا قلبه، وزكى علمه وعمله، وطهرت نفسه، وشرف خلقه، وعمرت أوقاته بطاعة الله، وله من الرسوم في مقامات العارفين ما تكلّف عنه ألسنة الواصفين، وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف لا تحملها هذه العجالة، وكفاه شرفاً أنّ ابن المديني روى عن جابر أنّه قال له وهو صغير: رسول الله يسلم عليك،

١- تذكرة الخواص، ص ٣٠٢.

٢- تهذيب الأسماء واللغات، ج ١، ص ١٠٣.

٣- وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٣٠.

٤- سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص ١٢٠.

٥- الوافي بالوفيات، ج ٤، ص ١٠٢.

٦- البداية والنهاية، ج ٩، ص ٣٣٨، نقلاً عن تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ٣١٣.

٧- البداية والنهاية، ج ٩، ص ٣٣٨.

فقيل له: وكيف ذاك؟ قال: كنت جالساً عنده والحسين في حجره وهو يداعبه، فقال: يا جابر، يولد له مولود اسمه علي، إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم سيد العابدين فيقوم ولده، ثم يولد له ولد اسمه محمّد، فإن أدركته يا جابر فأقرأه مني السلام (١). وقال ابن العماد الحنبلي: «قال عبدالله بن عطاء: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر منهم علماً عنده، وله كلام نافع في الحكم والمواعظ» (٢).

وأما الإمام الصادق فقد نقل عن أبي حنيفة أنّه قال:

«ما رأيت أحداً أفقه من جعفر بن محمّد لما أقدمه المنصور الحيرة بعث إليّ، فقال: يا أبا حنيفة، إنّ الناس قد فتنوا بجعفر بن محمّد فهينى له من مسائلك الصعاب، قال: فهينأت له أربعين مسألة، ثم بعث إليّ أبو جعفر فأتيته بالحيرة، فدخلت عليه وجعفر جالس عن يمينه، فلما بصرت بهما دخلنى لجعفر من الهيبة ما لم يدخل لأبى جعفر، فسلمت وأذن لى، فجلست، ثم ألتفت إلى جعفر، فقال: يا أبا عبدالله، تعرف هذا؟ قال: نعم، هذا

أبو حنيفة، ثم أتبعها: قد أتانا، ثم قال: يا أبا حنيفة، هات من مسائلك نسال أبا عبدالله، وابتدأت أسأله، وكان يقول فى المسألة: أنتم تقولون فيها: كذا وكذا، وأهل المدينة يقولون: كذا وكذا، ونحن نقول: كذا وكذا، وربما تابعنا، وربما تابع أهل المدينة، وربما خالفنا جميعاً، حتى أتيت على أربعين مسألة... ثم قال أبو حنيفة: أليس قد روينا أنّ أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس» (٣). وقال فى مختصر التحفة الاثنى عشرية: «لولا الستتان لهلك النعمان» (٤)، يعنى: الستين اللتين نهل فيهما أبو حنيفة من بحر علم الإمام الصادق، وقال الحافظ شمس الدين الجزرى:

وثبت عندنا أنّ كلا من الإمام مالك وأبى حنيفة رحمهما الله تعالى صحب الإمام أبا عبدالله

١- الصواعق المحرقة، صص ٣٠٤ و ٣٠٥.

٢- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ج ١، ص ٢٦٠.

٣- تهذيب الكمال، ج ٥، ص ٧٩.

٤- مختصر التحفة الاثنى عشرية، ص ٩.

جعفر بن محمّد الصادق حتّى قال أبوحنيفة: ما رأيت أفقه منه، وقد دخلني منه من الهيبة ما لم يدخلني للمنصور(١).
وقال أبو عبد الله سلمان الياضي في كتابه مرآة الجنان، في أحداث سنة (١٤٨هـ):

الإمام السيّد الجليل سلاله النبوة ومعدن الفتوة، أبو عبد الله جعفر الصادق (٧)، ودفن بالبقيع في قبر فيه أبوه محمّد الباقر وجدّه زين العابدين وعمّ جدّه الحسن بن علي (رضوان الله عليهم أجمعين)، وأكرم بذلك القبر وما جمع من الأشراف الكرام أولى المناقب، وإنّما لُقّب بالصادق لصدقه في مقالته وله كلام نفيس في علوم التوحيد وغيرها، وقد ألف تلميذه جابر بن حيان الصوفي كتاباً يشتمل على ألف ورقة يتضمّن رسائله، وهي خمس مائة رسالة(٢).

وقال ابن حجر الهيتمي في صواعقه: «ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته في جميع البلدان»(٣).

وأما الإمام الكاظم، قال في حقه محمّد بن إدريس المنذر، أبو حاتم (ت ٢٧٧هـ):

«ثقة، صدوق، إمام من أئمة المسلمين»(٤)، وقال الفخر الرازي في بيان معنى الكوثر: «والقول الثالث: الكوثر أولاده.... الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا»(٥)، وقال ابن حجر الهيتمي: «موسى الكاظم: وهو وارثه [أي: جعفر الصادق] علماً ومعرفةً وكمالاً وفضلاً، سُمّي الكاظم؛ لكثرة تجاوزه وحلمه، وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله، وكان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأسخاهم».

وسأله الرشيد كيف قلت: إنّنا ذرية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأنتم أبناء علي؟ فتلا: (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَ يُونُسَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ

١- نقلاً عن: أسنى المطالب عما في مناقب سيدنا علي بن أبي طالب، ص ٥٥.

٢- مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج ١، ص ٢٣٨.

٣- الصواعق، ص ٣٠٥.

٤- سير أعلام النبلاء، ج ٦، ص ٢٧٠.

٥- التفسير الكبير، ج ١٦، ص ١٢٥.

ص ١٩٨

نَجَزَى الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ [الأنعام: ٨٤ و ٨٥] [وعيسى] ليس له أب، وأيضاً قال تعالى: (فَمَنْ حَيَّجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) [آل عمران: ٦١] ولم يدع النبي ٩ عند مباهلتها النصارى غير علي وفاطمة والحسن والحسين (رضى الله عنهم)، فكان الحسن والحسين هما الأبناء (١).

وأما الإمام الرضا، فقال في حقه ابن حبان (ت ٣٥٤هـ):

وهو علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو الحسن، من سادات أهل البيت وعقلائهم وجلة الهاشميين ونبلائهم... وقبره بسناباذ خارج النوقان مشهور يزار بجانب قبر الرشيد، قد زرته مراراً كثيرة، وما حلت بي شدة في وقت مقامى بطوس فزرت قبر علي بن موسى الرضا (صلوات الله على جدّه وعليه) ودعوت الله إزالتها عني إلا أستجيب لي وزالت عني تلك الشدة، وهذا شيء تجربته مراراً فوجدته كذلك، أماتنا الله على محبة المصطفى وأهل بيته (صلى الله عليه وسلام الله عليه وعليهم أجمعين) (٢).

وقال الذهبي (ت ٧٤٨هـ) في سير أعلام النبلاء:

علي الرضا الإمام السيد، أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين الهاشمي العلوي المدني... وكان من العلم والدين والسؤدد بمكان، يقال: أفتى وهو شاب في أيام مالك... وقد كان علي الرضا كبير الشأن أهلاً للخلافة (٣).

وقال أيضاً: «علي بن موسى الرضا كبير الشأن، له علم وبيان، ووقع في النفوس، صيره المأمون ولي عهده لجلالته» (٤).

وأما الإمام الجواد، فقال في حقه محمد بن طلحة الشافعي: «... عرف بأبي جعفر

١- الصواعق المحرقة، صص ٣٠٧ و ٣٠٨.

٢- الثقات، ج ٨، صص ٤٥٦ و ٤٥٧.

٣- سير أعلام النبلاء، ج ٩، صص ٣٨٧ - ٣٩٢.

٤- المصدر السابق، ج ١٣، ص ١٢١.

الثاني، وهو وإن كان صغير السن، فهو كبير القدر، رفيع الذكر» (١). وقال ابن الجوزي: «كان على منهاج أبيه في العلم والتقوى والزهد والجد» (٢)، وقال ابن تيمية: «كان من أعيان بني هاشم، معروف بالسخاء والسؤدد؛ ولهذا سُمّي الجواد» (٣)، وقال الذهبي: «كان من سروات آل بيت النبي» (٤)، وقال الذهبي أيضاً: «محمد الجواد من سادة قومه» (٥)، وقال ابن الصباغ المالكي: «وإن كان صغير السن، فهو كبير القدر، رفيع الذكر، القائم بالإمامة بعد علي بن موسى الرضا» (٦)، وقال يوسف بن إسماعيل النبهاني (ت ٥١٣٥٠هـ):

محمد الجواد بن علي الرضا، أحد أكابر الأئمة، ومصايح الأئمة من سادات أهل البيت... توفّي وله من العمر (٢٥) سنة وشهر، رضى الله عليه وعن آبائه الطيبين الطاهرين وأعقابهم أجمعين ونفعنا ببركتهم آمين (٧).

وأما الإمام علي الهادي، فقال في حقّه شمس الدين الذهبي في (العبر):

وفيها - أى: سنة ٢٥٤ هجرية - توفّي أبو الحسن علي بن الجواد محمد بن الرضا علي بن الكاظم موسى... العلوي الحسيني المعروف بالهادي، توفّي بسامراء وله أربعون سنة، وكان فقيهاً إماماً متعبداً (٨).

وقال ابن خلكان في وفيات الأعيان:

... وهو أحد الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، كان قد سعى به إلى المتوكل، وقيل: إن في منزله سلاحاً وكتباً وغيرها من شيعته، وأوهموه أنه يطلب الأمر لنفسه، فوجه إليه بعدة من الأتراك ليلاً، فهجموا عليه في منزله على غفلة، فوجدوه وحده في بيت مغلق، وعليه

- ١- مطالب السؤل في مناقب الرسول، ج ٢، ص ١٤٠.
- ٢- تذكرة الخواص، ص ٣٢١.
- ٣- منهاج السنة، ج ٤، ص ٦٨.
- ٤- تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات سنة ٢١١-٢٢٠هـ، ص ٣٨٥.
- ٥- سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص ١٢١.
- ٦- الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة، ص ٢٥٣.
- ٧- جامع كرامات الأولياء، ج ١، صص ١٦٨ و ١٦٩.
- ٨- العبر في أخبار من غبر، ج ١، ص ٢٢٨؛ وكذا مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج ٢، ص ١١٩.

ص ٢٠٠

مدرعة من شعر... يترنم آيات من القرآن في الوعد والوعيد، ليس بينه وبين الأرض بساط إلا الرمل والحصى، فأخذ على الصورة التي وجد عليها، وحمل إلى المتوكل في جوف الليل، فمُثل بين يديه والمتوكل يستعمل الشراب وفي يده كأس، فلما رآه أعظمه وأجلسه إلى جنبه، ولم يكن في منزله شيء مما قيل عنه... فناوله المتوكل الكأس الذي كان بيده، فقال: ما خامر لحمي ودمي قط، فاعفني منه، فأعفاه، وقال: أنشدني شعراً أستحسنه، فقال: إنني لقليل الرواية للشعر، قال: لا بد أن تنشديني، فأنشده:

باتوا على قلل الأجيال تحرسهم
غلب الرجال فما أغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عزّ من معاقلهم
فأودعوا حفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا
أين الأسرة والتيجان والحلل؟
أين الوجوه التي كانت منعمةً
من دونها تضرب الأستار والكلل؟

وبنفس هذا المضمون قال به أبو صلاح الصفدي(١).

وقال ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب: «... أبو الحسن... المعروف بالهادي، كان فقيهاً إماماً متعديداً»(٢)، وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء: «وكذا ولده الملقب بالهادي، شريف جليل»(٣).

وأما الإمام حسن العسكري ٧، فقال في حقه محمد بن طلحة الشافعي:

اعلم أن المنقبة العليا والمزية الكبرى التي خصّه الله عزّوجل بها، وقلده فريدها، ومنحه تقليدها، وجعلها صفة دائمة لا يبلى الدهر جديدها، ولا تنسى الألسن تلاوتها وترديدها، أن المهدي محمّد من نسله المخلوق منه، وولده المنتسب إليه، وبضعته المنفصلة عنه(٤).

وقال ابن الصباغ المالكي:

مناقب سيدنا أبي محمد العسكري دالّة على أنه السري ابن السري فلا يشك في إمامته أحد

١- الوافي بالوفيات، ج ٢٢، صص ٧٢ و ٧٣.

٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ٢، ص ٢٧٢.

٣- سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص ١٢١.

٤- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، ج ٢، ص ١٤٨.

ص ٢٠١

ولا- يمتري... واحد زمانه من غير مدافع، ويسبح وحده من غير منازع، وسيد أهل عصره، وإمام أهل دهره، أقواله سديدة، وأفعاله حميدة... كاشف الحقائق بنظره الصائب، مظهر الدقائق بفكره الثاقب، المحدث في سرّه بالأمر الخفيات، الكريم الأصل والنفس والذات، تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنانه بمحمد أمين(١).

وقال العباس بن نور الدين المكي (ت ١١٨٠هـ):

أبو محمّد الإمام الحسن العسكري: نسبه أشهر من القمر ليلة أربعة عشر، يعرف هو وأبوه بالعسكري، وأما فضائله فلا- يحصرها السن(٢).

وقال الذهبي:

إن بنى هاشم أفضل القریش، وقریشاً أفضل العرب، والعرب أفضل بنى آدم، كما صحّ عن النبي قوله في الحديث الصحيح: إن الله اصطفى بنى إسماعيل، واصطفى كنانة من بنى إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى بنى هاشم من قريش(٣).

وقال الذهبي في الإمام المهدي المنتظر]:

ومحمد هذا هو الذي يزعمون أنه الخلف الحجّة، وأنه صاحب الزمان، وأنه حي لا يموت، حتّى يخرج، فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً... (٤).

عوداً على بدء

بعد هذه المقدّمة التمهيديّة، نعود إلى ما ذكره الوهابي عبدالرحمن محمّد سعيد دمشقيّ بخصوص ما اتّهم به الشيعة الإمامية من الحكم بتكفير سائر المسلمين بجميع طوائفهم ومذاهبهم، بل قال أنّ الإمامية لم يسلم من ذلك من تكفيرهم حتى جماعتهم من الاثنى عشرية ممن خالفهم في الرأي في الفقه أو في الأصول، أو في بعض المعتقدات، أو في أصل من

١- الفصول المهمة، ص ٢٧٩؛ وكذا قال بمضمونه نورالدين السمهودي في كتابه الإتحاف بحب الأشراف.

٢- حياة الإمام العسكري، القرشي، ص ٦٩.

٣- رأس الحسين، ابن تيمية، صص ٢٠٠ و ٢٠١.

٤- سير أعلام النبلاء، ج ١٣، صص ١٢٠ و ١٢١.

ص ٢٠٢

الأصول، أو فى تحليل وفهم وبيان بعض الاعتقادات، كاختلاف الأصولية مع الشيخية، أو مع الإخبارية من جماعة الإمامية الاثنى عشرية، حيث نقل الدمشقية الحكم بكفرهم لمجرد اختلافهم معهم فى رأى، وهذا ما سنقوم بالجواب عنه فى ضمن أربعة بحوث، وهى بحسب الترتيب الآتى:

البحث الأول: بطلان دعوى تكفير الإمامية للفرق الشيعية من غير الإمامية.

البحث الثانى: بطلان دعوى تكفير الإمامية للشيخية والإخبارية.

البحث الثالث: بطلان دعوى تكفير الإمامية لأهل السنة جميعاً.

البحث الرابع: الإمامية تحكم بكفر محاربي الإمام على.

البحث الأول بطلان دعوى تكفير الإمامية للفرق الشيعية من غير الإمامية

إنّ مسألة الاختلاف في الرأي والتنازع فيه أمر طبيعي في المجتمع البشري، بالإضافة إلى أنّه لا يدعو إلى وجوب القتل والمقاتلة، بل هناك نزاع وخلاف يعبر عنه في المصطلح المعاصر بالحرب بالباردة، الذي يقصد به خصوص النزاع اللفظي والحرب الكلامي ما لم يصل إلى رفع السلاح بوجه الطرف الآخر، ومثل هذا كثير في المجتمعات الإنسانية بوجه عام، وفي المجتمع الإسلامي بوجه خاص؛ إذ إنّ هناك نزاعات نجمت من اختلاف في مسألة فقهية، أو موضوع في علم الكلام، أو في علم التفسير، أو التاريخ، أو غيرها من العلوم، وليس بالضرورة أن تؤدّي مثل هذه الاختلافات إلى الحكم بوجوب قتل ومقاتلة الطرف الآخر لمجرد مخالفته له، فقد توجب هذه الاختلافات تكوين فرق أو أحزاب وتيارات معينة، أو مذهب من المذاهب المختلفة في الرؤى والسلوك عن الجماعة التي انشق عنها، كما هو الحال في تشعب الفرق الكلامية والمذاهب الإسلامية لإخواننا أهل السنّة، وكذلك هو الحال بالنسبة إلى الشيعة، فالانشعابات والانقسامات مستمرة، وإن كنا نأمل من الجميع أن يعودوا إلى نقطة المركز ووحدة الصف، أعني: الاتّفاق والتوافق على الأصول المشتركة، وترك التنازع حول خصوصيات كلّ مذهب وفرقة منها، وأن لا ينتهي هذا الخلاف إلى الحكم بإصدار

الفتوى بتكفير أحدهما للآخر، والحكم بوجود قتله ومقاتلته، كما يريد عدوّهم من إثارة هذه النعرات بتأجيجه لهذه الخلافات والاختلافات.

فالشيعه كانت فرقه واحده، وهو أمر معروف لدى جميع من قرأ التاريخ؛ إذ لم يكن منازع في بداية الأمر للإمام علي، فعاشوا جنباً إلى جنب الإمام علي، يأترون بأمره، يأخذون عنه أمر دينهم وديناهم، مظهرين له الحب والولاء بأروع صورته، ثم جاء بعده دور الإمام الحسن، وعندها دب الفساد بين صفوفهم، وذلك عندما استطاع العدو أن يتغلغل بين صفوفهم، وتمكّن من شراء ذمم ضعيفي الإيمان بأمواله، وكاد لهم كيداً، حتّى انتهى إلى تحقيق مآربه في زرع الفتن والفرقه بين أنصار الإمام الحسن، فبدأت جماعة تخذله بمناصرتها لعدوّه عليه، وعندها ظهر قرن الشيطان والنفاق من جديد، كما كان في زمن النبي من قبل المنافقين، فلمّا علم الإمام الحسن منهم ذلك، لجأ إلى عقد معاهدة الصلح مجبراً عليها، مقيداً لها بقيود وشروط كان على المتعاقدين الالتزام بها، غير أنّ الطرف الآخر لم يلتزم بواحدة منها بعد ذلك، وقد كشف عن سوء نيته وخبث سريره، وذلك حينما خاطب أهل العراق بقوله:

إني والله ما أقاتلكم لتصلّوا ولا- تصوموا ولا- تحجّوا ولا- تزكّوا، إنّكم لتفعلون ذلك، ولكنّي قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون، وإنّي منيت الحسن، وأعطيته أشياء، وجميعها تحت قدمي، ولا أفي بشيء منها(١).

وقد قال المسيب بن نجيه الفزاري وسليمان بن سرد الخزاعي للإمام الحسن بن علي:

ما ينقضى تعجبنا منك بايعة معاوية ومعك أربعون ألف مقاتل من الكوفة سوى أهل البصرة والحجاز!

فقال الحسن: كان ذلك فما ترى الآن؟

فقال: والله أرى أن ترجع؛ لأنّه نقض العهد.

فقال: يا مسيب، إنّ الغدر لا خير فيه، ولو أردت لما فعلت.

فقال حجر بن عدى: «أما والله لوددت إنك مت في ذلك اليوم ومتنا معك ولم نر هذا اليوم، فإننا رجعنا راغمين بما كرهنا، ورجعوا مسرورين بما أحبوا».

فلما خلا به الحسن قال: «يا حجر، قد سمعت كلامك في مجلس معاوية، وليس كل إنسان يحب ما تحب ولا رأيه كراييك، وإنى لم أفعل ما فعلت إلا إبقاء عليكم، والله تعالى كل يوم هو في شأن»^(١).

وهكذا بدأت تدب الانشقاقات بين صفوف شيعة أهل البيت: فتكونت فرق وأحزاب وتيارات مختلفة في رؤاها وأفكارها ونظرياتها وطريقة تعاملها مع الأحداث، وهي مسألة طبيعية إلى يومنا هذا موجودة، حيث نسمع ونرى ونشاهد كيف تتكون هذه الكتل والأحزاب والكيانات السياسية والدينية، فهناك حركات إسلامية تختلف عن بقية الحركات الإسلامية الأخرى في رؤيتها وطريقة عملها، بل حتى على مستوى الأهداف والطموحات التي تريد تحقيقها من وراء ذلك، على أن ذلك لا يقتصر على المسلمين فحسب، بل ما من مجتمع من المجتمعات الإنسانية إلا وهذه الظاهرة من أبرز مظاهره الموجودة.

فالشيعه انقسمت وأهل السنة انقسموا إلى مدارس فكرية وفرق دينية، ومذاهب فقهية^(٢)، والأمر غير متوقف عند حد معين، ولكن كما ذكرنا قبل القليل أن المهم هو تفويت الفرصة على العدو الذي يترصد للوقية بالإسلام والمسلمين، وعندها ينقض على الإسلام والمسلمين، ولا يتم ذلك إلا من خلال محاربة ظاهرة التكفير، والوقوف بوجه المنافقين الذين يحاولون عبر مختلف وسائل الإعلام والتبليغ تأجيج الفتنة والنزاعات الطائفية والعرقية والمذهبية ونحوها، وذلك من خلال تحذير الناس بوجه عام، والمسلمين بوجه خاص، ومن خلال بيان أهداف هؤلاء المنافقين المندسين بينهم، والوقوف بوجههم، والدعوة إلى التآلف

١- سير أعلام النبلاء، ج ١٣، صص ١٢٠ و ١٢١.

٢- فمن راجع التاريخ الإسلامى وكتب الملل والفرق، سيقف على حقيقة هذا الأمر، وسيعلم بأن مذاهب أخواننا السنة لم تكن مقتصرة على أربعة مذاهب، بل يناهز عددها عشرة مذاهب فقهية، أما بالنسبة للفرق الكلامية والمدارس الفكرية، فكانت هي الأخرى كثيرة جداً.

والوحدة من خلال عقد المؤتمرات الداعية إلى توحيد الصف والكلمة، وإحياء ثقافة الإخوة والمحبة والتسامح بدل ثقافة التكفير والتقتيل والتباغض والتباعد والتقاطع والتفجير والتفخيخ ونحو ذلك.

ونحن إذ نتكلم عن بيان موقف الإمامية - الذي حاول الدمشقية أن يجعل منها عدوة للإنسانية، وبزعمه محاربتها لجميع الفرق الإسلامية بوجه عام والشيعية بوجه خاص - لم نجد من علماء الشيعة الإمامية وإن اختلفوا مع سائر الفرق الشيعية - أنهم أصدروا فتوى بوجوب قتل الزيدى أو الإسماعيلي أو الجارودي أو غيرهم من الفرق الشيعية.

نعم هناك ردود وإيرادات كتبت حول بعض هذه الفرق المخالفة لها في الرؤية والعمل. وأما لماذا يدافع الإمامي عن عقيدته بشتى الأدلة والبراهين مع دعوته للاعتقاد بها لا غير؟ فذلك هو مقتضى صحة الاعتقاد الذي ثبت له بالأدلة والبراهين القطعية التي تستوجب على صاحبها بعد التحقيق من صحة مذهبه وعقيدته، أن يلتزم بها دون غيرها، كما تستوجب عليه الدفاع عنها والدعوة إليها.

ولكن هذا لا - يعني بالنسبة لمن لا يعتقد بفكره أن يكون كافراً بالإسلام كفر جحود وكفر ربوبيه، أو أنه بذلك يعدّ مكذباً للنبي ورسالته. نعم، هو كافر بعقيدته ومذهبه الداعي له، فالزيدى فى نظر الإمامى مسلم، ولكن ليس يمامى، بمعنى أنه كافر بالمذهب الإمامى دون الإسلام، وهكذا بقية المذاهب الأخرى من الشيعة والسنة، فهى مسلمة بحسب عقيدته وفكره وحكمه، ولكنها غير مؤمنة وكافرة بالمذهب الإمامى الاثنى عشرى على وجه الخصوص، وهذا الكفر غير الكفر المخرج عن الدين، الذى يقصد به الارتداد عن الإسلام والخروج عن ملته، فتأمل جيداً!!

وسياتى بيان أنواع الكفر وكيف أنّ بعض الأقسام من الكفر لا تعنى الارتداد عن الإسلام والخروج عنه.

علاوة على ما تقدّم تجد أنّ الشيعة الإمامية تمجد أئمة الزيدية وقادتهم المجاهدين الذين سقطوا شهداء من أجل الدفاع عن الإسلام الحقّ وردع الظالمين، ومما يكشف عن ذلك

ص ٢٠٧

تعاهدهم بزيارة قبور هؤلاء الشهداء والقادة المجاهدين والدعاء لهم بالرحمة والمغفرة، ونحوها، وإذا ذكروا واحداً منهم ترصّوا عليه، وهذا مما يبطل فريه الدمشقية في أنّ الإمامية تكفر الزيدية، وسائر الفرق الشيعية غير الإمامية.

حتى أنّ كتب الإمامية تتناقل ما آل إليه الأئمة الزيدية من الشهادة، وترحم الأئمة الأطهار: عليهم، من قبيل هذه الرواية التي جاء فيها ترحم الإمام الصادق على

يحيى بن زيد بن علي::

إنّ المتوكل بن هارون قال: لقيت يحيى بن زيد بن علي وهو متوجه إلى خراسان بعد قتل أبيه، فقال لي: من أين أقبلت؟ قلت: من الحج، فسألني عن أهله وبني عمه، وأحفي السؤال عن جعفر بن محمد وقال: هل سمعته يذكر شيئاً من أمري؟ فقلت: سمعته يقول: إنك تقتل وتصلب كما قتل أبوك وصلب... فقلت: اني رأيت الناس إلى ابن عمك جعفر أميل منهم إليك وإلى أبيك، فقال: إن عمي وابنه جعفرًا دعوا الناس إلى الحياة ونحن دعوناهم إلى الموت، فقلت: يا بن رسول الله، أهم أعلم أم أنتم؟ قال: كلنا له علم غير أنّهم يعلمون كلّ ما نعلم ولا- نعلم كلّ ما يعلمون... قال المتوكل: فقبضت الصحيفة، فلما قتل يحيى صرت إلى المدينة، فلقيت أبا عبدالله فحدثته الحديث عن يحيى فبكي... قال لي أبو عبدالله: يا متوكل، كيف قال لك يحيى: إنّ عمي محمد بن علي وابنه جعفرًا دعوا الناس إلى الحياة ودعوناهم إلى الموت؟ قلت: نعم قد قال لي ذلك، فقال: يرحم الله يحيى (١).

البحث الثاني بطلان دعوى تكفير الإمامية للشيخية والإخبارية

١- مدينة المعاجز، البحراني، ج ٦، ص ١٣٦.

وبطلان هذا الأمر من أوضح الواضحات، فالإمامي وإن انحرف أو قال بما يخالف مشهور الشيعة الإمامية في المسائل الاعتقادية، لا يحكمون عليه بالكفر كما حاول الدمشقية أن يصوّر الأمر للقارئ من أن بعض فقهاء الإمامية وكبار علمائها يحكمون على بعض من يخالفهم في الرأي والعقيدة والفكر في بعض المسائل بالكفر والخروج عن الدين، وقد مرّ علينا قبل قليل كيف أنّهم لا يقولون بكفر من لا يعتقد بإمامة الإمام علي ٧ التي هي من أصول المذهب عندهم، ومن ضرورياته، وإنما يحكمون عليه بعدم الإيمان بمذهب الإمامية، وهي صفة يرونها تصدق على المؤمن دون المسلم، حيث يطلقون كلمة مؤمن على من يعتقد بإمامة الأئمة من آل النبي الذي نص النبي الأكرم محمد ٩ في أكثر من موضع على إمامتهم، وأخذ البيعة من أمته لأؤلّهم وهو الإمام علي ٧ يوم غدير خم في حجة الوداع، ولسنا بصدد الخوض في هذا البحث وأدلته وذكر الأقوال والروايات الواردة فيه؛ لأنّ مثل هذا مبحث في كتب الإمامية بشكل مفصل، فليراجع.

وعلى أيّة حال فعلماء الإمامية في الوقت الذي لا يبرون كفر ونجاسة وخروج من لا يؤمن بإمامة أحد الأئمة الأطهار (الاثنى عشر خليفة)، من الدين والملة، فكيف يحكمون على مجرد مخالفة أحد أبناء طائفتهم في مسألة ما، سواء كان من الإمامية الأصولية أو الإمامية

الإخباریة، أو من الأصولیة الشیخیة أو غیر الشیخیة، بالكفر والخروج عن الدین والملة؟

أین وجد هذا الدمشقیة؟ وهذه هی كتب الشیعة خالیة من هذه الافتراءات التي نقلناها عن بعض الکتاب المعاصرین، الذی حاول تبیین الخلاف الذی حصل بین أتباع الجماعة الإخباریة من الإمامیة مع أتباع الجماعة الأصولیة، إلی حدّ قال عنه: إن بعض الأصولیة حکموا ببطلان الصلاة خلف بعض الإخباریة، محاولاً بهذا الأسلوب تبیین حد الخلاف والنزاع الذی حصل بین الطرفين، ولكن لم نسمع أو نجد فتوی من علماء الأصولیة أو الإخباریة یتیح دم الآخر، كما یفتون علی من یرتدّ عن الدین ویخرج منه، ثمّ إن ما حصل فی تلك المحنة هو تطرّف المعروف بزعم الإخباریة محمّد النیشابوری فی الكاظمیة، حتّى أدّى به تطرّفه بأن یقوم بسبّ وشتّم علماء الإمامیة، إلی الحدّ الذی جعل الناس تنتصر لحوزتهم وعلمائهم فتقوم بقتله وجرّ جثته فی شوارع بغداد فی الكاظمیة، وعندها هدأ الأمر، هذا من جانب.

ومن جانب آخر أنّ ما حصل من الاختلاف بین علماء الإمامیة الأصولیة غیر الشیخیة مع علماء الإمامیة الأصولیة من الشیخیة، أوجب أن یكون لكلّ واحد من الجماعتین منهجه الخاص فی الفقه والأصول وغيرها من المعارف الدینیة، ولكن لم نسمع أو نقرأ إصدار الفتاوی من قبل علماء الطرفين بتکفیر الطرف الآخر، بالشکل الذی یوجب سفک الدم المحرم، نعم هی خلافات فکریة وکلامیة ولكنها لم تصل إلی حدّ القتال بین الطرفين، بحيث ترهق الأرواح وتنتهک الأعراس وتُسلب الأموال وغيرها، كما یحصل بین الطرفين المتحاربین.

وهذا أمر طبعی لا یخلو منه زمان من الأزمنة ولا مکان ما، فهذه هی طبیعة المعرفة وتکاملها عند الإنسان، ومن الطبعی أن یكون هناك موافق ومخالف، ولكن لیس بالضرورة أن یكون کلّ خلاف منتج للقتال والمقاتلة ووجوب تکفیر الطرف الآخر؛ لمجرد مخالفة آرائه للطرف الآخر، كما فعلت الوهابیة بتکفیر السواد الأعظم من أبناء الأمیة الإسلامیة - كما مرّ علینا نقل بعض فتاواهم فی ذلك - أو ما تقوم به الیوم من قتل الأطفال

ص ٢١١

والنساء والشيوخ الأبرياء وغيرهم؛ لمجرد مخالفتهم في الرأي والعقيدة، فهل سأل الدمشقية نفسه، بأيّ دليل يقوم بإصدار الفتاوى بقتل الشيعة وغيرهم من الطوائف والأديان والملل الأخرى؟ هل القرآن أمرهم بذلك؟ أم نبي الرحمة محمد؟ والحاصل أنّ الخلاف بين علماء الدين أمر طبيعي، ولكن هذا لا يعنى بالضرورة أن يكون كلّ من ردّ على مخالفه أن قال بتكفيره، وأخرجه عن الدين والإسلام، بل هي مجرد اختلافات في وجهات النظر، ما لم تصل إلى حدّ إنكار الأصول الدين الإسلامي الثلاثة المتفق عليها في جميع الأديان والمذاهب والفرق، وأمّا سائر الأصول الخاصّة بكلّ مذهب أو فرق دينيّة فذلك لا يوجب الحكم بكفره وإصدار الفتوى بوجوب قتله، وانتهاك حرمة وأمواله، كما نشاهده ونسمعه اليوم من فتاوى كبار الوهابية، وأمرائها، وما تؤدّي إليه هذه الفتاوى من جرائم بحقّ الإنسانية !!

البحث الثالث بطلان دعوى تكفير الإمامية لأهل السنة جميعاً

توطئة

إشارة

البحث الثالث بطلان دعوى تكفير الإمامية لأهل السنة جميعاً

توطئة

لا يخفى على اللبيب ما للمشترك اللفظي من أهمية ودور كبير في مختلف الأبحاث الدينية وغير الدينية، فقد يكون للفظ واحد معانٍ متعددة بتعدد استعمالاته الاصطلاحية للعلوم المختلفة، أو في العلم الواحد، فمن قبيل المشتركات اللفظية في العلم الواحد لفظ الإجماع؛ إذ له معانٍ اصطلاحية كثيرة عند فقهاء المذاهب الأربعة، تختلف عن معناه عند الإمامية، ثم إن كل واحد من هذه المذاهب قد يستعمل لفظ الإجماع عند طبقة معينة من الفقهاء، يختلف عن معناه عند طبقة أخرى منهم في المذهب الواحد، فضلاً عن اختلاف المذاهب، وهذا أمر طبيعي لا إشكال فيه، بشرط أن يتبّه عليه من قبل المستعمل له في مقدّمه بحثه، وإلا فالإيهام باقٍ على حاله، وقد يوقع القارئ في إشكالات وصعوبات يصعب عليه فهمها، وقد استغلّ البعض هذه الصفة للألفاظ كأسلوب من أساليب المغالطة في الوصول إلى هدفه المطلوب، ولفظ الكفر هو واحد من هذه الألفاظ المشتركة في المعنى، فتجد له معانٍ مختلفة في الاصطلاح القرآني، وله معانٍ مختلفة في اصطلاح علم الكلام والعقيدة، فضلاً عن اختلافه في الاستعمالات اللغوية، بعد أن وضع لمعنى خاص به، وهو الستر والحجب، ولكن ذلك لا يعني أنه بقي على حاله بعد ذلك في الاستعمالات اللغوية كما يبينها لنا مثلاً ابن منظور في كتابه (لسان العرب).

وأنة لمن المؤسف جداً أن يقوم أحد ممن يصف نفسه من أهل العلم، بإيهام الناس باستعمال هذا اللون من الطرق والأساليب في المغالطة بهدف الوصول إلى ما ينشده، مع سابق علمه بأنه طريق غير علمي وغير صحيح في الأبحاث التحقيقية، وأنه سرعان ما يقوم الخصم بكشف تلاعبه وزيف ادّعائه، وعندها يسقط بحثه واستدلّاله ودعواه عن الاعتبار والقيمة، وتصبح عند القارئ مجرد افتراءات وتخزّصات لا تستحق أن يصرف لها الوقت لمطالعتها، فضلاً عن صحّة الاعتقاد بها، فلا البحث له قيمة علمية، ولا الباحث الذي جاء به يعتمد عليه بعد ذلك.

ومادام البحث متعلّقاً بموضوع الكفر الذي اتّهم به الدمشقية الإمامية، حيث اعتبر ذلك سمة من سماتها، وخصوصية من خصوصياتها، حيث يراها بحسب زعمه قد تمادت بذلك، حتّى شملت بتكفيرها جميع الفرق والمذاهب الإسلامية، ولم يسلم منها حتّى سائر فرق الشيعة غير الإمامية، بل سائر من خالفها من الإمامية، كالشيخية والإخبارية. ولذا ارتأينا أن نذكر لك عزيزي القارئ وجوه المغالطة التي ارتكبت بحق هذه الفرقة المحقّقة، والمدرسة الوحيدة على وجه الأرض، التي تمثّل مدرسة أهل البيت، والتي باتت طوال تاريخها محاربة باسم الدين والمتدينين المندسّين في الدين.

أولاً: إن الكفر على أقسام وأنواع جاء ذكرها في القرآن الكريم

إشاره

لقد ذكر القرآن الكريم أقساماً وأنواعاً للكفر تختلف باختلاف دواعيها، على أن لكل قسم ونوع منها حكماً خاصاً به، ولا- تعنى جميعها الارتداد عن الدين والخروج عن الدين والملة، كما حاول صاحب هذا الكتاب الموسوم (ظاهرة التكفير عند الإمامية)، بحمل كلّ لفظ من ألفاظ الكفر الوارد ذكرها في كتب الإمامية على الكفر بمعنى الارتداد والخروج عن الدين، والحال ليس كما يظن أو يتوهم، وإنّما للكفر أقسام وأنواع كما جاء ذكرها في القرآن الكريم، والذي هو أحد المصادر الأصلية عند المسلمين، بل هو المعيار والضابط في معرفة الحديث المكذوب عن غيره، كما جاء ذلك في حديث العرض على الكتاب المروى عن أئمة

أهل البيت: «إِنَّ عَلَى كُلِّ حَقِّ حَقِيقَةً، وَعَلَى كُلِّ صَوَابٍ نَوْرًا، فَمَا وَافَقَ كِتَابَ اللَّهِ فَخَذُوهُ وَمَا خَالَفَ كِتَابَ اللَّهِ فَدَعُوهُ» (١)، بالإضافة إلى أن الإمامية أفضل من تمسك بالكتاب والعترة الطاهرة التي أوصى بهما النبي في حديث الثقلين المتواتر لفظاً ومعناً عند الطرفين، ولا ينكره إلا مكابر أو جاحد للحق الذي لا ريب فيه، وهذه الأقسام هي:

١- كفر الجحود بالربوبية والحق

قال تعالى: (قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لَيَخْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) [الأنعام: ٣٣]، وقال تعالى: (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) [النمل: ١٤].

قال الإمام الصادق:

الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه، فمنها: كفر الجحود، والجحود على وجهين، والكفر بترك ما أمر الله، وكفر البراءة، وكفر النعم. فأما كفر الجحود فهو الجحود بالربوبية، وهو قول من يقول: لا رب ولا جنه ولا نار، وهو قول صنفيين من الزنادقة يقال لهم: الدهرية، وهم الذين يقولون: (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) [الجاثية: ٢٣] وهو دين وضعوه لأنفسهم بالاستحسان على غير تثبت منهم ولا تحقيق لشيء مما يقولون، قال الله عز وجل: (إِنَّهُمْ إِلَّا يَتُوبُونَ) [الجاثية: ٢٤] أن ذلك كما يقولون، وقال: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) [البقرة: ٦] يعني بتوحيد الله تعالى، فهذا أحد وجوه الكفر.

وأما الوجه الآخر من الجحود على معرفة، وهو أن يجحد الجاحد وهو يعلم أنه حق، قد استقر عنده، وقد قال الله عز وجل: (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا) [النمل: ١١٤] وقال الله عز وجل: (وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ) [البقرة: ٨٩] (٢).

١- الكافي، ج ١، ص ٦٩؛ الأمالي، الصدوق، ص ٤٤٩.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٣٩٠.

ص ٢١٦

وإذا رجعنا إلى مفسرى القرآن الكريم نجدهم يقولون: هؤلاء إنما جحدوا استعلاءً وعناداً، فكانوا يفعلهم هذا معاندين للحق الذى لا شوب فيه، كما جاء فى خطاب نبي الله موسى ٧ لفرعون، قال تعالى فى حكايته له: (لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا) [الإسراء: ١٠٢]، فى هذه المناظرة وما آلت إليه فى نهايتها من اللطائف والمعارف الدينية الكثير، لمن تلا آياتها وتدبر فيها.

٢- كفر النعمة

قال تعالى فى حكايته عن نبيه سليمان: (قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) [النمل: ٤٠] وقال تعالى فى موضع آخر: (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) [إبراهيم: ٧] وقال عز وجل: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ) [البقرة: ١٥٢].

٣- الكفر بترك ما أمروا به

قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ* ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى فَفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ... [البقرة: ٨٤-٨٥].

وهذا هو الوجه الرابع من الكفر الذى جاء فى الكتاب العزيز، وقمنا بنقل روايته فيه عن الإمام الصادق ٧ فى بدايته ذكر أقسام الكفر، وإليك ما ذكره فى ذيل هذه الآية المباركة، حيث قال:

فكفرهم بترك ما أمر الله عز وجل به ونسبهم إلى الإيمان، ولم يقبله منهم، ولم ينفعهم عنده فقال: (فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) [البقرة: ٨٥].

٤- كفر البراءة

ص ٢١٧

قال تعالى في حكاية قول نبيه إبراهيم ٧: (كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَخَدَّهٗ) [الممتحنة: ٤] قال الإمام الصادق ٧: «يعنى: تبرأنا منكم، وقال يذكر إبليس وتبرئته من أوليائه من الإنس يوم القيامة: (إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا) [العنكبوت: ٢٥] يعنى: يتبرأ بعضكم من بعض» (١).

٥- كفر التكذيب بالحق

قال تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ) [الروم: ٦٨]، وهذا اللون من الكفر متأصل ومتجذر في المجتمع البشرى، فما من دعوة حق إلا وتجد إلى جانبها تكديبا بهذا الحق؛ ولذا كان من أبرز الأساليب التي واجهت بها الشعوب والأمم أنبياءها، دون أن يقتصر على أمه دون أخرى، فكما ابتلى الأنبياء بهذا اللون من المواجهه، قال تعالى في حكاية عن بعضهم: (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ) [الشعراء: ١٠٥]، وقال تعالى: (كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ) [الشعراء: ١٢٣]، وقال تبارك وتعالى: (كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ) [الشعراء: ١٤١]، وقال عز وجل: (كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ) [الشعراء: ١٦]، ابتلى النبي الأعظم ٩ به، كما ابتلى به الأئمة من آل بيته، واليوم تبتلى به مدرستهم التي تنتهج نهج الحق في تبين الحق والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، فكفر التكذيب بالحق مازال جاريا كما كان في الغابرين.

٦- كفر الشك والظن

قال تعالى في حكاية عن رجلين: (وَاصْرَبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا كَلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا

ص ٢١٨

وَكَانَ لَهُ تَمَرٌ فَقَالَ لِصِيحَابِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا وَدَخَلَ جَنَّتَهُ [الكهف: ٣٢-٣٥] يعنى: بستانه الذى فيه الأشجار والأنهار فأعجب به: (وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً) [الكهف: ٣٦] شك فى اليوم الآخر، وشك فى البعث: (وَلَيْتُنَّ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا) [الكهف: ٣٦] يقول: إن بعثت - يعنى: هذا احتمال عنده - فأجد فى الآخرة أحسن من هذه؛ لأن الله تعالى ما أعطانى هذه الجنة فى الدنيا إلا لكرامتى عليه، ومنزلتى عنده، فإذا بعثت - على فرض وجود بعث بعد الموت - سأجد خير منقلب عند الله، وهذا منه شك - والعياذ بالله - فى البعث، وهذا كفر كما قال تعالى: (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا) [الكهف: ٣٧]، قال له: (أَكْفَرْتَ)؛ أى: من شك أو ظن وبنى عقيدته على الظن والشك فهو كافر؛ لأن الإيمان باليوم الآخر وغيره من أركان الإيمان لا بد فيه من اليقين، وإلا يكون الإنسان كافرًا.

٧- كفر الإعراض

قال تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُتْدِرُوا مُعْرِضُونَ) [الأحقاف: ٣]، وقوله تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا) وصف لهم بالكفر لمجرد إعراضهم عما دعوا إليه من الحق، فهؤلاء بإعراضهم عن الدين لا يريدون أن يعلموه ولا يعملوا به، فهناك من لا يسعه التعلم، ولكن عندما يدعى إلى الحق يقبل به، ويعمل بأحكامه، وهذا ما عليه أغلب الناس، إلا أن هناك جماعة من الناس لا تقبل بالتعلم ولا العمل، فهؤلاء هم المعرضون، فاستحقوا بذلك أن يصفهم المولى تبارك وتعالى بهذا اللون من الكفر.

٨ - كفر النفاق

قال تعالى: (إِذَا حِجَابُكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا) [المنافقون: ١-٢]، المنافق هو من أظهر الإيمان بلسانه، وأبطن الكفر فى قلبه، وهو ألد الخصام للدين وأهله، وقد اعتبر المولى تبارك وتعالى أن هذا المرض النفسى

ص ٢١٩

يؤدى بالتالى إلى الطبع والختم على القلوب، وعندها يصبح هذا الإنسان لا يفقه شيئاً، قال تعالى: (فَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ) [المنافقون: ٣]، وأن لهذا اللون من الأمراض النفسية أهدافاً متعددة تختلف باختلاف نفسيات المنافقين وإرادتها فى طلب الأمور الدنيوية والنفسية، ومن أراد أن يتعرّف عليها فليتبو آيات الله المباركة النازلة حول المنافقين.

كما أنه يمكن تقسيم الكفر إلى قسمين آخرين، هما:

الأول: الكفر الظاهر.

الثانى: الكفر الباطن.

والأول يصح إطلاق المرتد والخروج عن الملة والدين عليه، بسبب عدم إيمانه بالله تعالى ونبوة النبي الداعى له بالحق، وما يلزمه ذلك من الإيمان بأصول الدين وضرورياته، حيث عد المنكر لضرورة من ضروريات الدين الإسلامى منكراً لذلك الدين كافراً به. وأمّا القسم الثانى فهو وإن أطلق عليه عنوان الكافر، ولكنّه لا يحكم عليه بالخروج والارتداد كما يحكم على الأول، وأن كل ما نعتقد به هو أنه يستحق أن يعاقب عقاباً شديداً بما توعدّه الله تعالى بالعذاب والعقاب.

ثم إن تحقيق الوعيد فى حقه راجع إلى مقتضى إرادة الله تعالى وعدله الجزائى، فإن تكرم عليه وعفا عنه فذلك أمر راجع إليه سبحانه وتعالى، هذا على ما تعتقد به الإمامية؛ إذ إنها لا تقول بمقالة الوعيد كالمعتزلة، التى لا ترى فى حقه تحقق العفو أبداً، وإنما يكون لازماً على الله تعالى أن يدخله النار ويعذبه العذاب الأليم.

كما أن هذا التقسيم لا يختص القول به الإمامية فقط، بل هناك الكثير من أهل السنة من يرى هذه الحقيقة، وهى أن الكفر يقسم إلى الكفر الظاهر والكفر الباطن.

قال الشيخ علوى بن عبد القادر السقاف:

والخامس: يكفر بتركها وترك الزكاة إذا قاتل الإمام عليها دون ترك الصيام والحج. وهذه المسألة لها طرفان :

أحدهما: فى إثبات الكفر الظاهر.

الثاني: في إثبات الكفر الباطن. فأما الطرف الثاني؛ فهو مبنى على مسألة كون الإيمان قولاً وعملاً كما تقدم، ومن الممتنع أن يكون الرجل مؤمناً إيماناً ثابتاً في قلبه بأن الله فرض عليه الصلاة والزكاة والصيام والحج ويعيش دهره لا يسجد لله سجدة ولا يصوم من رمضان ولا يؤدي لله زكاة ولا يحج إلى بيته؛ فهذا ممتنع، ولا يصدر هذا إلا مع نفاق في القلب وزندقته ولا مع إيمان صحيح؛ ولهذا إنما يصف سبحانه بالامتناع من السجود الكفار؛ كقوله: (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَبِيعُونَ* خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذُلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ) [القلم: ٤٢-٤٣] (١).

ثانياً: أن الإمامية لم تعد المنكر للإمامة كافراً بالكفر الظاهر

لقد حاول الدمشقية قلب الحقائق وتصويرها بشكل معاكس على ما هي عليه؛ إذ كيف يسوغ الإمامي لنفسه بصحة الصلاة وجواز الزواج وأكل طعام (٢) من يحكم بكفره وارتداده وخروجه عن الدين الإسلامي، والحال أنهم يفتون بوجوب - كما هو متفق عليه - قتل المرتد الفطري عن الدين؟ ألم يسأل الدمشقية نفسه هذا السؤال، فيجب عليه قبل أن يطرح الإشكال؟! ألم يعلم بأن حبل الكذب قصير، وأن الأيام ستكشف كل محاولاته البائسة

١- المنتخب من كتب ابن تيمية، الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، ص ٤٧.

٢- قال الوحيد البهبهاني في حاشية مجمع الفائدة والبرهان، ص ٦٦١: «حكمهم بحل ذبيحة المخالف من حيث كونه مسلماً، لا من حيث اعتقاده عدم وجوب التسمية».

وجاء في جواب استفتاء للسيد الخامنثي أجوبة الاستفتاءات، ص ٧٨، برقم ٦١١، قول السائل: «محلّ عملي يقع في إحدى المناطق الكردية، وأكثرية أئمة الجمعة والجماعة هناك هم من أهل السنة، فما هو حكم الاقتداء بهم؟ ج: لا إشكال في المشاركة في الصلاة معهم في جمعتهم وجماعاتهم».

وقال السيد محمد رضا الكيايگاني في كتابه إرشاد السائل، ص ١٩٩، سؤال رقم: ٧٤٢ في معرض جواب عن سؤال وجه له، جاء فيه: من هو المخالف؟ هل هو من خالف معتقد الشيعة في الإمامة أو من خالف بعض الأئمة ووقف على بعضهم، فيدخل في ذلك الزيدية وغيرهم؟ وهل حكم المخالف حكم "الخارج والناصب والغالي" أم لا؟ قال: «بسمه تعالى: المخالف في لساننا يطلق على منكر خلافة أمير المؤمنين بلا فصل، وأما الواقف على بعض الأئمة: فهو وإن كان معدوداً من فرق الشيعة إلا أن أحكام الاثنى عشرية لا تجرى في حقّه، وليس كلّ مخالف بناصب، بل جلّهم غير ناصبين، فليس حكمهم حكم هؤلاء، والله العالم»، ونحوها كثير في كلمات فقهاء الإمامية.

وافتراءاته على الآخرين!؟

إن من يراجع كتب الشيعة يجد أن هذه المسألة مطروحة في مقامين، المقام الأول هو أن الإمامية عندما تأتي إلى بحث مسألة جواز الاجتهاد وعدمه في مسائل الدين الإسلامي، فإنها تقول بأن الإمامة من أصول الدين (١) في مقابل من يقول: إنها من فروع كالغزالي (٢)، أي: بمعنى أن الإمامة لا يجوز الاجتهاد والتقليد فيها، بل هي من المسائل التي يجب على كل فرد من أبناء الأمة الإسلامية أن يتحقق من صحة ثبوتها وإثباتها، ومن ثم الاعتقاد بها أو عدم الاعتقاد بها، بما تمليه الأدلة والبراهين العقلية والشرعية. وأخرى تبحث مسألة الإمامة من جهة كونها من أصول الدين التي يعد منكرها خارجاً عن الملة والدين الإسلامي، أم أنها من أصول المذهب الإمامي، فيعد منكرها منكراً لما عليه المذهب الإمامي، الذي لا يرجى له النجاة في الآخرة، بحسب ما يقتضيه الإيمان في نظر الإمامية، قال الهمداني:

ربما يشهد له النصوص المستفيضة إن لم تكن متواترة، الدالة على اشتراط قبول الأعمال بالولاية إن لم يوال الأئمة: فيكون أعماله بدلائلهم لم يكن له على الله شيء فيلزمه بطلان عمله، وإلا يلزم استحقاق الأجر عليه وهو خلاف صريح الاخبار فليتأمل (٣).

١- أنظر: الحلبي، منتهى المطلب، ج ١، ص ٥٢٢، حيث قال: «إن الإمامة من أركان الدين وأصوله، وقد علم ثبوتها من النبي ٩ ضرورة» وأنظر: مصباح الهداية في إثبات الولاية، على البهبهاني، ص ١٣٣، حيث أفصح عن هذا الأمر بقوله: «إن الإمامة من أصول الدين، والاعتراف بإمامة الإمام وولايته كالاتفاق بنبوّة النبي من الأصول لا من الفروع؛ ولذا قال: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»؛ وأنظر: بحار الأنوار، ج ٦٥، ص ٣٣٤، حيث قال: «لا ريب في أن الولاية والاعتقاد بإمامة الأئمة: والإذعان بها من جملة أصول الدين»، فهؤلاء الأعظم وإن ذكروها بلفظ أصل من أصول الدين، أي: يريدون بالأصل ما لا يجوز التقليد فيه، بمعنى أنها ليست من المسائل الفرعية والفقهية كما ذهب إليه بعض أهل السنة، والإمامة لا يجوز التقليد فيها.

٢- أنظر: الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي، ص ٢٣٤، حيث قال: «النظر في الإمامة أيضاً ليس من المهمات، وليس أيضاً من فن المعقولات، بل من الفقهيات، ثم إنها مثار للتعصبات، والمعرض عن الخوض فيها أسلم من الخائض، بل وإن أصاب، فكيف إذا أخطأ».

٣- مصباح الفقيه، آقا رضا الهمداني، ج ٣، ص ١٧.

وكما قرر القرآن الكريم الفرق بين الإسلام والإيمان بالمعنى الأخص في حكاية الأعراب، الذين جاءوا للنبي الأكرم وقالوا له: إنهم آمنوا بما نزل عليه، فكشف الله تعالى لبيته ما عليه هذه الجماعة من عدم الإيمان بذلك، كما في قوله تعالى: (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا)، كما أنّ النبي ٩ جعل الإمامة ركناً وميزاناً مهمّاً في قبول الأعمال، وعليه فإنّ الإمامية لا تعتقد بنجاء المخالف وإن لم تحكم بكفره الظاهر الموجب لارتداده عن الدين الإسلامي، وتتعامل مع غير الإمامي كما تعامل القرآن والنبي مع الأعراب بلحاظ تحقق إسلامهم دون إيمانهم، ولكن بما أنّها لا تعتقد بنجاء هؤلاء من العذاب وترى أنّ النجاء - كما جاء في حديث الفرقة الناجية - مقتصره على الاعتقاد بإمامة أئمة أهل البيت: الاثني عشر الوارد ذكرهم في حديث الاثني عشر، فلذلك تحكم بكفر من لا يعتقد بعقيدتها وبمذهبها، وهي تريد بهذا الكفر خصوص الكفر بمذهبها لا بدين الإسلام، شريطة أن لا يصل إلى حدّ النصب والعداء والبغض لأهل البيت، فلذلك حكمه الخاص به، كما أفصح عن ذلك بعض أعظم المذهب الإمامي، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

قال السيّد الإمام الخميني =:

إنّ الكفر يقابل الإسلام تقابيل العدم والملكة حسب ارتكاز المتشعبة، وأنّ ما أخذ في ماهية الإسلام ليس إلّا الشهادة بالوحدانية والرسالة والاعتقاد بالمعاد بلا إشكال في الأولين، وعلى احتمال اعتبار الأخير أيضاً ولو بنحو الإجمال، ولا يعتبر فيها سوى ذلك سواء فيه الاعتقاد بالولاية وغيرها، فالإمامة من أصول المذهب لا الدين (١).

وأما المرحوم الميرزا آية الله الشيخ جواد التبريزي، فقد فصل القول في ذلك، قال =:

وأما بالنسبة للاعتقادات التي تجب معرفتها على كلّ مكلف عينا، والاعتقاد بها اعتقاداً جزمياً، بعضها من أصول الدين، كالتوحيد والنبوة الخاصّة، والمعاد الجسماني، والقسم الآخر من الاعتقادات من أصول المذهب، كالاقتقاد بالإمامة للأئمة: بعد النبي ٩، والاعتقاد بالعدل، فإنّه يجب على كلّ مكلف الاعتقاد بها، إلّا أنّ عدم الاعتقاد والمعرفة

ص ٢٢٣

بالأول يخرج الشخص عن الإسلام، وفي الثاني لا يخرج عن الإسلام، وإنما يخرج عن المذهب، والاعتقاد بكلا القسمين كما ذكر العلماء ليس أمراً تقليدياً، بل يجب على كل مكلف تحصيل المعرفة والاعتقاد بهما، ولو بدليل إجمالي يقنع نفسه به، وكون هذه الأمور أصولياً لا يمنع البحث، وردّ الشبهات الواردة فيها عند طائفة من المتبحرين والمطلعين على الشبهات (١). وأضاف قائلاً بعد ذلك:

وبالجملة ضروريات المذهب - أي: مسألة الإمامة والعدل - ثابتة عند الشيعة بأدلة قاطعة وواضحة بنحو حرّم العلماء التقليد فيها، بل قالوا بوجوب تحصيل العلم والمعرفة على كل مكلف؛ لسهولة الوصول إلى معرفتها، كما أنّهم أوجبوا العلم بأصول الدين، ولم يجوزوا التقليد فيها؛ لأنّ طريق تحصيل العلم بها سهل يتيسر لكل مكلف. والمتحصّل أنّ الاعتقادات سواء أكانت من أصول الدين أو أصول المذهب، أمر قطعي ضروري عند المسلمين أو عند المؤمنين، وإنّما يكون اختلاف آراء المجتهدين في غير الضروريات والمسلمات من الدين أو المذهب، ويفحص في غيرهما من فروع الدين عن الدليل عليه، وبما أنّ العامي لا- يتمكّن من الفحص في مدارك الأحكام تكون وظيفته التقليد فيها، فالاجتهاد والتقليد إنّما يكونان في غير الضروريات والمسلمات، وأما الضروريات فالاستدلال فيها (لغرض الردّ على الفرق التي لا تؤمن ولا تعتقد بهذه الضروريات) لا يخرج ذلك عن كونه ضرورياً عند أهله، ومسألة الإمامة عند الشيعة داخله في ذلك كما بيّنا، والله العالم (٢).

وقال الشهيد الثاني: «إنّ التصديق بإمامة الاثني عشر إماماً أصل من أصول الإيمان عند الطائفة المحقّقة الإمامية، كما هو معلوم من مذهبهم ضرورة» (٣).

ثم قال الشهيد الثاني:

١- الصراط المستقيم، الميرزا جواد التبريزي، ج ٣، ص ٤١٦.

٢- المصدر السابق، ص ٤١٧.

٣- حقائق الإيمان، الشهيد الثاني، ص ١٤٩.

واعلم أنّ من مشاهير الأحاديث بين العامة والخاصة وقد أوردتها العامة في كتب أصولهم وفروعهم أنّ "من مات ولم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة جاهلية،" فنحن الحمد لله نعرف إمام زماننا في كلّ وقت، ولم يمت أحد من الإمامية ميتة جاهلية، بخلاف غيرنا من أهل الخلاف، فإنّهم لو سئلوا عن إمام زمانهم لسكتوا، ولم يجدوا إلى الجواب سبيلاً، وتشتت كلمتهم في ذلك. فقائل بأنّ إمامهم القرآن العزيز، وهؤلاء يحتجّ عليهم بأنّ القرآن العزيز قد نطق بأنّ الإمام والمطاع غيره، حيث قال الله تعالى: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ). على أنّه لو سلّم لهم ذلك للزمهم اجتماع إمامين في زمان واحد(١).

وجاء في معجم الاصطلاحات الذي أعده مركز المعجم الفقهي:

أمّا الإمامة والعدل فهما من أصول المذهب (الجعفرى)، فلو أنكر شخص التوحيد أو النبوة أو المعاد يخرج من الدين (الإسلام)، أى: لا يعدّ مسلماً بل كافراً، ولو أنكر الإمامة أو العدل يخرج من الإيمان (المذهب) أى: لا يعدّ مؤمناً، ويعدّ مسلماً، هذا إذا كان يعتقد بالثلاث الآخر(٢).

وقام الشيخ جواد مغنية بنقل رواية عن الإمام الصادق(ع) في مقام بيان الفرق بين المسلم والمؤمن، ومن ثمّ بيان كون الإمامة من أصول المذهب لا أصول الدين، حيث قال:=

قال الإمام الصادق: الإسلام هو الظاهر الذى عليه الناس، والإيمان هو معرفة هذا الأمر، وقال: بنى الإسلام على خمس: الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية. أى: بعد الإقرار بالشهادتين، حيث لا يقبل أى: عمل بدونه.

وبهذا يتبين أنّ الولاء - عند الإمامية - ركن من أركان الإيمان، لا من أركان الإسلام، فغير الموالى مسلم، ولكنّه غير شيعى، وبكلمة أنّ الولاء عندهم من أصول المذهب، لا من أصول الدين، وبهذه المناسبة نشير إلى أنّ الإمامية حين يقولون فى كتب الفقه: تعطى الزكاة للمؤمن، ويصلّى خلف المؤمن فإنّهم يريدون به خصوص الإمامى الاثنى عشرى، وقد

١- حقائق الإيمان، ص ١٥١.

٢- المصطلحات، إعداد مركز المعجم الفقهي، ص ٣٤٨.

ص ٢٢٥

أجازوا الوقف والوصية وإعطاء الصدقات غير الواجبة، أجازوا إعطاءها للمسلمين وغير المسلمين، الفقراء منهم والأغنياء على السواء(١).

وقال اللواساني:

ثم إن إطلاق أصول الدين على مجموع الأمور الخمسة المذكورة في هذا العلم إطلاق شائع عرفي، وإن كان العدل والإمامة منها من أصول المذهب، والنسبة بينهما عموم مطلق كما هو واضح(٢).

فهذه وغيرها من الأقوال في بيان كون الإمامة أصل من أصول المذهب في مقابل من يرجو النجاة من النار من دونها، وأنها أصل من أصول الدين في مقابل من يعتقد أنها من فروع الدين وفقهياته التي يجوز فيها التقليد لمن لم يبلغ رتبة الاجتهاد الفقهي.

ثالثاً: إنقسام أهل السنة إلى مستضعف وغير مستضعف

وهذا الرأي هو ما اختاره العلامة الطهراني في كتابه (معاد شناسي)(٣)، حيث جاء فيه أن التكليف الإلهية مشروطة بالعلم والقدرة، وعلى هذا الأساس فالأفراد ينقسمون بالنسبة إلى ذلك إلى فئتين:

الفئة الأولى: من ليس لهم القدرة على العمل بالتكليف، وهو ما يعبر عنه بالقاصرين دون المقصرين، فكل رجل أو امرأة لا يتمكن من إيجاد سبيل الخلاص لنفسه، ولا-الاهتداء إلى طريق النجاة، فإنه سيكون مصوناً عن المؤاخذه، وعن دخول النار، وسيشمله العفو الإلهي، كل ذلك بسبب عدم قدرتهم على العمل وفق النهج القويم الذي تؤمن به الإمامية، بحيث لو زال عنهم ستار الضلال والتضليل، وكشف لهم عن وجه الحقيقة لآمنوا بها والتحقوا بركب المهتدين بهدى محمد وآل محمد، ويشكل هؤلاء الغالبية من أهل السنة من الرجال والنساء والولدان، فهم

١- الشيعة في الميزان، محمد جواد مغنیه، ص ١١٨.

٢- نور الأفهام في علم الكلام، ج ١، ص ٥٤.

٣- راجع: معاد شناسي [معرفة المعاد]، الطهراني، ج ٣، صص ١٦١-١٦٥، نقلناه بتصرف واختصار.

السواد الأعظم من أهل السنة، والشيعه لا- تقول بكفر هؤلاء، بل ترجو لهم العفو والنجاه من العذاب الإلهي بسبب قصور مداركهم العقلية، ويعبر عنهم بالمستضعفين.

الفئة الثانية: من له القدرة على العمل بالتكليف، وهو على قسمين: الأول: من له القدرة على العمل بالتكليف إلبا أنهم ومع كثرة المطالعة والتتبع قد بقوا في أسر التقليد وتلقينات الأمهات والآباء والمعلمين والمجتمع، بحيث حجت بينهم وبين إدراك الحقائق، فهؤلاء لو صدق في شأنهم قوله تعالى: (إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا) [النساء: ٩٨] ولم يكونوا في نفس الوقت من المنكرين والمعاندين والمتطاولين، بحيث لو فهموا حقيقة النبوة والولاية لخضعوا وأطاعوا على الفور، فإن مثل هؤلاء يرجى لهم العفو الإلهي، وقد جاءت في بيان حالهم روايات معتبرة كثيرة عن أئمة أهل البيت: (١)، ويعبر عنهم لسان الروايات بالمستضعفين أيضاً (٢).

والثاني: وهم الذين عرفوا الحق ووجدوا به (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا...) [النمل: ١٤] فهم المعاندين المنكرين المكذبين لله ولرسوله، ومثل هؤلاء لا- يرجى لهم العفو الإلهي، وهؤلاء هم أعداء الله ورسوله ٩ وأعداء المؤمنين، يدخلون النار بغير حساب، وهم الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعا، ويقولون يوم القيامة: (وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ * انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) [الأنعام: ٢٣-٢٤] يحلفون بالله كما يحلفون لكم، ويحسبون أنهم على شيء إلبا أنهم هم الكاذبون، وأولئك هم الناصبون العدا لله ولرسوله ولأهل بيته:، وهؤلاء لا يقال لهم بأنهم مستضعفين في الأرض، بل هم طواغيت ومكابرون معاندون للحق وأهله، وسيدخلون نار جهنم بغيهم وبغضهم ونصبهم العدا لأولياء الله تعالى.

والحاصل من جميع ما تقدم: أن أهل السنة ليسوا على وتيرة واحدة، بل هم على فئتين: فئة مستضعفة، وهذه يرجى لها العفو الإلهي، والنجاه من العقاب يوم القيامة وإن عملت

١- معاني الأخبار، صص ٢٠٠ و ٢٠٢.

٢- أنظر: الكافي، ج ٢، ص ٤٠٦؛ معاني الأخبار، ص ٢٠٠.

بالتكاليف على غير منهج أهل البيت:.

وأخرى مستكبرة معاندة مناصبه للحق وأهله، وهذه لا يرجى لها العفو الإلهي، ولا النجاة من العقاب العذاب الأليم يوم القيامة.

رابعاً: الجهل بأهمية الإمامة ودورها في قيادة الأمة

إنّ ما قام به الدمشقيّ ينبئ عن جهل الرجل بأهمية الإمامة ودورها في قيادة الأمة الإسلامية؛ وذلك لأنّ تكامل الإنسان يكمن في سلامة فكره وسلوكه في الحياة الدنيوية بما يتلاءم وطبيعة الأهداف التي خلق من أجلها، وهذه السلامة لا تتأتى إلّا إذا استطاع أن يحدد مساره وصراطه المستقيم الذي لا اعوجاج فيه أبداً، ولكن بما أنّ الإنسان موجود فقير، كما صرّح بذلك المولى تبارك وتعالى في قوله: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) [فاطر: ١٥]، وبين أنّه لا- غنى في الوجود إلّا هو: (اللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ) [محمد: ٣٨]، فلو خلّى الإنسان ونفسه، فإنّه لا- يستطيع أن يحظى بما يوجب له ذلك الكمال المطلوب منه في حال غياب الرعاية الإلهية، والتي تمثّلت في زمن الرسالة بشخص النبي الأكرم محمد (وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [المؤمنون: ٧٣]. فالمحافظة على استمرار الاستقامة في السير على الصراط، يحتاج إلى من يقوم مقام النبي بعد رحيله وغيابه عن الأمة؛ لأنّ ذلك شكّل فراغاً كبيراً، مع حاجة الأمة للبقاء والاستمرار على الاستقامة في مسيرتها، وهو مما يتطلّب الاستقامة في الفكر والسلوك العملي؛ وأنّ هذا الفراغ يحتاج إلى من يسدّه بشرط أن تكون له من الخصوصيات ما للنبي، في مقام الوعظ والإرشاد والتبيين دون أن يكون نبياً يوحى إليه من السماء؛ لأنّ المفروض أنّه نائب عن النبيّ، قائم بأداء شريعته الخاتمة، وهادى لأمتّه من بعده على ضوئه، لا أنّه نبى في عرض نبوّته، ولا أنّه صاحب شريعة في عرض الشريعة والرسالة الإسلامية الحنيفّة؛ إذ إنّ هذه من مهام النبوة وخصائصها. ومن الطبيعي أنّ هذا الشخص النائب عنه لا يتأتى للأمة تعيينه واختياره؛ لعدم سعة

اطّلاعها ببواطن الأمور ونفسيات الناس، فكان أمره موكولاً لمن يعلم ذلك، وهو الله تعالى ورسوله. هذا من جهة. ومن جهة أخرى يشترط فيه كذلك أن يكون من المصطفين والمعصومين، وهم الصفوة من الأئمة الإسلامية، حتّى لا يزول الدين وينحرف عن طريقه ومساره، وهؤلاء هم الاثنا عشر خليفة^(١)، وأما سواهم يشك في فضله، فضلاً عن عدم ثبوت علمه وعصمته، فضلاً عن أنّهم لا يتّصفون بكونهم الأمان للأئمة من الفرق والاختلاف، كما جاء في تعريف الأئمة الأطهار في الحديث الشريف بكونهم «أمان لأمتي من الاختلاف»^(٢). علاوة على هذا كلّ، فالأئمة بحاجة إلى مرجع سياسى يحفظ كيانهما ووحدتها، ويدراً الأخطار الخارجية عنها، ويتولّى إدارة شؤونها، فكما هي بحاجة إلى مرجع دينى يتولّى مهمّة تعليمها الأحكام الفقهية والمسائل الاعتقادية، ويحفظ الشريعة الإسلامية من التزوير والتحرّف، والعقيدة من الأباطيل والخرافات، وإعداد وبناء جماعة صالحة تخدم المجتمع الإنسانى بكلّ ما لديها من القدرة والحصانة الفكرية والسلامة الأخلاقية من خلال تجسيد الأسوة والقدوة الحسنة في المجتمع الإنسانى، فهي بحاجة إلى من يقوم بالدفاع عنها وحراستها من الأعداء، والتبيان لها بما يتلاءم مع تلبية حاجات المجتمع البشرى ومتطلبات العصر؛ لأنّها تتمتع بجميع مقومات الحياة لكلّ زمان ومكان، وهكذا تبرز أهمية الإمامة في ممارسة دورها الإلهى في قيادة المجتمع نحو تحقيق أهدافه الدنيوية والأخروية، ولكنه للأسف أنّ مثل هذا كلّ مجهول قدره وأهميته وعظمه عند الدمشقية ومن يحذو حذوه.

البحث الرابع الإمامية تحكم بكفر محاربي الإمام على

المناقشة:

- ١- جاء في مسند أحمد ج ٥، ص ٨٨، عن جابر بن سمرة السوائى قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول فى حجّة الوداع: «إنّ هذا الدين لن يزال ظاهراً على من ناواه لا يضره مخالف ولا مفارق حتّى يمضى من أمتى اثنا عشر خليفة»، قال: ثمّ تكلم بشيء لم أفهمه فقلت لأبى: ما قال؟ قال: «كلّهم من قريش»، وسيأتى الكلام عنه مفصّلاً فى محلّه إن شاء الله تعالى.
- ٢- رواه الحاكم عن ابن عباس، وقال عنه: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». أنظر: المستدرک على الصحيحين، ج ٣، ص ١٤٩؛ وأنظر: الجامع الصغير، ج ٢، ص ٦٨٠، فضائل الصحابة، ج ٢، ص ٦٧١؛ الصواعق المحرقة، صص ١٥٢ و ١٥٣؛ ذخائر العقبى، ص ١٧؛ فرائد السمطين، ج ١، ص ٤٥.

البحث الرابع الإمامية تحكّم بكفر محاربي الإمام على

لقد حاول الدمشقيّ تحت هذا العنوان أن يدخل بذلك عائشهُ، ومن شارك معها في حرب الجمل، وكذلك من حارب الإمام على جميعاً، وبذلك يبيّن للمسلمين كيف أنّ الشيعة تحكّم بكفر أمّ المؤمنين عائشهُ، وغيرها من الصحابة وبعض التابعين، بل أهل السنّة المواليين لهؤلاء؛ لأنّ من كان في الطرف المقابل لهم هم شيعة علي وأتباعه، وبذلك فالشيعة لا ترى غيرها مسلماً مؤمناً حقيقياً، وإن قالت بإسلام غيرها (أهل السنّة) فهي في الواقع تحكّم بكفر الناصبي والمحارب لعلي، وبذلك فهي حاكمة على جميع المواليين لهؤلاء من أهل السنّة الراضين بهم وبأفعالهم أنّهم كفرة.

المناقشة:

قال الله تعالى: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ) [المائدة: ٣٣]. قال القطب الراوندي: «فمعنى يحاربون الله، أي: يحاربون أولياء الله والمؤمنين؛ لأنه لو كان المراد مقصوراً على محاربه رسول الله عليه السلام لكان حكم الآية يسقط بوفاته وأجمع المسلمون على أنّ هذا الحكم ثابت» (١).

١- فقه القرآن، للقطب الراوندي، ج ١، ص ٣٦٥.

وقال الشيخ الطوسي:

ظاهر مذهب الإمامية أنّ الخارج على أمير المؤمنين والمقاتل له كافر، بدليل إجماع الفرقة المحقّقة على ذلك، وإجماعهم حجّة لكون المعصوم الذي لا يجوز عليه الخطأ داخلاً فيهم، وأنّ المحاربين له كانوا منكرين لإمامته ودافعين لها، ودفع الإمامة عندهم وجحدها كدفع النبوة وجحدها سواء، بدلالة قوله: (من مات وهو لا يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية). وروى عنه أنّه قال لعلي: (حربك يا علي حربي وسلمك سلمى)، وحرب النبي كفر بلا- خلافاً، فينبغي أن يكون حرب علي مثله؛ لأنّه أراد حكم حربي، وإلا فمحال أن يريد أن نفس حربك حربي؛ لأنّ المعلوم خلافه.

فإن قيل: لو كان ذلك كفر لأجرى عليهم أحكام الكفر من منع الموارثة والمدافنة والصلاة عليهم وأخذ الغنيمه وأتباع المدبر والإجازة على المجروح والمعلوم أنّه لم يجر ذلك عليهم، فكيف يكون كفراً؟! قلنا: أحكام الكفر مختلفة كحكم الحربي والمعاهد والذمي والوثني، فمنهم من تقبل منهم الجزية ويقرون على دينهم، ومنهم من لا يقبل، ومنهم من يناكح وتؤكل ذبيحته، ومنهم من لا تؤكل عند المخالف. ولا يمتنع أن يكون من كان متظاهراً بالشهادتين وإن حكم بكفره حكمه مخالف لأحكام الكفار، كما تقول المعتزلة في المجبرة والمشبهة وغيرهم من الفرق الذين يحكمون بكفرهم وإن لم تجر هذه الأحكام عليهم، فبطل ما قالوه (١).

أقول: لقد جعل النبي الأعظم محمّداً معياراً واضحاً لا يختلف فيه اثنان، وذلك بالنسبة لمن أعلن النصب والحرب لإمام علي وأهل بيته الكرام؛ وهذا المعيار هو أنّ حربهم حربه، وسلمهم سلمه، ومعلوم أنّ من يحارب النبي فإنّما يعلن بذلك الحرب لله تعالى؛ لأنّ إيذاء بنص القرآن الكريم هو إيذاء الله تبارك وتعالى.

وقال الشيخ المفيد:

ومما يدلّ على كفر محاربي أمير المؤمنين علمنا بإظهارهم التدين بحربه، والاستحلال لدمه

ودماء المؤمنين من ولده وعترته وأصحابه، وقد ثبت أنّ استحلال دماء المؤمنين أعظم عند الله من استحلال جرعة خمر، لتعظيم المستحق عليه من العقاب بالاتفاق. وإذا كانت الأمة مجمعة على إكفار مستحل الخمر وإن شهد الشهادتين وأقام الصلاة وآتى الزكاة، فوجب القطع على كفر مستحل دماء المؤمنين، لأنه أكبر من ذلك وأعظم في العصيان بما ذكرناه، وإذا ثبت ذلك صح الحكم بإكفار محاربي أمير المؤمنين على ما وصفناه.

دليل آخر: ويدلّ على ذلك أيضاً ما تواترت به الأخبار من قول النبي لعلي: «حربك - يا علي - حربي، وسلمك سلمى»، وقد ثبت أنّه لم يرد بذلك الخبر عن كون حرب أمير المؤمنين حربه على الحقيقة، وإنّما أراد التشبيه في الحكم دون ما عداه، وإلّا كان الكلام لغواً ظاهر الفساد، وإذا كان حكم حربه كحكم حرب الرسول وجب إكفار محاربيه، كما يجب بالإجماع إكفار محاربي رسول الله. دليل آخر: وهو أيضاً ما أجمع على نقله حملة الآثار من قول الرسول: (من آذى علياً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى) ولا خلاف بين أهل الإسلام أنّ المؤذى للنبي بالحرب والسب والقصد له بالأذى والتعمد لذلك كافر خارج عن ملّة الإسلام، فإذا ثبت ذلك وجب الحكم بإكفار محاربي أمير المؤمنين بما أوجبه النبي من ذلك بما بيّناه.

دليل آخر: وهو أيضاً ما انتشرت به الأخبار، وتلقاه العلماء بالقبول عن رواة الآثار، من قول النبي لأmir المؤمنين: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وقد ثبت أنّ من عادى الله تعالى وعصاه على وجه المعادة فهو كافر خارج عن الإيمان، فإذا ثبت أنّ الله تعالى لا يعادى أولياءه، وإنّما يعادى أعداءه، وصحّ أنّه تعالى معاد لمحاربي أمير المؤمنين لعداوتهم له، بما ذكرناه من حصول العلم بتديّنهم بحربه^٧ بما ثبت به عداوة محاربي رسول الله ويزول معه الارتباب، وجب إكفارهم على ما قدمناه (١).

قال أيضاً:

فإن قالوا: فإذا كان محاربو أمير المؤمنين كفّاراً عندكم بحربه، مرتكبي العناد في خلافه،

فما باله لم يسر فيهم بسيرة الكفار فيجهز على جرحاهم، ويتبع مدبرهم، ويغنم جميع أموالهم، ويسبى نساءهم وذرايرهم، وما أنكرتم أن يكون عدوله عن ذلك في حكمهم يمنع من صحه القول عليهم بالإكفار؟

قيل لهم: إن الذي وصفتموه في حكم الكفار إنما هو شيء يختص بمحاربي المشركين، ولم يوجد في حكم الإجماع والسنة فيمن سواهم من سائر الكفار، فلا يجب أن يعدى منهم إلى غيرهم بالقياس، ألا ترون أن أحكام الكافرين تختلف، فمنهم من يجب قتله على كل حال، ومنهم من يجب قتله بعد الإمهال، ومنهم من تؤخذ منه الجزية ويحقن دمه بها ولا يستباح، ومنهم من لا يحل دمه ولا تؤخذ منه الجزية على حال، ومنهم من يحل نكاحه، ومنهم من يحرم بالإجماع، فكيف يجب اتفاق الأحكام من الكافرين على ما أوجبتموه فيمن سميناه، إذا كانوا كفارا، وهي على ما بيناه في دين الإسلام من الاختلاف؟! (١).

وجاء في تعليقه على كتاب الشيخ المفيد (أوائل المقالات)، قول المعلق:

فمراد الشيخ أن ثبوت بعض أحكام الإسلام لصنف من أصناف الكفار لا يدل على إسلامهم، كما إن جماعة من الفقهاء وجميع الأخباريين يحكمون بطهارة أهل الكتاب، والكل مجمعون على جواز نكاح نساءهم متعة وغير ذلك، فهل تدل هذه الفتاوى وثبوت هذه الأحكام على أن اليهود والنصارى مسلمون؟ كلا- وكذلك الأحكام التي رتبها أمير المؤمنين على محاربيه لا- تدل على إسلامهم (٢).

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة:

لنفرض أن النبي ما نص عليه بالخلافة بعده، أليس يعلم معاوية وغيره من الصحابة أنه لو قال له في ألف مقام: "أنا حرب لمن حاربت وسلم لمن سالمت،" ونحو ذلك من قوله: "اللهم عاد من عاداه، ووال من والاه،" وقوله: "حربك حربى وسلمك سلمى،" وقوله: "أنت مع الحق والحق معك،" وقوله: "هذا منى وأنا منه،" وقوله: "هذا أخى،" وقوله: "يحب الله ورسوله، ويحب الله ورسوله،" وقوله: "اللهم ائتنى بأحب خلقك إليك،" وقوله:

١- الإفصاح، ص ١٢٢.

٢- أنظر: أوائل المقالات، ص ٢٨٦، تحقيق: الشيخ إبراهيم الأنصارى.

"إنّه ولي كلّ مؤمن [ومؤمنه] بعدى، "وقوله: فى كلامه قاله": خاصف النعل، "وقوله": لا يحبه إلّا مؤمن، ولا يبغضه إلّا منافق، "وقوله: "إنّ الجنّة لتشتاق إلى أربعة، "وجعله أولهم، وقوله لعمار": تقتلك الفئة الباغية، "وقوله": ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بعدى، "إلى غير ذلك مما يطول تعداده جدّاً، ويحتاج إلى كتاب مفرد يوضع له، أمّا كان ينبغى لمعاوية أن يفكر فى هذا ويتأمله، ويخشى الله ويتقيه! فلعلّه لا إلى هذا أشار بقوله": وجحوداً لما هو أزم لك من لحمك ودمك مما قد وعاه سمعك، وملى به صدرك" (١).

ونقل الخوارزمى فى المناقب بسند إلى الإمام على، أنّ رسول الله قال يوم فتحت خيبر:

لولا- أن تقول فيك طوائف من أمتى ما قالت النصرارى فى عيسى بن مريم، لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمرّ على ملأ من المسلمين إلّا أخذوا من تراب رجلك، وفضل طهورك، يستشفون به، ولكن حسبك أن تكون منى وأنا منك، ترثنى وأرثك، وأنت منى بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا- نبى بعدى، أنت تؤدّى دينى، وتقاتل على سنّتى، وأنت فى الآخرة أقرب الناس منى، وأنت غداً على الحوض خليفتى، تذود عنه المنافقين، وأنت أول من يرد على الحوض، وأنت أول داخل الجنّة من أمتى، وأنّ شيعتك على منابر من نور رواء مرويين، مبيضة وجوههم حولى، أشفع لهم فيكونون غداً فى الجنّة جيرانى، وأنّ عدوك غداً ظمأ مظمئين، مسودة وجوههم مقمحين، حربك حربى وسلمك سلمى، وسرك سرى وعلايتك علانيتى، وسريرة صدرك كسريرة صدرى، وأنت باب علمى، وأنّ ولدك ولدى، ولحمك لحمى ودمك دمى، وأنّ الحقّ معك، والحق على لسانك وفى قلبك وبين عينيك، والإيمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمى ودمى، وأنّ الله عزّ وجل أمرنى أن أبشرك أنّك وعترتك فى الجنّة، وأنّ عدوك فى النار، [يا على] لا- يرد على الحوض مبغض لك، ولا- يغيب عنه محبّ لك، قال: قال على: فخررت له سبحانه وتعالى ساجداً (٢).

١- شرح نهج البلاغة، ج ١٨، ص ٢٥.

٢- المناقب، الخوارزمى، ص ١٢٩. والحديث طويل من طلبه فليراجع كتاب المناقب لابن المغازلى، ص ٢٣٧.

وروى أحمد بسند عن معبد بن وهب وزيد بن يثيع قال:

نشد على الناس في الرحبة من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدیر خم إلّا قام، قال: فقام من قبل سعيد ستته، ومن قبل زيد ستته، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلى يوم غدیر خم: أليس الله أولى بالمؤمنين؟ قالوا: بلى، قال: اللهم من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه(١).

وروى عن البراء بن عازب قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فنزلنا بغدير خم فنودي فينا الصلاة جامعة وكسح لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرتين فصلّى الظهر وأخذ بيد على رضى الله تعالى عنه فقال:

ألستم تعلمون إنى أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: ألستم تعلمون أنى بکل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد على فقال: من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، قال: فلقية عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً يا بن أبى طالب أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة(٢).

وروى أيضاً عن زيد بن أرقم قال:

استشهد على الناس فقال: أنشد الله رجلاً سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: اللهم من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، قال: فقام ستة عشر رجلاً فشهدوا(٣).

وأخرج الحاكم عن زيد بن أرقم قال:

لما رجع رسول الله من حجة الوداع ونزل غدیر خم امر بدوحات فقممن، فقال: كأنى قد دعيت فأجبت، إنى قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله تعالى وعترتى، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض ثم قال: إن الله

١- مسند أحمد بن حنبل، ج ١، ص ١١٨.

٢- المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٨٦.

٣- المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٧٠.

ص ٢٣٥

عزّ وجل مولاى وأنا مولى كلّ مؤمن، ثمّ أخذ بيد على رضى الله عنه فقال: من كنت مولاة فهذا وليه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه.

وذكر الحديث بطوله. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله. شاهده حديث سلمة بن كهيل عن أبى الطفيل أيضاً صحيح على شرطهما(١).

وأخرج أيضاً عن خيشمة بن عبدالرحمن قال:

سمعت سعد بن مالك وقال له رجل: إنّ علياً يقع فيك إنك تخلفت عنه! فقال سعد: والله إنّه لرأى رأيتة وأخطأ رأيتي، إنّ عليّ بن أبى طالب أعطى ثلاثاً؛ لأنّ أكون أعطيت إحداهن أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها، لقد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدير خم بعد حمد الله والثناء عليه: هل تعلمون أنّى أولى بالمؤمنين؟ قلنا: نعم، قال: اللهم من كنت مولاة فعلى مولاة، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه. وجيء به يوم خيبر وهو أرمدم ما يبصر فقال: يا رسول الله إننى أرمدم، فتفل فى عينيه ودعا له فلم يرمدم حتى قتل وفتح عليه خيبر. وأخرج رسول الله عمه العباس وغيره من المسجد فقال له العباس: تخرجنا ونحن عصبتك وعمومتك وتسكن علياً؟! فقال: ما أنا أخرجتكم وأسكنته، ولكن الله أخرجكم وأسكنه(٢).

وجعل الهيثمى باب فى كتابه سمّاه (باب قوله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاة فعلى مولاة) عن رباح الحارث قال:

جاء رهط إلى على بالرحبة قالوا: السلام عليك يا مولانا، فقال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم يقول: من كنت مولاة فهذا مولاة، قال رباح: فلمّا مضوا تبعتمهم فقلت: من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبوايوس الأنصارى، رواه أحمد والطبرانى إلّا أنّه قال قالوا سمعنا رسول الله صلى

١- المستدرک على الصحيحين، ج ٣، ص ١٠٩.

٢- المصدر السابق، ج ٣، ص ١١٧.

الله عليه وسلم يقول: من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه.

وهذا أبو أيوب بيننا فحسر أبو أيوب العمامة عن وجهه، ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه ورجال أحمد ثقات.

وعن عمرو بن زهير بن أرقم قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم فقال: من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، وأعن من أعانه، قلت لزبير بن أرقم: عند الترمذى من كنت مولاه فعلى مولاه فقط، رواه الطبرانى وأحمد عن زيد وحده باختصار إلا أنه قال: فى أوله نزلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بواد يقال له: خم، فأمر بالصلاة فصلاها بهجير، قال: فخطب وظلل على رسول الله صلى الله عليه وسلم على شجرة من الشمس فقال: أستم تعلمون أو أستم تشهدون أنى أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، فذكر نحوه، والبخارى وفيه ميمون أبو عبد الله البصرى وثقه ابن حبان وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات.

وعن أبى الطفيل قال: جمع على الناس فى الرحبة، ثم قال لهم: أنشد بالله كل امرئ مسلم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خم ما قال لما قام، فقام إليه ثلاثون من الناس، قال أبو نعيم: فقام ناس كثير فشهدوا حين أخذ بيده، فقال: أتعلمون أنى أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فهذا مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، قال: فخرجت كأن فى نفسى شيئاً، فلقيت زيد بن أرقم فقلت له: إنى سمعت عليك يقول: كذا وكذا، قال: فما تنكر قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك، رواه أحمد، ورجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة.

وعن سعيد بن وهب قال: نشد على الناس، فقام خمسة أو ستة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فشهدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من كنت مولاه فعلى مولاه، رواه أحمد ورجال الصحيح.

وعن عمرو بن زهير بن أرقم قال: سمعنا علياً يقول: نشدت الله رجلاً سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خم لما قام فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فأخذ بيد على فقال: من كنت مولاه فهذا مولاه، اللهم وال

من والاه وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبّه، وأبغض من يبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة.

وعن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: شهدت علياً في الرحبة يناشد الناس أنشد الله من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في يوم غدیر خم: من كنت مولاه فعلى مولاه لما قام فشهد، قال عبدالرحمن: فقام اثنا عشر بدرياً كأنى انظر إلى أحدهم عليه سراويل، فقالوا: نشهد إننا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدیر خم: أأست أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجي أمهاتهم؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: فمن كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، رواه أبو يعلى، ورجاله وثقوا (١).

وأخرج النسائي في سننه الكبرى عن زيد بن أرقم قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجّة الوداع ونزل غدیر خم أمر بدوحات فقممن، ثم قال:

كأنى قد دعيت فأجبت إنى قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله وعترتى أهل بيتى، فانظروا كيف تخلفونى فيهما، فإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض، ثم قال إن الله مولاي وأنا ولى كل مؤمن، ثم أخذ بيد على فقال: من كنت ولىه، فهذا ولىه اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، فقلت لزيد: سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: ما كان فى الدوحات رجل إلا رآه بعينه وسمع بأذنه (٢).

وقد جاء فى قصّة حرب الجمل شهادات بزيغ معاوية وانحرافه عن الصراط المستقيم، كما كشف عن ذلك عمرو بن العاص لما كاتبه معاوية لينضم إلى صيفه وجنحه، ويكون محارباً للإمام على، ونحن ننقل بعض ما جاء فى هذه المحاورات التى جرت بينهم، وكيف كانت نهايتها.

قال البلاذرى:

المدائنى عن عيسى بن يزيد الكنانى أنّ علياً لما بعث جرير بن عبدالله إلى معاوية ليأخذ له البيعة عليه، قدم [جرير] عليه وهو جالس والناس عنده، فأعطاه كتاب على فقرأه، ثم قام

١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج ٩، صص ١٠٤ و ١٠٥.

٢- السنن الكبرى، النسائي، ج ٥، ص ٤٦.

جرير فقال: يا أهل الشام، إنّ من لم ينفعه القليل لم ينفعه الكثير، قد كانت بالبصرة ملحمة إن يسفح البلاء بمثلها فلا بقاء للإسلام بعدها، فاتقوا الله وروؤا فى على ومعاوية.

وانظروا أين معاوية من على؟! وأين أهل الشام من المهاجرين والأنصار؟! ثم انظروا لأنفسكم فلا يكون أحد أنظر لها منها. ثم سكت وسكت معاوية فلم ينطق وقال: أبلغنى ريقى يا جرير.

فأمسك [جرير] فكتب [معاوية] من ليلته إلى عمرو بن العاص - وهو على ليل منه - فى المصير إليه - وصرف جريراً بغير إرادته - وكان كتابه إلى عمرو: أمّا بعد، فقد كان من أمر على وطلحة والزبير ما قد بلغك، وقد سقط إلينا مروان فى جماعة من أهل البصرة ممن رفض علياً وأمره، وقدم على جرير بن عبدالله فى بيعه على، وحبست نفسى عليك حتى تأتيني، فاقدم على على بركة الله وتوفيقه. فلما أتاه الكتاب دعا ابنه عبدالله ومحمداً فاستشارهما، فقال له عبد الله: أيها الشيخ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو عنك راض، ومات أبو بكر وعمر وهما عنك راضيان، فإياك أن تفسد دينك بدنيا يسيرة تصيبها من معاوية، فتككب كبا فى النار. ثم قال [عمرو] لمحمد: ما ترى؟ فقال: بادر هذا الأمر تكن فيه رأساً قبل أن تكون ذنباً. فروى [عمرو] فى ذلك.

رأيت ابن هند سائلى أن أزوره

وتلك التى فيها اثنياب البوائق

أتاه جرير من على بخطه

أمرت عليه العيش مع كل ذاتق

فوالله ما أدرى إلى أى جانب

أميل ومهما قاذنى فهو سائقى

أأخذعه والخدع فيه دناءة

أم أعطيه من نفسى نصيحة وامق

وقد قال عبدالله قولاً تعلقت

به النفس إن لم تعتلقنى علائقى

وخالفه فيه أخوه محمد

وإنى لصلب العود عند الحقائق

فلما سمع عبدالله بن عمرو هذا الشعر قال: بال الشيخ على عقيبه وباع دينه، فلما أصبح عمرو دعا مولاه وردان فقال: ارحل بنا يا وردان فرحل، ثم قال: حط، فحط، ففعل ذلك مراراً، فقال له وردان: أنا أخبرك بما فى نفسك، اعترضت الدنيا والآخرة فى قلبك فلست

تدرى أيتها تختار! قال: لله درك ما أخطأت، فما رأى؟ قال: تقيم فى منزلك فإن ظهر أهل الدين عشت فى دينهم، وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغن عنك! فقال عمرو: ارحل يا وردان على عزم، وأنشأ يقول:

يا قاتل الله ورداناً وفطنته

أبدى لعمر ك ما فى النفس وردان

ثم قدم على معاوية فذاكره أمره، فقال: أمّا على فلا تسوّى العرب بينك وبينه فى شىء من الأشياء، وإنّ له فى الحرب لحظاً ما هو لأحد من قريش، قال: صدقت، وإنّما نقاتله على ما فى أيدينا ونلزمه دم عثمان.

فقال عمرو: وإنّ أحقّ الناس أن لا يذكر عثمان لأننا وأنت، أمّا أنا فتركته عياناً وهربت إلى فلسطين، وأمّا أنت فخذلته ومعك أهل الشام حتّى استغاث بيزيد بن أسد البجلي فسار إليه، فقال معاوية: دع ذا وهات فبايعنى، قال: لا، لعمر و الله لا أعطيك دينى حتّى آخذ من دنياك! فقال معاوية: سل، قال: مصر تطعمنى إياها، فغضب مروان بن الحكم وقال: مالى لا أستشار؟ فقال معاوية: اسكت فما يستشار إلّا لك، فقام عمرو مغضباً فقال له معاوية: يا [أ] با عبد الله، أقسمت عليك أن تبيت الليلة عندنا. وكره أن يخرج فيفسد عليه

الناس، فبات [عمرو] عنده وقال:

معاوى لا أعطيك دينى ولم أنل

به منك دنيا فانظرن كيف تصنع

فإن تعطنى مصرأ فأربح صفقة

أخذت بها شيخاً يضر وينفع

وما الدين والدنيا سواء وإننى

لأخذ ما تعطى ورأسى مقنع

ولكننى أعطيك هذا وإننى

لأخدع نفسى والمخادع يخدع

فلما أصبح معاوية دخل عليه عتبة بن أبى سفيان فقال له: يا معاوية ما تصنع؟ أما ترضى أن تشتري من عمرو دينه بمصر؟ فأعطاه إياها، وكتب له كتاباً: [أن] لا ينقض شرط طاعة.

فمحا عمرو ذلك، وقال: اكتب: لا ينقض طاعة شرطاً. فقال له عتبة بن أبى سفيان:

أيها المانع سيفاً لم يهز

إنّما ملت إلى خز وقز

إنّما أنت خروف واقف

بين ضرعين وصوف لم يجز

ص ٢٤٠

أعط عمرواً إن عمرواً باذل
دينه اليوم لدنيا لم تحز
أعطه مصرأ وزده مثلها
إنما مصر لمن عز فبز
إن مصرأ لعلی أو لنا
يغلب اليوم عليها من عجز
وقال معاوية فيما جاء به جرير بن عبدالله:
تطاول ليلى واعترتنى وساوسى
لآت أتى بالترهات البساس
أتانا جرير من على بحمقه
وتلك التى فيها اجتداع المعاطس
يكاتبنى والسيف بينى وبينه
ولست لأتواب الذليل بلابس
وقد منحتنى الشام أفضل طاعة
تواصى بها أشياخها فى المجالس
وإنى لأرجو خير ما نال طالب
وما أنا من ملك العراق بيأس(١)

ونقل ابن الحديد فى شرح نهج البلاغة قول الجاحظ، حيث قال فى عمرو بن العاص:

كانت مصر فى نفس عمرو بن العاص؛ لأنه هو الذى فتحها فى سنه تسع عشرة من الهجرة فى خلافة عمر، فكان لعظمها فى نفسه وجلالتها فى صدره، وما قد عرفه من أموالها وسعة الدنيا، لا يستعظم أن يجعلها ثمناً من دينه، وهذا معنى قوله: وإنى بدأ الممنوع قدما لمولع(٢).

ونقل ابن خلكان قائلاً:

فلما قتل عثمان ٢ سار إلى معاوية باستجلاب معاوية إياه، وشهد صفين مع معاوية، وكان منه فى صفين وقضية التحكيم ما هو مشهور عند أهل العلم بهذا الفن، وكان قد طلب من معاوية أنه إذا تم له الأمر يوليه مصر، وكتب إليه فى بعض أيام طلبه: معاوى لا أعطيك دينى ولم أنل به منك دنيا فانظرن كيف تصنع

١- الأنساب، البلاذرى، صص ٢٨٤-٢٨٩.

٢- شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ٦٦.

ص ٢٤١

فان تعطنى مصرأ فأربح بصفقه

أخذت بها شيخأ يضر وينفع

ثم ولاه معاوية مصر، فلم يزل بها أميرأ إلى أن مات (١).

وقال ابن أبي الحديد:

إنّ مذهبنا فى محاربى أميرالمؤمنين ٧ معروف؛ لأنهم عندنا كانوا كفارأ بمحاربتة؛ لوجوه:

الأول: منها أنّ من حاربه كان مستحلأ لقتاله، مظهرأ أنّه فى ارتكابه على حقّ، ونحن نعلم أنّ من أظهر استحلال شرب جرعة خمر هو كافر بالإجماع، واستحلال دماء المؤمنين فضلاً عن أفاضلهم وأكابرهم أعظم من شرب الخمر واستحلاله، فيجب أن يكونوا من هذا الوجه كفارأ.

الثانى أنّه ٧ قال له بلا- خلاف بين أهل النقل: (حربك يا على حربى، وسلمك سلمى) ونحن نعلم أنّه لم يرد إلأ التشبيه بينهما فى الأحكام، ومن أحكام محاربى النبى ٩ الكفر بلا خلاف.

الثالث: أنّ النبى ٩ قال له بلا خلاف أيضاً: (اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله)، وقد ثبت عندنا أنّ العداوة من الله لا تكون إلأ للكفار الذين يعادونه دون فساق أهل الملة.

الرابع: قوله: إنّنا لا- نعلم ببقاء هؤلاء المخلفين إلى أيام أميرالمؤمنين فليس بشيء؛ لأنّه إذا لم يكن ذلك معلوماً ومقطوعاً عليه، فهو مجوز وغير معلوم خلافه، والجواز كاف لنا فى هذا الموضع.

فإن قيل: كيف يكون أهل الجمل وصفين كفارأ ولم يسر أميرالمؤمنين فيهم بسيرة الكفار؛ لأنّه ما سباهم، ولا غنم أموالهم، ولا تبع موليهم؟

قلنا: أحكام الكفر تختلف، وإن شملهم اسم (الكفر)؛ لأنّ فى الكفار من يقتل ولا يستبقى، وفيهم من يؤخذ منه الجزية ولا يحل قتله إلأ بسبب طارئ غير الكفر، ومنهم من لا- يجوز نكاحه على مذهب أكثر المسلمين، فعلى هذا يجوز أن يكون أكثر هؤلاء القوم كفارأ، وإن لم يسر فيهم بجميع سيرة أهل الكفر؛ لأننا قد بينا اختلاف أحكام الكفار، ويرجع فى أنّ

ص ٢٤٢

حكمهم مخالف لأحكام الكفار إلى فعله وسيرته فيهم.

على أنا لا نجد في الفساق من حكمه أن يقتل مقبلاً، ولا يقتل مولياً، ولا يجهز على جريحه، إلى غير ذلك من الأحكام التي سيرها في أهل البصرة وصفين.

فإذا قيل في جواب ذلك: أحكام الفسق مختلفة، وفعل أمير المؤمنين هو الحجّة في أن حكم أهل البصرة وصفين ما فعله.

قلنا: مثل ذلك حرفاً بحرف، ويمكن مع تسليم أن الداعي لهؤلاء المخلفين أبو بكر، أن يقال: ليس في الآية دلالة على مدح الداعي ولا على إمامته؛ لأنه قد يجوز أن يدعو إلى الحق والصواب من ليس عليهما، فيلزم ذلك الفعل من حيث كان واجباً في نفسه، لا لدعاء الداعي إليه، وأبو بكر إنما دعا إلى دفع أهل الردة عن الاسلام، وهذا يجب على المسلمين بلا دعاء داع، والطاعة فيه طاعة الله تعالى،

فمن أين له أن الداعي كان على حق وصواب وليس في كون ما دعا إليه طاعة ما يدل على ذلك؟! (١)

والحاصل مما تقدم وغيره من الروايات وأقوال علماء الشيعة والسنة، أن مسألة حرب أمير المؤمنين هي إعلان الحرب للنبي، وواضح حكم من أعلن الحرب بوجه النبي، وأن إيذاء واحد من أهل بيته: الذين أوصى بهم خيراً، هو إيذاء للنبي، وإيذاؤه يوجب النار من قبل الله تعالى بلا خلاف.

الفصل الخامس تكفير الإمامية لأهل البدع في الدين

حقيقة البدعة وأقسامها وفلسفة تحريمها

١- شرح نهج البلاغة، ج ١٣، صص ١٩٤ و١٩٥.

ص ٢٤٣

الفصل الخامس تكفير الإمامية لأهل البدع في الدين

حقيقته البدعة وأقسامها وفلسفته تحريمها

رأينا من اللازم علينا أن نوضح معنى البدعة وأقسامها وفلسفته تحريمها قبل الخوض في الجواب عن إشكاليته واعتراض الدمشقية على تكفير الشيعة لكل مبتدع ثبت أن بدعته هذه أوجب زيادة في الدين أو نقص فيه، كما سيتضح ذلك من خلال مطاوى هذا الفصل الذي خصصناه لهذا الأمر.

ثم إن كتاب الدمشقية يبين أن صاحبه ابن تيمية لم يكن من أهل العلم وإن ادّعاها؛ وذلك لما يكشف عنه جهله بما هو موجود في كتب أسلافه وزعماء مذهبه إن التزم به (مذهب أهل السنة)، مع إشارة إلى أنه وإن كان علماء أهل السنة لا يعدّون الوهابية من التابعين لمذاهبهم الأربعة المعروفة، بل حتى الحنابلة التي تحاول الوهابية أن تظهر الالتزام بها، فهم الآخرون يتنكرون ولا يعترفون بهذا الانتماء الصوري؛ للخلاف الواضح بين مباني الوهابية في الأصول والفروع معهم، وقد نقلنا ما يثبت ذلك بما فيه الكفاية في مدخل هذا الكتاب.

وعلى أيّة حال فإن هذا الرجل (الدمشقية) لا نرى له أهلية التمثيل لأهل السنة، فالكلام يتوجّه إليه بالذات دون علماء أهل السنة من سائر المذاهب الأخرى، فإن الاختلاف في الرأي وفي بعض المسائل الدينية أمر طبيعي، حتى على مستوى علماء المذهب الواحد، وإلا لما حصل تكامل في هذا الجانب؛ وذلك لأنّ الأفهام ليست على مستوى واحد من الإدراك والتفكير، فمن الطبيعي جداً أن تكون هناك معطيات مختلفة في الموضوع الواحد، بشرط أن لا تكون مخالفة لصريح الدين، بحيث توجب الزيادة أو النقيصة فيه بالمعنى الاصطلاحي؛ لأنّ مثل

ذلك يعتبر بدعة بمعنى إدخال ما ليس من الدين في الدين، أو إخراج ما من الدين عن الدين، والأخير قد يؤدي بالتالي إلى إنكار ما هو ضروري من ضروريات الدين وهو موجب للكفر، والأول قد يوجب الابتداع المنهى عنه في الشرع المقدس، كما سنوضحه في هذا الفصل.

وقد تقدم في الفصل الأول كيف أن هذه الجماعة - التي ظهرت في الأوساط الإسلامية بلباس الدين ورداء التوحيد - كانت تجهل الكثير من أمور الدين، بحيث استدعى علماء السنة على اختلاف مذاهبهم الوقوف بوجه هذه الجماعة المبتدعة لسنن وأحكام ما أنزل الله بها من السلطان، ورأينا كيف أن أقرب هؤلاء الناس لإحياء بدعة ابن تيمية الحراني التي كادت بدعه تطمس معالم الدين إلا أن هذا الموقف من علماء المسلمين كاد أن يقضى على هذه البدع لولا قيام محمد عبد الوهاب بانقلابه الذي قد أعد له من أوباش الناس لينقض على أهل ذلك الزمان، وليقتل علماءهم وشيوخهم، وينهب أموالهم بإعلان دعوته باسم الدفاع عن التوحيد ومحاربة الشرك والوثنية التي كان يرى عليها أهل السنة على مختلف مذاهبهم في شبه الجزيرة العربية والبلدان المجاورة لها، فما أن تمت له السيطرة على مكة والمدينة والحجاز ونجد إلا تحرك باتجاه البلدان القريبة منها، ولم يعأ بفتاوى العلماء ومواقفهم المخالفة له، بل راح يقتلهم باسم الشرك والكفر والخروج عن الدين، فمرت الأئمة الإسلامية في تلك الأيام بأزمات وفتن ومصاعب لم تمر بها من قبل، حيث راحت ضحيتها عشرات الآلاف من المسلمين بما فيهم علماء الدين باسم الدين، فأعظم المصائب عندما تكون في الدين وباسمه، كما قال الإمام زين العابدين:

«اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا» لأن ذلك هو الخسران الكبير.

وقد ذكرنا بعض تلك الصور والمحن ومواقف العلماء فيما تقدم من هذا الكتاب، ولكن الذي يهمننا في هذا الفصل هو كشف وبيان جهل الدمشقية فيما عدّه من أساليب الإمامية في تكفير غيرهم من المسلمين، وفي هذه المرة خصّ بهم الجماعات المبتدعة في الدين؛ إذ إنه لا يرى الابتداع بجميع صورته المنهى عنه - كما يظهر من كلامه - يوجب الحكم بكفره وخروجه

عن الدين؛ وذلك دفاعاً منه عن بعض المبتدعين، وهو في الدين ابتداع منهي عنه، فموقفه لم يكن كما يبدو لنا من لحن كلامه أنه كان خاضعاً للدليل الشرعي في نفي التكفير عن هؤلاء، وإنما هو مجرد الدفاع عن هؤلاء الذين تراهم الإمامية خارجين عن الدين الحقّ بإدخال ما ليس من الدين في الدين باسم الشريعة الإسلامية، والحكم بإلزام الأئمة بوجوب العمل به، وهو منهي عنه بصريح القرآن والسنة النبوية الشريفة، كما سيأتي تفصيله بعد قليل، وبيان آراء علماء المسلمين فيه، وأن الحكم بتكفير أصحاب هذا النوع من الابتداع في الشريعة غير مختص بالإمامية.

فهذه المحاولة من الدمشقية ليست هي الأولى له ولشيوخه وأتباع حركته في اتهام الإمامية في الخروج عن إجماع المسلمين، وإن كانت هذه الأقوال والاتهامات مخالفة للواقع الخارجي، كما مرّ علينا في مسألة تكفير الشيعة الإمامية للناصب، وكيف أن الدمشقية اعتبر ذلك خاص بها دون سائر المذاهب الإسلامية الأخرى؛ تضليلاً للأئمة وتكديباً لعلمائها، وبعد أن رجعنا إلى فتاوى علماء أهل السنة وجدناها متفقة تمام الاتفاق مع علماء الإمامية في تنجيس وتكفير الناصبي المعادي للإمام علي، فنقلنا للقارئ العزيز بعض هذه الأقوال والفتاوى والآراء لكبار علماء المسلمين على مختلف مذاهبهم وأطيافهم، وكيف أنهم اعتبروا النصب يوجب إيذاء النبي ٩ وإيذائه يوجب حلول الغضب وإنزال العقاب الإلهي على الناصبي، كل ذلك لأجل تبرير مواقفهم المعادية ومواقف أسيادهم من بني أمية طوال تاريخ حكمهم، وما عاناه أهل البيت: وشيعتهم من هؤلاء النواصب، فلو لم يكن في تاريخ بني أمية إلا قتل الإمام الحسين وأهل بيته: وسبى حرم آل النبي من العراق إلى الشام، لكفى عاراً وشناراً عليهم، كيف وقد تجاوزوا بعد ذلك جميع الأحكام والقوانين الشرعية في ملاحقة وقتل الأبرياء من آل النبي: وأتباعهم من شيعتهم الخالصين، والتاريخ شاهد على ذلك، واليوم تحاول هذه الحركة التكفيرية الوهابية إكمال هذه المسيرة بقتلهم الأبرياء وانتهاك الحرمات وهدم المقدسات وطمس جميع المعالم الدينية التي تربط حاضر الأئمة بماضيها، وغيرها من الجرائم البشعة التي ارتكبوها بحق أبناء هذه الأئمة باسم الدفاع عن الإسلام والتوحيد، وهي

ص ٢٤٨

كلمة حقّ أريد بها باطل.

ولكن المؤسف هو أنّك تجد أحداً يدعى أنّه عالم في الدين وفقهه فيه من أتباع الحركة التكفيرية الإرهابية، يتجاهل كلّ هذه الأقوال والفتاوى والمواقف لجميع المذاهب الإسلامية بما فيها المذهب الحنبلي - الذي يدعى الوهابي الانتماء إليه، في الوقت الذي لا يُقرّون بصحة هذا الارتباط والانتماء، كما يظهر من مواقفهم المتمثلة بالتنكّر والمعارضة الأولى لسليمان بن عبد الوهاب الحنبلي لأخيه مؤسس وزعيم هذه الحركة التكفيرية محمّد عبد الوهاب، ثم تلتها مواقف من علماء الحنابلة شبيهة لهذا الموقف في البراءة عن كلّ ما يفعله هؤلاء من جرائم واتّهامات بالتكفير والشرك وغيرها - في مسألة الابتداع بمعناه الخاصّ، أي: بمعنى إدخال ما ليس من الدين في الدين، على أن يلزم العمل بهذه البدعة على نحو الوجوب تارة وعلى نحو الاستحباب تارة أخرى، كما سنوضح ذلك هنا؛ حتّى نزيل بذلك الالتباس عن طلب الحقيقة، وكيف أنّ المسألة غير مختصة بالإمامية كما ادّعى ذلك الدمشقيّ، بغضاً لها وحقداً عليها.

وعليه فينبغي دراسة هذه المسألة دراسة تفصيلية للمغالطة التي استخدمت فيها كأسلوب من أساليب التمويه على الحقيقة، ولذا سيكون البحث فيها عن بيان عدّة مطالب:

البحث الأول بيان معنى البدعة

الأمر الأول: البدعة لغة

ص ٢٤٩

البحث الأول بيان معنى البدعة

الأمر الأول: البدعة لغة

قال الفراهيدي:

البدع: إحداث شيء لم يكن له من قبل خلق ولا ذكر ولا معرفة.... والبدع: الشيء

الذي يكون أولاً في كل أمر، كما قال الله عز وجل: (قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِّنَ

الرُّسُلِ) [الأحقاف: ٩]، أي: لست بأول مرسل.... والبدعة: اسم ما ابتدع من

الدين وغيره... والبدعة: ما استحدثت بعد رسول الله من أهواء وأعمال، ويجمع على البدع(١).

وقال الجوهري: «أبدعت الشيء: اخترعته لا- على مثال. والله تعالى بديع السماوات والأرض.... والبدعة: الحدث في الدين بعد

الإكمال»(٢).

وقال ابن منظور: «البدعة: الحدث، وما ابتدع من الدين بعد الإكمال. ابن السكيت: البدعة كل محدثة. وفي حديث عمر، في قيام

رمضان: نعمت البدعة هذه»(٣).

١- كتاب العين، ج ٢، ص ٥٥.

٢- الصحاح، ج ٣، صص ١١٨٣ و ١١٨٤.

٣- لسان العرب، ج ٨، ص ٦.

ص ٢٥٠

وقول الراغب: «والبدعة في المذهب إيراد قول لم يستن قائلها وفاعلها فيه بصاحب الشريعة وأماثلها المتقدمة وأصولها المتقنة»^(١).
 وقول الفيروز آبادي: «البدعة الحدث في الدين بعد الإكمال، أو ما استحدث بعد النبي من الأهواء والأعمال»^(٢).
 وعليه فالأصل في البدع هو إحداث أمر لم يكن له من قبل سابق مثله، ثم عدّ كلّ محدث في الدين بدعة فيه.

الأمر الثاني: البدعة في الاصطلاح

١- تعريف البدعة عند علماء الإمامية

الأمر الثاني: البدعة في الاصطلاح

١- تعريف البدعة عند علماء الإمامية

لقد عرّفها فقهاء الإمامية بأنها عبارة عن إدخال ما ليس من الدين في الدين.
 قال السيّد المرتضى: «البدعة: الزيادة في الدين أو نقصان منه من إسناد إلى الدين»^(٣).

أقول: يستفاد من هذا القول إنّ البدعة هي كلّ ما ليس مأموراً به وأُدخل في الدين بما يوجب زيادة عن الدين، سواء كان منهياً عنه أو لم يكن منهياً عنه، بشرط أن تكون هذه الزيادة في الدين بعنوان التشريع فيه ملزماً بنحو الوجوب أو الاستحباب، إذ ما لم يكن بعنوان التشريع لا يكون فيه زيادة في الدين، وإنّما الزيادة في الدين تتحقق بإضفاء صفة الشرعية على الأمر المستحدث فيه، وسيأتي في تعريف علماء السنّة أنّهم يعدّون مثل هذا من بدع الضلالة، وكلّ ما يوجب الضلال محرّم، ويدخل صاحبه النار.
 أمّا بالنسبة للنقيصة فقد يكون الأمر مأموراً به من قبل الشارع المقدّس، وقام المبتدع بمنعه وتحريمه على المكلفين بنحو التشريع، وهذا مما يوجب نقصاً في التشريع، وطبيعي أنّ

١- مفردات غريب القرآن، ص ٣٩.

٢- القاموس المحيط، ج ٣، ص ٤.

٣- رسائل المرتضى، ج ٢، ص ٣٦٥.

ص ٢٥١

مثل ذلك لو لم يكن الله تعالى فيه غرض يوجب تكميل الفرد لما أمر به وشرّعه، فتشريعه يدلّ على وجود غرض فيه، فتعطيل العمل به يوجب تفويت هذا الغرض على المكلف، وهو مخالفة لمقتضى الحكمة الإلهية، فمن هذا الوجه يرى علماء الإسلام الابتداع بما يوجب النقص في الدين تشريعاً، وهو محرّم.

وقد أفتى العلامة في المختلف بحرمة كلّ بدعة توجد زيادة أو نقيصة في الدين، حيث قال: «إنّ الأذان عبادة متلقاة من الشرع، فالزيادة عليها بدعة كالنقصان، وكلّ بدعة حرام» (١).

وقال السيد محسن الأمين:

البدعة: إدخال ما ليس من الدين في الدين، ولا- يحتاج تحريمها إلى دليل خاص؛ لحكم العقل بعدم جواز الزيادة على أحكام الله تعالى ولا التنقيص منها: لاختصاص ذلك به تعالى وبأنبيائه الذين لا يصدر عن إله إلا عن أمره، مع أنّه قد ورد النص بأنّ كلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة في النار.

وأما تشخيصها فهو مما يقع فيه الاشتباه، فكم بدعة عدت سنّة وبالعكس؟! وسبب الاشتباه إمّا خطأ في الدليل المستدل به على أنّ ذلك من الشرع أو ليس منه، أو تقليد من سنّها لحسن الظن به مع أنّه مبدع، أو توهم أنّه لا- بدّ من ورود النص بها بالخصوص مع دخولها في عمومها أو إطلاقه كما وقع في زماننا من بعض المتشدددين فقالوا: إنّ القيام عند ذكر ولادة النبي بدعة؛ لعدم ورود النص به، والحال أنّه يكفي فيه عموم ما فهم من الشرع من لزوم احترام النبي ورجحان تعظيمه حياً وميتاً بكلّ أنواع الاحترام التي لم ينص الشرع على تحريمها.

ثمّ البدعة لا تكون بدعة إلّا إذا فعلت بعنوان أنّها من الدين، فما قاله بعضهم من أنّ ما اصطلح عليه بعض المسلمين في هذه الأعصار من ترك الأعمال يوم الجمعة بدعة؛ لأنّه لم

١- مختلف الشيعة، ج ٢، ص ١٣١.

ينص الشرع على ذلك، بل أمر بالعمل بعد قضاء صلاة الجمعة اشتباه؛ لأنَّ الترك هنا بعنوان الراحة أو بعنوان مصلحة أخرى دينية^(١). والحاصل من جميع ذلك أنَّ البدعة المحرَّمة لا تكون بدعةً إلَّا إذا استلزمت إدخال ما ليس من الدين في الدين، أو إخراج ما كان من الدين بما يوجب نقيضه فيه، هذا ما خصَّ به علماء الشيعة الإمامية في تعريف البدعة المحرَّمة، وأنها واحدة مادامت حقيقتها تقتضى هذا الأمر؛ لأنَّ ذلك يستلزم الكذب على الله تعالى، والتصرُّف في الشرع المقدَّس بدون إذن الله تعالى، وهو محرَّم.

٢- تعريف البدعة عند علماء السنة

وقال الشاطبي: «البدعة: طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية»^(٢). ويعنى بذلك أنَّ صاحب البدعة يضاهي ببدعته التشريع الإلهي غير المأذون به، وإلَّا لما كان مضاهياً بذلك للشرع المقدَّس وفي عرضه. وقال صاحب كتاب أحسن الكلام: «البدعة الشرعية هي التي تكون ضلالة»^(٣). ويعنى بذلك البدعة المتعلقة بأمر ديني التي توجب زيادة أو نقصاً بلا فرق، حيث وصفها بوصف الشرعية، ثم قال عنها بأنَّها ضلالة. وبهذا ينقض ما قيل في تلك البدعة: ونعمت البدعة هذه. وقال ابن رجب الحنبلي: «المراد بالبدعة ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدلُّ عليه، وأما ما كان له أصل من الشرع يدلُّ عليه فليس ببدعة شرعاً وإن كان بدعة لغو»^(٤).

وهذا هو المهم؛ لأنَّ ما كان له أصل في الشريعة لا يسمَّى بدعة؛ لأنَّ مثل يقال له: اجتهاد وليس ابتداع وإدخال أو إخراج شيء عن الدين كما هو مفاد البدعة؛ لأنَّها توجب ضلال الأمة وتبعدها عن صراطها المستقيم، وعليه فإنَّ البدعة لا تكون بدعة في نظر الشارع

١- كشف الارتياح في أتباع محمَّد بن عبد الوهاب، ص ١٠٣.

٢- الاعتصام، للشاطبي، ج ١، ص ٣٧.

٣- أحسن الكلام، ص ٦.

٤- جامع العلوم الحكم، ص ١٦٠.

ص ٢٥٣

وتوجب الضلال إلّا إذا كانت تتصف بهذه الصفة: أنّها لا أصل لها من الشرع، وإنّما يكون أصلها إمّا أتباع الهوى، أو جهل لحقّ بصاحبها، أو كذباً على الله تعالى ورسوله، فكلّ ما ليس له أصل من الشرع فهو بدعة شرعية بنظر أهل السنّة والإمامية، أمّا لماذا لا يكفر أهل السنّة بعض المبتدعين وتكفرهم الشيعة الإمامية؟ فذلك راجع إلى حجّتهم في الدفاع عن أولئك المبتدعين في الدين! وقال ابن حجر العسقلاني: «ما أحدث وليس له أصل في الشرع ويسمّى في عرف الشرع بدعة، وما كان له أصل يدلّ عليه الشرع فليس بدعة»^(١).

وفي موضع آخر يقول:

(المحدثات جمع محدثة)، والمراد بها، أى: فى حديث (من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ)^(٢)، ما أحدث وليس له أصل فى الشرع يسمّى فى عرف الشرع بدعة، وما كان له أصل يدلّ عليه الشرع فليس بدعة^(٣). وقال الغزالي:

وما يقال: إنّهُ أبدع بعد رسول الله، فليس كلّ ما أبدع منهياً، بل المنهى عنه بدعة تضاد سنّة ثابتة^(٤)، وترفع أمراً من الشرع مع بقاء علته، بل الإبداع قد يجب فى بعض الأحوال إذا تغيّرت الأسباب^(٥).

١- فتح البارى شرح صحيح البخارى، ج ١٣، ص ٢١٢.

٢- البدعة، مفهومها، حدها، آثارها، للسبحانى، ص ٢٥.

٣- فتح البارى شرح صحيح البخارى، ج ١٣، ص ٢١٢.

٤- من قبيل تحريم متعنا الحج والنساء من قبل عمر بن الخطاب، اللتان كانتا ثابتان فى زمن النبى وأبى بكر، بشهادة عمر بنفسه كما روى أحمد فى مسنده عن أبى نضرة قال: قلت لجابر بن عبد الله إن ابن الزبير رضى الله عنه ينهى عن المتعة، وإن ابن عباس يأمر بها قال: فقال لى على يدي جرى الحديث تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عفان ومع أبى بكر فلما ولى عمر رضى الله عنه خطب الناس فقال إن القرآن هو القرآن وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الرسول وإنهما كانتا متعتان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إحداهما متعة الحج والأخرى متعة النساء. مسند أحمد بن حنبل، ج ١، ص ٥٢. السنن الكبرى للبيهقى، ج ٧، ص ٢٠٦.

٥- إحياء علوم الدين، محمّد بن محمّد أبو حامد الغزالي، ج ٢، ص ٣، ط الحلبي.

ص ٢٥٤

وقال الشيخ عبدالحق الدهلوى فى شرح المشكاة: «اعلم أنّ كلّ ما ظهر بعد رسول الله بدعة، وكلّ ما وافق أصول سنّته وقواعدها أو قيس عليها فهو بدعة حسنة، وكلّ ما خالفها فهو بدعة سيئة وضلالة»^(١).

قال ابن حزم:

البدعة: كلّ ما قيل أو فعل مما ليس له أصل فيما نسب إليه صلى الله عليه وسلم، وهو فى الدين كلّ ما لم يأت فى القرآن، ولا عن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم إلّا أنّ منها ما يؤجر عليه صاحبه، ويعذر بما قصد إليه من الخير، ومنها ما يؤجر عليه صاحبه ويكون حسناً، وهو ما كان أصله الإباحة كما روى عن عمر: نعمت البدعة هذه، وهو ما كان فعل خير جاء النص بعموم استحبابه وإن لم يقرر عمله فى النص. ومنها ما يكون مذموماً ولا يعذر صاحبه، وهو ما قامت به الحجّة على فسادها فتماذى عليه القائل به^(٢).

البحث الثانى أدلة تحريم البدعة

الدليل الأول: القرآن الكريم

١- نقلاً: الكشاف لاصطلاحات الفنون كما فى البدعة، الدكتور عزت، ص ١٦٢.

٢- الأحكام، ج ١، ص ٤٣.

ص ٢٥٥

البحث الثاني أدلة تحريم البدعة

الدليل الأول: القرآن الكريم

لقد ورد في القرآن الكريم ما يذم الابتداع وينهى عنه نهياً تحريمياً؛ وذلك لأنها تستلزم الكذب والافتراء على الله تعالى ورسوله، مضافاً إلى كونها تصرفاً وتدخل في الشرع المقدس بلا إذن من الله ورسوله، ومن جملة الآيات التي حرمت ذلك، هي: قوله تعالى: (قُلْ أَللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ) [يونس: ٥٩] فإن هذه الآية تدل على أن كل ما ينسب إلى الله سبحانه بلا إذن منه فهو أمر محرّم، ومن أدخل في الدين ما ليس منه فقد افترى على الله.

وقوله عز وجل: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [الأنعام: ١٤٤].
وقوله تعالى: (قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ) [يونس: ١٥].

وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [الحجرات: ١].
وقوله سبحانه: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ

ص ٢٥٦

أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا [الأحزاب: ٣٧].
 وقوله تعالى (١): وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [الأنعام: ١٥٣].
 على أن البدعة ليست خصوص الإفتاء بما خالف الكتاب والسنة، بل هي أعم من ذلك، فهي تشمل إدخال ما لم يرد في الكتاب والسنة النبوية الشريفة، بأن سكت عنه الشارع نفيًا وإثباتًا.

الدليل الثاني: السنة الشريفة

وردت روايات كثيرة تفوق حد الاستفاضة في النهي عن الابتداع في الدين بما يوجب تحريمه؛ لأنه يوجب ضلال الأمة، وأنه من نوع الكذب على الله تعالى ونبيه الأكرم محمد^٩، ومن جملة تلك الروايات الواردة في المقام ما يلي:

١. قال رسول الله: «أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله، وإن أفضل الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة في النار»^(١).
٢. وعنه: «إياكم والبدع فإن كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة تسير إلى النار»^(٢).
٣. وعنه: «من سن سنة خير فأتبع عليها فله أجره، ومثل أجر من أتبعه غير منقوص من أجرهم شيئًا، ومن سن سنة شر فأتبع عليها كان عليه وزره ومثل أوزار من أتبعه غير منقوص من أوزارهم شيئًا»^(٣).
٤. وعنه: «أهل البدع شر الخلق والخليقة»^(٤).
٥. وعنه: «الأمر المفضع والحمل المضلع والشر الذي لا ينقطع إظهار البدع»^(٥).

١- مسند أحمد، ج ٣، ص ٣١١؛ سنن الدارمي، ج ١، ص ٦٩.

٢- كنز العمال، المتقى الهندي، ج ١، ص ٢٢١.

٣- سنن الترمذي، ج ٤، ص ١٤٩؛ المعجم الأوسط، ج ٤، ص ٩٤.

٤- المعجم الأوسط، ج ٤، ص ١٩٦؛ الجامع الصغير، ج ١، ص ٤٢٣.

٥- الآحاد والمثاني، للضحاك، ج ٤، ص ٣٧٥؛ المعجم الكبير، ج ٣، ص ٢١٩.

ص ٢٥٧

٦. وعنه: «أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته» (١).

٧. وعنه: «من مشى إلى صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام» (٢).

٨. وعنه: «عمل قليل فى سنة خير من عمل كثير فى بدعة» (٣).

٩. وعنه: «إذا مات صاحب بدعة فقد فتح فى الإسلام فتح» (٤).

١٠. وعنه: «لا يقبل الله لصاحب بدعة صلاة ولا صوماً ولا صدقة ولا حجاً ولا عمرة ولا جهاداً ولا صرفاً ولا عدلاً، يخرج من الإسلام كما تخرج الشعرة من العجين» (٥).

١١. وعنه:

من أعرض عن صاحب بدعة بغضاً له ملاً الله قلبه أمناً وإيماناً، ومن انتهر صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر، ومن أهان صاحب بدعة رفعه الله فى الجنة مائة درجة، ومن سلم على صاحب بدعة أو لقيه بالبشر واستقبله بما يسره فقد استخف بما أنزل الله على محمد (٦).

١٢. عن قيس بن عباد قال:

انطلقت أنا والأشتر إلى على فقلنا: هل عهد إليك رسول الله شيئاً لم يعهده إلى الناس عامة؟ قال: «لا إلا ما فى كتابى هذا، فأخرج كتاباً من قراب سيفه فإذا فيه: المؤمنون تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، ألا لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد فى عهده، من أحدث حدثاً فعلى نفسه، ومن أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل» (٧).

وقال الحاكم النيسابورى: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» (٨).

١- الجامع الصغير، ج ١، ص ١٠.

٢- المعجم الأوسط، ج ٧، ص ٣٥.

٣- المصنف، ج ١١، ص ٢٩١؛ مسند الشهاب، ج ٢، ص ٢٣٩.

٤- الجامع الصغير، السيوطى، ج ١، ص ١٣١.

٥- فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج ١، ص ٩٧.

٦- كنز العمال، المتقى الهنذى، ج ٣، ص ٨٢.

٧- مسند أحمد بن حنبل، ج ١، ص ١١٩.

٨- المستدرک على الصحيحين، الحاكم النيسابورى، ج ٢، ص ١٤١.

وعنه: «من غشَّ أمتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، قالوا: يا رسول الله، وما الغش؟ قال: أن يتدع لهم بدعة فيعملوا بها»^(١). والحاصل أن البدعة في الدين ما أوجب كونها جزءاً من أجزاءه بالتشريع لها، ولم تكن مشرعة قبل ذلك من قبل الله تعالى ورسوله، فهي محرمة؛ لما جاء في بيانها عن النبي الروايات التي نقلناها عنه، حيث وجدناه في بعض يعتبرها نوعاً من الكذب المحرم على الله تعالى ورسوله، وفي أخرى يعتبرها نوعاً من الخيانة والغش للأمة الإسلامية، وهو محرّم بالكتاب والسنة والإجماع والعقل.

الدليل الثالث: الإجماع

علاوة على ما جاء في تحريمها في الكتاب والسنة الشريف ذكر بعضهم كالشاطبي دعوى الإجماع على أنها محرمة، حيث قال: «إجماع السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم على ذمها كذلك، وتقيحها والهروب عنها - إلى أن قال: - فهو بحسب الاستقراء، إجماع ثابت، فدلّ على أن كل بدعة ليست بحق، بل هي من الباطل»^(٢).

وقد ادعى الشيخ المفيد اتفاق الإمامية، حيث قال: «اتفقت الإمامية على أن أصحاب البدع كلهم كفار، وأنّ على الإمام أن يستتيبهم عند التمكن بعد الدعوة لهم وإقامة البيئات عليهم، فإن تابوا عن بدعهم وصاروا إلى الصواب، وإلّا قتلهم لرددتهم عن الإيمان، وأنّ من مات منهم على تلك البدعة فهو من أهل النار»^(٣).

الدليل الرابع: العقل

كذلك العقل حاكم بقبحها؛ لأنها نوع من أنواع الكذب على الشارع المقدس؛ وذلك

١- كنز العمال، ج ١، ص ٢٢٢.

٢- الاعتصام، الشاطبي، ج ١، ص ١١٤.

٣- أوائل المقالات، ص ٤٩.

ص ٢٥٩

لعدم وجود أصل لها عنده، والعقل إذا حكم بقبح الكذب، حكم بطريق أولى بقبحه الافتراء على الله تعالى. قال الشاطبي مستدلًا على تحريمها بالعقل:

إن متعقل البدعة يقتضى ذلك بنفسه؛ لأنه من باب مصادة الشارع وإطراح الشرع، وكل ما كان بهذه المثابة فمحال أن ينقسم إلى حسن وقبيح، وأن يكون منه ما يمدح ومنه ما يذم؛ إذ لا يصح في معقول ولا منقول استحسان مشاقه الشارع (١).

البحث الثالث بيان أقسام البدعة

التقسيم الأول: بدعة شرعية بلحاظ موافقتها للشرعية أو مخالفتها لها

١- الاعتصام، الشاطبي، ج ١، ص ١٤٢.

البحث الثالث بيان أقسام البدعة

لقد ذكرت للبدعة أقسام متعددة، بعضها صحيحة لا تضاد الشرع المقدس، وأخرى باطلة لمخالفتها للشرع، حتى مع ادعاء صاحبها أنه لا يهدف بذلك إلى مخالفة الشرع بقدر ما يريد من هذه البدعة تحقيق مصلحة تعود على الأمة؛ لأن المعيار في صحة هذه البدع وعدمها هو مضادة شرع الله ورسوله، أم عدم مضادتها له، وإليك ما جاء في هذا البحث:

التقسيم الأول: بدعة شرعية بلحاظ موافقتها للشرعية أو مخالفتها لها

١- روى الحافظ ابن نعيم الأصفهاني، بسنده عن حرمله بن يحيى قال: سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول: «البدعة بدعتان: بدعة محمودة وبدعة مذمومة، فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم»^(١).

وقال أيضاً: «المحدثات من الأمور ضربان: أحدهما يخالف كتاباً أو سنة أو إجماعاً أو أثراً، فهذه بدعة الضلال. والثاني: ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا، فهي محدثة غير مذمومة»^(٢).

١- حلية الأولياء، ج ٩، ص ١١٣؛ جامع العلوم والحكم، ج ١، ص ٢٦٧.

٢- أنظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١٣، ص ٢١٣.

ص ٢٦٢

٢- قال ابن الأثير:

البدعة بدعتان: بدعة هدى، وبدعة ضلال، فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله فهو في حيز الذم والإنكار، وما كان واقعاً تحت عموم ما ندب الله إليه وحث عليه الله أو رسوله فهو في حيز المدح. وما لم يكن له مثال موجود، كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف، فهو من الأفعال المحموده، ولا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ما ورد الشرع به؛ لأن النبي قد جعل له في ذلك ثواباً، فقال: (من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها) وقال في ضده: (ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها) وذلك إذا كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله (١).

ثم عد ما جاء به عمر من تشريع صلاة التراويح التي يعمل بها إلى يومنا هذا من أقسام بدعة الهدى، حيث قال: ومن هذا النوع قول عمر: (نعمت البدعة هذه) لَمَّا كانت من أفعال الخير وداخله في حيز المدح سماها بدعة ومدحها، إلماً أن النبي [صلى الله عليه وآله] لم يستنها لهم، وإنما صلاها لِيَالِي. ثم تركها ولم يحافظ عليها، ولا جمع الناس لها، ولا كانت في زمن أبي بكر، وإنما عمر جمع الناس عليها وندبهم إليها، فهذا سماها بدعة، وهي على الحقيقة سنة؛ لقوله [صلى الله عليه وآله]: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى)، وقوله: (اقتدوا باللذين من بعدى: أبي بكر وعمر) وعلى هذا التأويل يحمل الحديث الآخر: (كل محدثة بدعة) إنما يريد ما خالف أصول الشريعة ولم يوافق السنة. وأكثر ما يستعمل المبتدع عرفاً في الذم (٢). ويرد عليه:

أولاً: أنه على فرض صحة ثبوت ما استدل به من الأحاديث، فهي كما قالوا عنها:

ليس المراد بسنة الخلفاء الراشدين إلا طريقتهم الموافقة لطريقته صلى الله عليه [وآله] وسلم، قال القارى في المرقاة: فعليكم بسنتي، أى: بطريقتي الثابتة عني واجباً أو مندوباً،

١- النهاية في غريب الحديث، ج ١، ص ١٠٦.

٢- المصدر السابق، ص ١٠٧.

وسنة الخلفاء الراشدين فإنهم لم يعملوا إلّا بسنتي فالإضافة إليهم إمّا لعملهم بها، أو لاستنباطهم واختيارهم إياها(١).

وهي واضحة في اشتراط النبي بعدم مخالفة سنة الخلفاء لسنته، وتحريم المتعتين صريح في مخالفة سنة النبي.

ثانياً: أن الالتزام بما جاء به من الأحاديث يوجب أن يكون كل من أبي بكر وعمر معصومين، وإلّا كيف يأمر النبي أمته بوجوب الاقتداء بعده من لا يأمن معهما الاشتباه والخطأ، والواقع يكذب ذلك، فما أكثر أخطاءهم في الدين فضلاً عن غيره، كما أن الغزالي قد أبطال حجته من يقول بحجته قول الصحابي، بقوله:

الأصل الثاني: من الأصول الموهومة قول الصحابي، وقد ذهب قوم إلى أن مذهب الصحابي حجة مطلقاً، وقوم إلى أنه حجة إن خالف القياس، وقوم إلى أن الحجة في قول أبي بكر وعمر خاصية لقوله: اقتدوا باللذين من بعدي، وقوم إلى أن الحجة في قول الخلفاء الراشدين إذا اتفقوا، والكل باطل عندنا، فإن من يجوز عليه الغلط والسهو، ولم تثبت عصمته عنه فلا حجة في قوله، فكيف يحتاج بقولهم مع جواز الخطأ؟! وكيف تدعى عصمتهم من غير حجة متواترة؟! وكيف يتصور عصمة قوم يجوز عليهم الاختلاف؟! وكيف يختلف المعصومان؟! كيف وقد اتفقت الصحابة على جواز مخالفة الصحابة، فلم ينكر أبو بكر وعمر على من خالفهما بالاجتهاد، بل أوجبوا في مسائل الاجتهاد على كل مجتهد أن يتبع اجتهاد نفسه، فانتفاء الدليل على العصمة، ووقوع الاختلاف بينهم، وتصريحهم بجواز مخالفتهم، فيه ثلاثة أدلة قاطعة(٢).

ثالثاً: أنك لم تذكر دليلاً على أن (صلاة التراويح) كانت في زمن النبي، وأن النبي كان يفعلها ثم تركها.

رابعاً: أن النسبة إلى النبي بأنه فعلها ثم تركها، فالترك إمّا أن يكون بأمر من السماء فيحرم

١- تحفة الأحوذى، المبار كفورى، ج ٣، ص ٤٠.

٢- المستصفى، الغزالي، ص ١٦٨.

ص ٢٦٤

بعد ذلك من يأتي بها، إما أنه بلا أمر من السماء بتركها، مع بقاء الأمر باستحبابها، وهذا يعني أن النبي يأمر الناس ويدعوهم إلى العمل بالمستحبات والمندوبات، ولكنه بنفسه لا يعمل بها، وهو بذلك يخالف مقام النبوة في الوقت الذي لم يعد عنده مخالفة لما أمر به وجوباً أو ندباً، بل يستلزم مخالفة هذا الأمر لما أمر الله تعالى به الناس من الاقتداء به، وأنه الأسوة الحسنه لهم في كل شيء. خامساً: ما رووه عن عمر بن الخطاب أنه بعد ما رأى أن أبي بن كعب أقام صلاة التراويح جماعة وصف ذلك الفعل بالبدعة الحسنه؛ ولذلك اعتبر ما جاء به بدعة مستحدثة، وهذا يدل أنه لم يكن في زمن النبي وأبي بكر علاوة على ذلك أن عمر يعي ويعلم ما يقول من ألفاظ وما لها من المعاني، فالتبرير له على أنه قال ذلك على وجه المجاز لا الحقيقة، بعيد جداً، وعليه بدعة في الدين وزيادة فيه بعنوان التشريع، وهو منهي عنه.

٣- قال النووي في شرح صحيح مسلم:

البدعة على خمسة أقسام: واجبة ومندوبة ومحرمه ومكروهه ومباحه، ومن الواجبة: نظم أدلة المتكلمين للرد على الملاحدة والمبتدعين وشبه ذلك، ومن المندوبة: تصنيف كتب العلم وبناء المدارس والربط وغير ذلك، ومن المباحه: التبسط في ألوان الأتعمه، وغير ذلك والحرام والمكروه ظاهران (١).

ويرد عليه:

إن علماءنا قد أشكلوا على ما ذكر في تقسيم البدعة إلى قسمين (بدعة هدى، وأخرى ضلال)، فضلاً عن تقسيمها إلى خمسة بعدد الأحكام، كما جاء في تقسيم النووي المتقدم، من أنه لا معنى أن تكون البدعة ملزمة لتشريع في الدين بما يوجب الزيادة فيه كالأمر بأداء فعل وتكليف لم يثبت بدليل شرعي، ولكن المبتدع يرى أن فيه مصلحة للأمة، وعندها يلزم الأمة بالإتيان به على نحو الوجوب أو الاستحباب، أو أنها تقتضى النقص، كما في النهي والتحريم

١- شرح صحيح مسلم، ج ٦، ص ١٥٥.

عن أمر دعت إليه الشريعة وعملت الأئمة به، ثم يأتي المبتدع فيحرّم ذلك؛ لأنه يرى فيه مفسدة على الأمة، فمن باب حرصه الشديد على الأمة يقوم بتحريمها والمعاقبة عليها، ومع ذلك نقول: إن هذه البدعة حسنة!!
قال الشيخ السبحاني:

لكن هذا التقسيم باطل لو أريد منه البدعة بمعناها المصطلح عند الفقهاء، أي: (إدخال ما ليس من الدين في الدين)، وهذا المعنى ليس إلّا قسماً واحداً، وهو محرّم بالكتاب والسنة والعقل والإجماع إلى يوم القيامة، ولا يسوغها شيء قط، ولا مبرر لتقسيمها إلى البدعة الحسنة والبدعة السيئة ما دامت من باب إدخال ما ليس من الدين في الدين (١).

التقسيم الثاني: بلحاظ كونها توجب تشريعاً في الدين أو لا توجب ذلك

ذهب علماء الإمامية بعد الردّ على من قال بممدوحية بعض أنواع البدع مع إيجابها للتشريع في الدين - أي: إدخال ما ليس من الدين في الدين، وذلك من خلال دعوة الناس إلى العمل بأمر لم يأمر به الشارع المقدس، على أن يكون هذا الأمر بعد ذلك سنة كسنة النبي ٩، أو ينهى عن أمر أمرت به الشريعة المقدسة على نحو الوجوب أو الاستحباب - إلى أن كلّ ما يوجب نقصاً أو زيادة في الدين تشريعاً فهو بدعة محرّمة محكومة بالضلال المنهى عنه، وأما ما لا يوجب ذلك فلا دليل على تحريمه، بل قد يكون العمل به يوجب المدح لفاعله من قبل العقلاء، أو على الأقل يكون حاله كحال الكثير من المباحات، ومن هذا الوجه قاموا بتقسيم البدعة إلى قسمين: الأول: ما يتعلّق أمرها بإدخال ما ليس من الدين في الدين، زيادة أو نقصاً.

الثاني: ما يتعلّق أمرها بالأمر المباح، كالأعراف الاجتماعية والرسوم والآداب في التعبير عن الحزن أو الفرح والسرور ونحوهما؛ لأنّ الإتيان بهذه الأمور من دون الاسناد إلى الدين بما يوجب نقصاً أو زيادة فيه، ولم يكن محرّماً بالذات شرعاً كان بدعة حسنة بلحاظ كيفية تطوّر هذه الآداب والرسوم بما يوافق العقل والعقلاء، وكونه عملاً حضارياً يخبر عن

طبيعة تكامل الإنسان في مختلف أبعاده الحياتية، من قبيل ما إذا احتفل الشعب بيوم استقلاله، أو تجمّع للبراءة من أعدائه، أو أقام الأفراح لمولد بطل من أبطاله، أو ما هو معهود ومرسوم بين الملوك والرؤساء بأن يبرق كل إلى الآخر بمناسبة عيد الاستقلال الوطني، أو ولادة الرئيس إظهاراً للفرح، وتجسيداً للتوادم المحمود عقلاً.

فما دام أن مثل هذه الآداب والرسوم الخاصية والمشاركة بين الشعوب لم ينهى عنها الشارع المقدّس، أو لم تعارض وتضاد بعض الأحكام الشرعية، فإنها تبقى على إباحتها، يحق لكل أحد أن يقوم بها بحسب ما تقتضيه المصلحة بما لا يوجب فساداً وتجاوزاً على حقوق الآخرين وتعدّي القوانين والأعراف الاجتماعية والآداب الأخلاقية، وعليه فلا مانع من أن تتفق أمّة على أدب معين وتتخذة عادة وتقليداً متبعاً في إحياء مناسباتها الدينية أو الوطنية.

وعليه تبقى السنّة المحرّمة هي تلك السنّة التي توجب إدخال ما ليس من الدين في الدين بما يوجب زيادة أو نقيصة، أو استحداث عمل يخالف المنهى عنه، فمثل ذلك يكون محرّماً من قبيل: استحداث مسابقة ملكة جمال العالم، التي توجب على الفتاة الخروج عارية، كاشفة لجميع مفاتن بدنها أمام الرجال الأجانب، أو استحداث قيام المرأة باستقبال الضيف في البيت أو في المناسبات الخاصة وهي في غاية التبرّج والسفور، ونحوها، فهذا مما نهى عنه الشارع المقدّس؛ لأنه يوجب انتهاك وهتك حرمة هذه المرأة، ويوقعها في المخالفة الشرعية، التي توجب لعنها وطردها من رحمة الله تعالى، وسقوط كرامتها وشخصيتها في المجتمع الإنساني من دون أن تشعر هي بذلك، بل يجعلها في معرض التجاوز عليها، فهذه الحرمة ليست من باب كون هذا الفعل بدعة، بل من باب كونه حراماً بالذات شرعاً، قال الشيخ السبحاني:

فلا ينطبق عليه عنوان شرّ الأمور محدثاتها؛ لأنّ للبدعة قسماً واحداً، وهو (إدخال ما ليس من الدين في الدين) وهو المعنى بأحاديث تحريم البدعة ليس غير، والمورد الأخير ليس من قبيل إدخال ما ليس من الدين في الدين، بل من باب الإتيان بشيء حرام بالذات، والفرق بين البابين واضح (١).

وقال الشهيد السعيد محمّد بن مكّي العاملي: «محدثات الأمور بعد عهد النبي تنقسم أقساماً، لا يطلق اسم البدعة عندنا إلّا على ما هو محرّم منها»^(١).

وقال المجلسي:

البدعة في الشرع: ما حدث بعد الرسول ولم يرد فيه نص على الخصوص، ولا- يكون داخلياً- في بعض العمومات، أو ورد نهى عنه خصوصاً أو عموماً، فلا تشمل البدعة ما دخل في العمومات مثل بناء المدارس وأمثالها، الداخلة في عمومات إيواء المؤمنين وإسكانهم وإعاتتهم، وكإنشاء بعض الكتب العلمية، والتصانيف التي لها مدخل في العلوم الشرعية، وكالألبسة التي لم تكن في عهد الرسول ٩ والأطعمة المحدثه، فإنها داخلة في عمومات الحلية، ولم يرد فيها نهى. وما يفعل منها على وجه العموم إذا قصد كونها مطلوبة على الخصوص كان بدعة، كما أنّ الصلاة خير موضوع ويستحب فعلها في كلّ وقت، ولو عين ركعات مخصوصة على وجه مخصوص في وقت معيّن صارت بدعة، وكما إذا عيّن أحد سبعين تهليله في وقت مخصوص على أنّها مطلوبة للشارع في خصوص هذا الوقت بلا نص ورد فيها كانت بدعة، وبالجملة إحداث أمر في الشريعة لم يرد فيه نص بدعة، سواء كانت أصلها مبتدعة أو خصوصيتها مبتدعة^(٢).

وقال المحدث البحراني:

الظاهر المتبادر من البدعة لا سيما بالنسبة إلى العبادات إنّما هو المحرّم؛ ولما رواه الشيخ الطوسي عن زرارة ومحمد بن مسلم والفضيل عن الصادقين: (ألا وإنّ كلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة سبيلها إلى النار)^(٣).

وقال المحقق الآشتياني: «البدعة: إدخال ما علم أنّه ليس من الدين في الدين ولكن يفعله بأنّه أمر به الشارع»^(٤).

١- القواعد والفوائد، ج ٣، ص ١٤٥.

٢- بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٢٠٢.

٣- الحدائق الناضرة، ج ١٠، ص ١٨٠.

٤- بحر الفوائد، ص ٨٠.

وقال السيد محسن الأمين:

البدعة: إدخال ما ليس من الدين في الدين كإباحة محرم أو تحريم مباح أو إيجاب ما ليس بواجب أو ندمه، أو نحو ذلك، سواء كانت في القرون الثلاثة أو بعدها، وتخصيصها بما بعد القرون الثلاثة لا وجه له، ولو سلمنا حديث (خير القرون قرني) فإن أهل القرون الثلاثة غير معصومين بالاتفاق (١).

وقال الشيخ السبحاني بعد نقل التعاريف الواردة في بيان معنى البدعة:

ويبدو أن أوضح التعاريف ما نقلناه عن العلمين: الآشتياني والسيد الأمين، فإنهما

(قدس سرهما) أتيا باللب، وحذفا القشر، فمقوم البدعة هو التصرف في الدين عقيدة وتشريعاً، بإدخال ما لم يعلم أنه من الدين فيه، فضلاً عما علم أنه ليس منه قطعاً. والذي يؤخذ على تعريفهما أنه لا يشمل البدعة بصورة النقص كحذف شيء من أجزاء الفرائض (٢). والحاصل أن الابتداع المذموم والمنهى عنه الموجب للضلال هو ما جاء به الإنسان من غير المأمور به وعده مأموراً به في الدين، أو منع ونهى عن أمر ندب إليه الشرع المقدس، فيكون بنهيه هذا مشرعاً في عرض تشريع الله تعالى، وهو تدخل سافر من قبله في التشريع الإلهي المقدس بلا إذن من الله تعالى، متجاوزاً بذلك قوله تعالى: (قُلْ اللَّهُ أَذُنٌ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ) [يونس: ٥٩]، وقوله تعالى: (قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ) [يونس: ١٥]. وعليه يتضح بأن قيود البدعة هي:

١- التدخل في الدين عقيدة وحكماً، بزيادة أو نقيصة.

٢- أن تكون هناك إشاعته ودعوة لهذه البدعة.

٣- أن لا يكون هناك دليل في الشرع يدعم جوازها لا بالخصوص ولا بالعموم.

١- كشف الارتباب في أتباع محمد بن عبد الوهاب، ص ١٣١.

٢- البدعة، مفهومها، حدها، آثارها، ص ٣٠؛ في ظل التوحيد، ص ٧٨.

ص ٢٦٩

قال السبحاني:

إنّ الموضوع في الكتاب والسنة هو البدعة في الدين لا مطلقها، فلو كان الكتاب والسنة يتكلمان فيها فإنما يتكلمان فيها باسم الدين والشريعة وعن البدعة فيهما؛ لأنّ كلّ متكلم إنّما يتكلم في إطار اختصاصه ومقامه وحسب شأنه، فالكتاب العزيز كتاب إلهي جاء لهداية الناس وإلى ما فيه مرضاء الله بتشريعه القوانين والسنن، والنبى الأكرم مبعوث لتبيان ذلك الكتاب بأقواله وأفعاله وتقريراته، قال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [النحل: ٤٤].

فإذا تكلمنا عن البدعة فإنما يتكلمان عن البدعة الواردة في حوزتهما، وقيد الدين والشريعة وإن لم يذكر في متون النصوص غالباً، لكنهما مفهومان من القرائن الموجودة فيها، فلا عبرة بالإطلاق بعد القرائن الحاقفة على الكلام، هذا ما نستنبطه من مجموع الخطابات الواردة في الأدلة (١).

ولذلك قال في تعريف البدعة:

ويجمع الكل: القول في الدين بغير علم على الأغلب، بل مع العلم بالخلاف ولكن يقدم رأيه عليه، بظن الإصلاح أو غيره من الحوافز (٢).

البحث الرابع فلسفة تحريم البدعة

أولاً: استلزامها الكذب على الله تعالى أو اتهامه بعدم إكمال الدين وإتمامه

١- البدعة، مفهومها، حدّها، آثارها، ص ٣٢؛ في ظلّ التوحيد، ص ٣٧.

٢- المصدر السابق، ص ٤١، ص ٨٩.

البحث الرابع فلسفة ترميم البدعة

إنّ ما تشير إليه الآيات الكريمة والروايات الشريفة - التي قد مرّ علينا ذكر بعضها - الواردة في النهي عن الابتداع في الدين، من أنّ ذلك يوجب تحقق أمور محرّمة في الشرع المقدّس، مضافاً إلى أنّ له عواقب وخيمة دنيوية وأخروية، فمن الأمور التي تصلح لأن تكون سبباً لتحريم الابتداع، هي:

أولاً: استنزامها الكذب على الله تعالى أو اتهامه بعدم إكمال الدين وإتمامه

لقد ارتحل النبي الأكرم إلى الرفيق الأعلى بعد أن أكمل الشريعة الإسلامية وبيّن جليلها ودقيقها، وما تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة، كما جاء ذلك في تقرير قوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) [المائدة: ٣]، ولأجل الحفاظ على دينه وصيانته من التحريف والتبديل أمر بالتمسك بالثقلين، ولم يرض للأمة غيرهما لئلا يكون الدين أعبوبة بأيدي المغرضين والطامعين.

وعليه يكون المقياس في تمييز البدعة عن السنّة هو الرجوع إلى الثقلين، سواء فسّر بالكتاب والعترة، كما هو المتواتر، أم بالكتاب والسنّة، كما رواه الإمام مالك في الموطأ بسند مرسل، والحديثان متقاربا المضمون؛ لأنّ العترة لا تنشد إلّا السنّة النبوية، التي أخذوها كإبراً

عن كابر إلى أن تصل إلى النبي الأكرم ٩، فما وافقهما فهو سئء، وما خالفهما فهو بين معصية وبدعة، مع الفرق الواضح بينهما، فلو أذيعت الفكرة أو شاع العمل بين الناس بها فتصير بدعة، وإن اكتفى بها من دون دعوة وإشاعة فهي معصية. وعليه فالمعنى الجامع للبدعة هو: الافتراء على الله ورسوله، ونشر ذلك المفترى في الأمة بعنوان أنه من الدين، ويدل على هذا المعنى قوله سبحانه: (أَلَلَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ) [يونس: ٥٩] فَإِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ تَدَلُّ عَلَى أَنَّ كُلَّ مَا يَنْسَبُ إِلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ بِلَا إِذْنٍ مِنْهُ فَهُوَ أَمْرٌ مَحْرَمٌ، وَمَنْ أَدْخَلَ فِي الدِّينِ مَا لَيْسَ مِنْهُ فَقَدْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ، وَقَدْ عَدَّ اللَّهُ الْمَفْتَرِيَّ مِنْ أَظْلَمِ النَّاسِ؛ إِذْ قَالَ سَبْحَانَهُ: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) [الأنعام: ٢١]؛ ولذلك عندما اقترح المشركون على النبي ٩ بأن يأتي بقرآن غير هذا أو يبدله، أمره سبحانه بأن يقول: (قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبَعْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) [يونس: ١٥].

ثانياً: استلزامها التدخّل في التشريع الإلهي تحليلاً أو تحريماً، نقصاً أو زيادةً.

أمّا في جانب الزيادة في الدين فهي تعني أنّ الله تعالى لو كان يعلم بما يقوم به المبتدع من تقنين بعض الأمور ودعوة الأمة إلى العمل بها على نحو الندب أو الوجوب، لما تركه الله تعالى بمقتضى حكمته وعدله؛ لأنّ مثل ذلك يكون فيه فائدة - على فرض أنّ المبتدع أدرك المصلحة المترتبة على بدعته - تعود على المكلف ولم يدعوه إليها، ندباً أو وجوباً، وهذا تجاوز كبير على ساحة المولى تعالى؛ لأنّ مثل هذا يدل على أنّ المبتدع لهذه التشريعات أحرص من الله تعالى على عباده، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وأمّا في جانب تدخّله في النقيصة من الدين، فهذا يعني أنّ المبتدع استطاع أن يكتشف أنّ بعض التشريعات الإلهية توجب الفساد الذي لم يلتفت ويعلم به الله تعالى - والعياذ بالله - فلأجل قطع هذا الفساد وحماية الأمة من الوقوع فيه بما يوجب انحطاطها وعدم تكاملها، قام بمنع ذلك، كما هو صريح قول عمر: (كانتا على عهد رسول الله أحرمهما وأعاقب عليهما)،

وهو بذلك يريد أن يقول للأمة الإسلامية: إن مثل هذه التشريعات المسموح بها من قبل الشريعة الإسلامية توجب لكم الفساد وعدم التكامل الذي خلقتكم لأجله، لا أن يريد أن يقول لهم: إنني أ منع ما يوجب التكامل؛ لأنّ مثل ذلك لا يتفوّه به عاقل، وعلى أيّة حال فإنّ مثل هذا التصرف في جانبي التحليل والتحريم يعدّ تدخلاً وتصرفاً واضحاً في التشريع الإلهي، وهو منهي غير مأذون به. والمحدود في هذه التعاريف هو البدعة في الشرع والدين الإسلامي، والتدخل في أمر التقنين والتشريع.

ثالثاً: استلزامها التلاعب بما أنزل الله تعالى في كتابه من أحكام وعقائد

حتى لو أننا سلّمنا وتغاضينا النظر عمّا ذكر من علل في تحريم الابتداع في الدين زيادة أو نقصاً، وأنّ ذلك مما لا يوجب التدخّل في الدين، فهو لا يخرج عن كون هذا الفعل يؤدّي إلى التلاعب في الدين وبما أنزل في القرآن الكريم من آيات تحرّم مثل هذه الأفعال اتّباعاً لهوى النفس، قال تعالى: (إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى) [النجم: ٢٣].

البحث الخامس تحقق البدعة المذمومة

القول الأول: هو كون وقوعها بعد رحيل النبي

ص ٢٧٥

البحث الخامس تحقق البدعة المذمومة

لقد ذكروا في ذلك عدة أقوال، وهي:

القول الأول: هو كون وقوعها بعد رحيل النبي

ذهب صاحب هذا القول إلى أن المقياس والضابط في تمييز البدعة عن السنة، هو القرون الثلاثة الأولى بعد رحيل الرسول، فما حدث فيها فهو سنة، وما حدث بعدها فهو بدعة (١).

قال محمد بن عبد الوهاب:

ومما نحن عليه، أن البدعة - وهي ما حدثت بعد القرون الثلاثة - مذمومة مطلقاً خلافاً لمن قال: حسنة وقبيحة، ولمن قسمها خمسة أقسام، إلا إن أمكن الجمع بأن يقال: الحسن ما عليها السلف الصالح شامله للواجبة والمندوبة والمباحة، وتكون تسميتها بدعة مجازاً، والقبيحة ما عدا ذلك شامله للمحرمة والمكروهة فلا بأس بهذا الجمع (٢).

مناقشة هذا القول:

١- لمن المؤسف جداً أنك تجد المعيار والضوابط في العديد من الأمور لم تكن خاضعة لمعايير شرعية أو عقلانية، وإنما تخضع لأغراض شخصية ونفس تعصبى، فمثلاً- لأجل تبرير فعل هو خاطئ بحسب الموازين الشرعية والضوابط العقلانية، ولكنه صحيح بحسب النوازع الطائفية والتعصبات المذهبية، فنغض الطرف عن تلك الموازين والمعايير ونقول بهذا المعيار الأخير، ولم يكن هو في واقعه معياراً ثابتاً بالدليل، كما يتبين لك من مناقشة هذا القول وتفنيده.

٢- الهدية السنية، الرسالة الثانية، ص ٥١؛ وكذا نقلها: الدرر السنية في الاجوبة النجدية، ج ١، ص ١٥٠.

ص ٢٧٦

أقول: وكما جاء به السبحاني في مناقشة هذه النظرية باعتبارها نظرية الشاذة؛ وذلك لأنها نظرية خاصة استنتجها القائل مما رواه الشيخان في باب فضائل أصحاب النبي ٩ وإليك نصهما (١):

روى البخارى في صحيحه:

سمعت عمران بن الحصين يقول: قال رسول الله: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»، قال عمران: (فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة) ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا- يستشهدون، ويخونون ولا- يؤتمنون، وينذرون ولا- يفون، ويظهر فيهم السمن» (٢).

وروى أيضاً عن عبدالله أن النبي ٩ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته، قال: قال إبراهيم: وكانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار» (٣).

ثم بعد ذلك قام الشيخ السبحاني بمناقشة الاحتجاج بهذه الرواية على أن الميزان في تمييز البدعة عن السنة، هو أن كل ما حدث في القرون الثلاثة الأولى فليس ببدعة، وأما الحادث بعدها فهو بدعة، باطل بوجه:

الأول: إن القرن في اللغة هو النسل، وهو الأئمة بعد الأئمة، وبهذا المعنى استعمل في القرآن الكريم، قال سبحانه: (فَأَهْلَكْنَا هُم بِدُئُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ) [الأنعام: ٦] وبما أن المتعارف في عمر كل نسل هو الستون أو السبعون، يكون المراد، مجموع تلك السنين التي تتراوح بين ١٨٠ و ٢١٠، وأين هذا من تفسير الحديث بثلاثمائة سنة؟! (٤)

الثاني: اختلاف شراح الحديث في تفسير الرواية، فبعض قال: إن المراد من القرن في قوله:

١- أنظر: البدعة، مفهومها، حدها، آثارها، السبحاني، ص ٤٥.

٢- صحيح البخارى، ج ٤، ص ١٨٩.

٣- المصدر السابق.

٤- أنظر: البدعة، مفهومها، حدها، آثارها، ص ٤٥.

ص ٢٧٧

"قرنى" هو أصحابه، ومن "الذين يلونهم" أبناءهم، ومن "الثالث" أبناء أبنائهم.

وقال آخر: بأنّ قرنه ما بقيت عين رأته، ومن الثانى ما بقيت عين رأته من رآه، ثمّ كذلك.

وثالث قال: إنّ قرنه الصحابه، والثانى التابعون، والثالث تابعوهم.

وعلى كلّ تقدير تكون المدة أقل من ثلاثة قرون، حتّى لو أخذنا بالقول الأخير الذى هو أعم الأقوال وأوسعها.

فإنّ آخر من مات من الصحابه هو أبو الطفيل، وقد اختلفوا فى تاريخ وفاته على أقوال: فقيل: إنه توفى سنة ١٢٠هـ أو دونها أو فوقها بقيل (١)، وأما قرن التابعين فأخر من توفى منهم كان عام ١٧٠هـ أو ١٨٠هـ، وآخر من عاش من أتباع التابعين ممن يقبل قوله، قد توفى حدود ٢٢٠هـ، فيقل تاريخ وفاته عن ثلاثة قرون بثمانين سنة، وهذا كثير جدّاً، ولأجل عدم انطباقه على ثلاثة قرون.

قال ابن حجر العسقلانى:

واتفقوا أنّ آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله من عاش إلى حدود العشرين ومائتين وفى هذا الوقت ظهرت البدع فاشياً، وأطلقت المعتزلة ألسنتها، ورفعت الفلاسفة رؤوسها، وامتنح أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن، وتغيّرت الأحوال تغيّراً شديداً ولم يزل الأمر فى نقص إلى الآن (٢).

الثالث: أنّ الملاك فى هذا التقسيم هو أنّ المسلمين كانوا متمسكين جملة واحدة بمعتقد واحد صحيح فى القرون الثلاثة الأولى، ثمّ ظهرت رؤوس الشياطين، ودبّت فيهم المناهج الكلامية الفاسدة، فتاريخ الملل والنحل لا يؤيد ذلك، بل ويكذّبه؛ لأنّ الخوارج ظهوروا بين الثلاثين والأربعين من القرن الأول، وكانت لهم ادّعاءات وشبهات وعقائد سخيّفة خضبوا فى طريقها وجه الأرض، ولم يتم القرن الأوّل إلّا وظهرت المرجئة، الذين دعوا المجتمع الإسلامى إلى التحلل الأخلاقى، رافعين عقيرتهم بأنّه لا تضرر مع الإيمان معصية، فقد ضلوا

١- أنظر: البدعة، مفهومها، حدها، آثارها، ص ٤٥.

٢- فتح البارى شرح صحيح البخارى، ج ٧، ص ٥.

ص ٢٧٨

وأضلوا كثيراً حتى دبَّ الإرجاء بين المحدّثين وغيرهم في القرن الثاني، وقد ذكر أسماءهم جلال الدين السيوطي في تدريب الراوي (١).

القول الثاني: كونها دعوة وإشاعة

يمثل هذا القول محصّلة نتيجتها تقول بأن البدعة هي عبارة عن دعوة للإتيان بالأمر المبتدع في حال كونه يؤدّي إلى إدخال ما ليس من الدين فيه، أو إخراج ما كان من الدين عنه، بمنع ونهي يستوجب المعاقبة لمن لا يلتزم به، بحيث يكون ذلك موجباً لقهر المكلف بالعمل به، وهو مما يوجب نقص الدين الذي جاء لأجل تحقق تكامل الإنسان في مجال العقيدة والشريعة.

ولكن يبقى هناك تساءل بخصوص ما يتعلّق بتطبيق هذه البدعة، وهو هل يتحقق مفهومها بقيام الشخص بذلك العمل وحده في بيته ومنزله، كأن يزيد في صلاته ما ليس فيها أو ينقص منها شيئاً؟ أم أنّ ذلك لا يعدّ بدعة وإن كان عمله باطلاً وبفعله عاصياً، بل يتوقّف تحقق البدعة على إشاعة فكرة خاطئة في العقيدة، أو عمل غير مشروع في المجتمع، ودعوتهم إليه بعنوان أنّه من الشرع؟

والجواب عن هذا السؤال يكمن في الرجوع إلى الآيات والروايات الواردة بهذا الخصوص، وعند استنطاقها يظهر لنا الجواب واضحاً بخصوص هذه المسألة، ونحن إذا رجعنا إليها بخصوص النهي الوارد فيها، وجدناها لا تعدّ العمل الفردي والشخصي بدعة، وإنما البدعة كمفهوم واصطلاح قرآني وديني يتحقق فيما إذا كان الأمر والفعل متعلّقاً بإتيان الأئمة أو جماعة به، كالتى جاءت في وصف عمل المشركين في مجالى التحليل والتحريم، صحيح أنّ بدايتها كانت من قبل شخص واحد دعا إلى العمل بها، ولكنها لا تصير بدعة ما لم تصل هذه الدعوة إلى خيز التطبيق من قبل جماعة ويشيع العمل بها على أنّها من الدين ويجب أو يستحب العمل بها، كالرهبانية التى دعا إليها الرهبان والأجبار، قال سبحانه:

١- أنظر: البدعة، مفهومها، حدها، آثارها، ص ٤٧، نقلاً عن السيوطي في تدريب الراوي، ج ١، ص ٣٢٨.

ص ٢٧٩

(وَرَهَبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا) [الحديد: ٢٧] ومعنى الآية أنهم كانوا ينسبون الرهبانية إلى شريعته المسيح مدعين بأنه هو الذى شرع لهم ذلك العمل، والقرآن يرددهم بقوله: (مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ). وقد حذر المولى تبارك وتعالى وتوعد بالعذاب هذا الصنف من الناس بما يكذبون على الله تعالى، قال سبحانه: (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ تَمَنَّاءَ قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ) [البقرة: ٧٩] فقوله: (هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) صريح فى أنهم كانوا يتدخلون فى الشريعة الإلهية فيعرفون ما ليس من عند الله على أنه من عند الله، وهذا يؤكد بأن الموضوع فى هذه الآية وأمثالها هو البدعة فى الدين لا مطلقها.

وقال تعالى: (وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) [النحل: ١٦] ومن المعلوم أن المشركين كانوا ينسبون الحكمين إلى الله سبحانه، وأنه تعالى قد جعل منه حلالاً وحراماً، فكان عملهم بدعة فى الدين.

كما ويدل على ما ذكرناه من أن البدعة لا تتحقق بالعمل الفردى والشخصى ما لم تكن عملاً جماعياً، ما جاء فى حديث النبى ٩ الذى رواه مسلم فى صحيحه وغيره، حيث جاء فيه أنه قال:

فإنهم يأتون غزاً محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض ألا ليزادن رجال عن حوضى كما يذاد البعير الضال، أناديهم ألا هلم فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول: سحفاً سحفاً (١).

فعبارة (تبديل الدين) دالة على الجمع؛ لأن الدين لا يبدل بمجرد عزوف شخص عنه وتركه إياه للتدين بدين آخر، أو عدم العمل بأحكامه وتشريعاته، بل ذلك يتحقق عندما يكون العمل جماعياً.

إلى هنا خرجنا بنتيجتين:

١- صحيح مسلم، ج ١، ص ١٥١؛ مسند أحمد، ج ٢، ص ٣٠٠؛ صحيح ابن حبان، ج ٣، ص ٣٢٢.

ص ٢٨٠

الأولى: أن مصب البدعة في الأدلة هو الدين والشرع.

الثانية: أن البدعة لا تنفك عن الدعوة إلى الباطل وإشاعته.

والحاصل من جميع ما تقدم بيانه وتوضيحه حول البدعة في هذا الفصل، يتضح أن البدعة لا تنقسم إذا كان متعلقها الشرع والدين إلى أقسام، لما تبين لنا من خلال الآيات والروايات وفلسفة تحريمها، وما توجب هذه البدع من الضلال للأمة الإسلامية وانحرافها عن الصراط السوي، خصوصاً إذا كانت قائمة على أمر ديني مأمور به، فيأتي المبتدع ويقوم بتحريمه بلا دليل على ذلك، وبلا سابق إذن فيه، بحيث يوجب نقصاً في الدين الإسلامي الذي أجهد النبي ٩ نفسه خلال الثلاثة والعشرين سنة من تبليغه وتحكيم قواعده وأسسها وتبيين أحكامه، فما فيه مفسدة على الأمة حرمة، وما فيه مصلحة لكاملها وتكاملها بما يوجب لها السعادة في الدين، أمرها به بحسب درجة المصلحة، فتارة على نحو الوجوب وأخرى على نحو الاستحباب، وما لم يكن فيه هذا ولا ذاك فقد تركه لها مباحاً كشراب الماء مثلاً.

وأما أن نحرم ما لا دليل على حرمة، أو نحلل ما قام الدليل على تحريمه، فهذا هو الابتداع في الدين المنهي عنه، فالبدعة في الدين زيادة أو نقصاً ما لا تستند إلى أصل في الدين فهي ضلالة والضلالة إلى النار، ولأجل هذا الأمر اتفقت الإمامية على تكفير المبتدعين في الدين؛ لأن مثل ذلك من شأنه أن يحرف الأمة عن صراطها المستقيم، فضلاً عن تجاوزه وتعديده للشرع المقدس، وهو محرم. وقبل أن نختم هذا الكتاب رأينا أن ننقل للقارئ العزيز كلمة هادفة معبر ومبينه لمرونة الدين الإسلامي، وكيفية مواكبته للحضارة والمدنية وتلبيته لمتطلبات العصر الحاضر والمستقبل، تبعاً لما يحدث من التطورات العلمية في مجال المعرفة البشرية، اقتبسنا مورد الحاجه منها من كتاب في ظل أصول الإسلام للشيخ جعفر السبحاني (١)، حيث جاء فيه:

١- الدعوة إلى تعليم الأولاد ومكافحة الأمية، ولا شك أن لهذا الأمر الكلي أشكالا

١- راجع: في ظل أصول الإسلام، صص ٥١ - ٥٣.

وأولاً حسب تبدل الحضارات وتكاملها، وقد كان التعليم والكتابة في الظروف السابقة تتحقق بالكتابة بالقصب والحبر، وجلس المتعلم على الأرض في الكتاب، إلا أن ذلك تطوّر الآن إلى حالة جديدة تستخدم فيها الأجهزة المتطورة حيث أصبح الناس يتعلمون عن طريق الإذاعة والتلفزيون والكمبيوتر والأشرطة وإلى غيرها من وسائل التعليم الحديثة.

إنّ الشارع المقدّس لا- يخالف هذا التطوّر، ولا يمنع من استخدام الأجهزة والأساليب الحديثة، إنّما هو أمر بالتعليم والتعلم، وترك اتّخاذ الأساليب إلى الظروف والمقتضيات. ولو أصرّ على اتّخاذ كيفية خاصّة لفشل في هدفه المقدّس، ولفقد مبررات خلوده واستمراره؛ لأنّ الظروف ربما لا تناسب الأداة الخاصة التي يقترحها والكيفية الخاصة التي يحددها.

٢- الحثّ على الإحسان إلى اليتامى والتحنن عليهم وحفظ أموالهم وتربيتهم، غير أنّ هذا الأمر الكلي له ألوان وأساليب مختلفة تجارى مقتضيات كلّ عصر ومصر وإمكاناتهما، فاللازم علينا هو امتثال ما ندب إليه الشرع، وأمّا كفيته فمتروكة إلى أهل كلّ عصر ومصر، ومن أصرّ على أنّ على الشارع تبين خصوصيات الإحسان، فقد جهل بالإسلام ولم يعرف أساس كونه خاتماً؛ إذ لا يكون خاتماً إلا إذا ذكر لبّ الإحسان إلى اليتامى وغيره، وترك الصور والأساليب إلى الناس ومقتضيات الزمان والمكان.

٣- إنّ الصحابة - حسب رواية السنّة - قاموا بجمع آيات القرآن المتفرقة في مصحف واحد ولم يصف أحد منهم هذا العمل بكونه بدعة، وما هذا إلا لأنّ عملهم كان تطبيقاً لقوله سبحانه: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر: ٩] فعملهم في الواقع كان تطبيقاً عملياً لنصوص شرعية من الكتاب والسنّة، وقد جرى المسلمون على ذلك المنوال في مجال الاهتمام بالقرآن من كتابته وتنقيطه، وإعراب كلمه وجمله، وعدّ آياته وتمييزها بالنقاط الحمراء، وأخيراً طباعته ونشره، وتشجيع حفاظه وقراءته، وتكريمهم في احتفالات خاصّة، إلى غير ذلك من الأمور التي يعتبر كلّها دعماً لحفظ القرآن وتثبيتته وبقائه، وإن لم يفعله رسول الله ولا أصحابه ولا التابعون، إذ يكفينا وجود أصل له في الأدلة.

٤- إنّ الدفاع عن بيضة الإسلام وحفظ استقلاله وصيانة حدوده من الأعداء أصل

ثابت في القرآن الكريم، قال سبحانه: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) [الأنفال: ٦٠].
 وأما كيفية الدفاع ونوعية السلاح وشكل الخدمة العسكرية المتبعة في كل عصر ومصر فهو برمته تطبيق لهذا المبدأ وتجسيد لهذا الأصل، فالتسلح بالغواصات والأساطيل البحرية والطائرات المقاتلة إلى غير ذلك من أدوات الدفاع ليس بدعة بل تجسيد لهذا الأصل، ومن حلاله أن يرمى التجنيد العسكري بأنه بدعة، يكون ممن غفل عن حقيقة الحال وجهل بأن الإسلام يأمر بالأصل، ويترك الصور والأشكال لمقتضيات العصور.
 ويترتب على هذا الأصل أمور:

- ١- إذا كانت الشريعة الإسلامية شريعة خاتمة، وكتابه كتاباً خاتماً، ونبوته نبوة خاتمة، وإذا كان باب الوحي ونزول الشرائع من السماء إلى الأرض قد أغلق بوفاء رسول الإسلام ٩ وهو كذلك يقيناً، وإذا كان ليس للبشرية شريعة إلا هذه الشريعة إلى يوم القيامة فيجب أن تتمتع هذه الشريعة بمرونة خاصة حتى يتقبلها جميع شعوب العالم بيسر ورغبة، ومن المرونة هذه أن لا يخالف الإسلام تقاليد الشعوب وآدابها، ولا يعارض أعرافها ومواضعاتها، إذا لم يكن فيها حرام بالذات، وإذا لم يقوموا بها بما أنها أمور بها من جانب الله سبحانه، وبما أنها من الدين، وإنما يقومون بها كرمز أصالتهم وحضارتهم وشارة سلفهم مع كونه غير محرّم.
 وتؤكد مرة أخرى أن هذه المراسم والأعمال إنما لا يعارضها الإسلام إذا لم تكن أموراً محرّمة بالذات، أو لم يقارنها حرام كاختلاط النساء بالرجال، أو الاستعانة بالآلات المحرّمة إلى غير ذلك.
- وإنما تفسّى الإسلام بين الشعوب وانتشر بين الأمم بسرعة هائلة؛ لأجل أنه لم يعارض أعرافهم المحللة المعقولة، ولم يخالفها، وإنما اكتفى بأن طالبهم بالإيمان بأصوله وفروعه، والإتيان بالواجبات، واجتناب المحرّمات، وإصلاح الأخلاق.
- ٢- الاحتفال بمواليد الأنبياء والأئمة والصالحين الذين لهج الكتاب والسنة بمدحهم وفضلهم من هذه الأعراف والماراسم التي لا يعارضها الإسلام، فليس لنا رميها بصفة

"البدعة؟" لما عرفت من أنّ البدعة هو العمل الذي لم يرد بشأنه نص في الكتاب والسنة، ويؤتى به على أساس أنّه من الدين. فقد أمر الكتاب والسنة بحبّ النبي وودّه أوّلاً، وتوقيره وتكريمه ثانياً، وحثّ عليهما في الشريعة، وستتعرف على دلائل لزوم حبّه كما ستتعرف على لزوم تكريمه وتوقيره، وعلى ذلك فلو احتفل المسلمون منذ قرون، ولا يعلم مبدأ تلك الاحتفالات إلا الله سبحانه، فإنّهم لم يريدوا بفعلهم ذلك أن يدخلوا في الدين ما ليس منه، بل أرادوا أن يعبروا عن حبّهم ووفائهم للنبي ويجسّدوا توقيرهم وتكريمهم له، وبذلك تقف على قيمة قول الكاتب المعاصر محمّد حامد الفقى حين يقول في تعليقه على فتح المجيد: الذكريات التي ملأت البلاد باسم الأولياء هي نوع من العبادة لهم وتعظيمهم، وكيف أنه قد تجافى عن الحقيقة في قوله هذه؟!

فقد عرفت أنّ الوارد في الأدلة هو الأصول، وأمّا الصور والأشكال فمكولة إلى الأزمنة واختلاف الحضارات والأعراف، وهو أمر جار في مسألة الاحتفال بمواليد الأنبياء والأئمة الكرام، فإنّ الكتاب والسنة حثّ على أصل الحبّ والمودّة لهم وترك بيان نوعيّة التعبير عن هذه المودّة والحبّ، ليقوم كلّ بإظهار هذا الحبّ والودّ، والقيام بهذا التوقير والتعزير بطريقته المتّبعة ما لم يكن العمل الذي به يقوم في هذا المضمار حراماً بذاته أو مقروناً بأمر حرام.

والعجب أن نسمع بعض الإذاعات - رغم وضوح هذا الأصل - وهي تنقل أحاديث بعض العلماء وهم يهاجمون الاحتفال بمولد رسول الله ويشجبونه، لا بما أنّه يشتمل على محرّم أو منكر، بل لعدّ نفس العمل بدعة، فتنتابنا الدهشة كيف لا يفرّق هؤلاء بين "البدعة" و"السنة"! وهل التظاهر بمحبّة النبي، وإبداء مودّته في ممارسات مباحة ذاتاً بدعة؟! أو أنّ توقيره وتكريمه وترفيعه إثم، وقد حثّ عليهما الكتاب والسنة؟

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا ونبيّنا خاتم الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمّد وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين من الأولين والآخرين.

ص ٢٨٥

* القرآن الكريم

١. ابن القرية والكتاب، الدكتور يوسف القرضاوى، الطبعة الأولى، دار الشروق، مصر، ١٤٢٣ هـ .
٢. ابن تيمية (حياته وعقائده وموقفه من الشيعة وأهل البيت)، صائب عبدالحميد، الطبعة الأولى، نشر دارالغدير، بيروت ١٤١٥ هـ .
٣. الثقات، محمّد بن حبان بن أحمد، الطبعة الأولى، مطبوعات دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٣ هـ .
٤. أجوبة الاستفتاءات، السيد على الخامنئى، الطبعة الأولى، دار النبأ للنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ .
٥. الاحتجاج، أحمد بن على الطبرسى، مطابع النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٦ هـ .
٦. أخطاء ابن تيمية فى حق رسول الله ٩ وأهل بيته، الدكتور السيد محمود صبيح المصرى، الطبعة الأولى، دار الركن والمقام لسنة ٢٠٠٣ هـ . والطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ .
٧. إرشاد السائل، محمّد رضا الكپايگانى، الطبعة الأولى، دار الصفوة، بيروت، ١٤١٣ هـ .
٨. الإرشاد، الإمام عبدالملك الجوينى، مكتبة الخانجى، مصر. [بى تا]
٩. الاستيعاب، يوسف أحمد بن عبدالله بن محمّد أحمد بن عبدالبر، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢ هـ .

١٠. إسلامنا فى التوفيق بين السنه والشيعه، مصطفى الرفعى، الطبعة الثانية، الدار الإسلامية، بيروت، ١٤١٢هـ .
١١. أسنى المطالب فى مناقب سيدنا على بن أبى طالب، شمس الدين أبوالخير الدمشقى الجزرى، ايران، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ .
١٢. الاشفاق فى أحكام الطلاق، محمد زاهد الكوثرى، الطبعة الأولى، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ .
١٣. الإصابة فى تمييز الصحابة، أحمد بن على بن حجر العسقلانى، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ .
١٤. أصل الشيعة وأصولها، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، الطبعة الأولى، مؤسسة الإمام على، ٧، ١٤١٥هـ .
١٥. اعتراضات على ابن تيمية فى علم الكلام، أحمد بن إبراهيم السروطى الحنفى معجم المؤلفين، ١٤٠١هـ .
١٦. الاعتقادات، الشيخ محمد بن على بن الحسين الصدوق، دار المفيد للطباعة والنشر وطبعة المطبعة العلمية، قم، ١٤١٢هـ .
١٧. الأعلام، خير الدين الزركلى، الطبعة الخامسة، دار الملايين، بيروت، ١٩٨٠م.
١٨. الإفصاح، الشيخ محمد بن محمد بن نعمان المفيد، الطبعة الثانية، دارالمفيد للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٤هـ .
١٩. الاقتصاد فى الاعتقاد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالى، دارالكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٣هـ ، بيروت وطبعة دارالهلال، ١٩٩٣م.
٢٠. الاقتصاد، الشيخ محمد بن الحسن الطوسى، منشورات مكتبة جامع جهلستون، طهران، ١٤٠٠هـ .
٢١. إكمال المنه فى نقض منهاج السنه، سراج الدين حسن بن عيسى الكهنوى.
٢٢. آلاء الرحمن، العلامة محمد جواد البلاغى، المكتبة الحيدريه، الطبعة الأولى.

ص ٢٨٧

٢٣. أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، حققه وعلق عليه: الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، ١٣٩٤هـ.
٢٤. الإنصاف والأتصاف لأهل الحق من الإسراف، تقي الدين أبي بكر بن أحمد الحصني، مخطوط سنة ٧٥٧، نسخة منه في مكتبة الامام الرضا، مشهد.
٢٥. أوائل المقالات، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد، الطبعة الثانية، نشر دار المفيد للطباعة والنشر، ١٤١٤هـ.
٢٦. البداية والنهاية، ابن كثير، الطبعة الأولى، نشر دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ.
٢٧. البدر الطالع، محمد بن علي الشوكاني، الطبعة الأولى، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.
٢٨. البراهين الساطعة في رد بعض البدع الشائعة، سلامة القضاعي، الطبعة الأولى، بيروت.
٢٩. البرهان الجلي، أحمد الغماري، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٨٩هـ.
٣٠. البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الخوئي، الطبعة الرابعة، نشر دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٣٩٥هـ.
٣١. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي، نشر دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.
٣٢. تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد الذهبي، الطبعة الثانية، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.
٣٣. تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، محمد بن جرير الطبري، الطبعة الرابعة، نشر مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٤٠٣هـ.
٣٤. تاريخ الثقات، أحمد بن عبدالله العجلي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٣٥. التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري، نشر المكتبة الإسلامية، ديار بكر.
٣٦. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ.

٣٧. تاريخ مدينة دمشق، على بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ.
٣٨. تاريخ نجد، حسين بن غنام الأحسائي، الطبعة الأولى، دار الشروق، ١٩٨٥ م.
٣٩. التبيان في تفسير القرآن، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٩ هـ.
٤٠. تذكرة الحفاظ، أبو عبدالله شمس الدين الذهبي، الطبعة الأولى، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤١. تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي، الطبعة الأولى، النجف الأشرف، ١٣٨٣ هـ.ق.
٤٢. تصحيح المفاهيم العقديّة، الدكتور عيسى الحميري، الطبعة الأولى، دارالسلام، مصر، ١٤١٩ هـ.
٤٣. تطهير الفؤاد، محمد بخيت المطيعي، نشر مكتبة أشيق، تركيا، ١٣٩٧ هـ.
٤٤. تفسير ابن أبي حاتم الرازي، محمد بن إدريس الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الطبعة الأولى، نشر المكتبة العصرية، بيروت.
٤٥. تفسير ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٤١٢ هـ.
٤٦. تفسير الآلوسي (روح المعاني)، شهاب الدين السيد محمود البغدادي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٧. تفسير السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد الشافعي، الطبعة الأولى، نشر دار الوطن الرياض، ١٤١٨ هـ.
٤٨. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٢ هـ.
٤٩. تفسير القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥ هـ.
٥٠. تفسير القمي، على بن إبراهيم القمي، صححه وعلق عليه وقدم له: السيد طيب الموسوي الجزائري، الطبعة الثالثة، قم، ١٤٠٤ هـ.

٥١. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، فخر الدين بن الخطيب الرازي، دارالفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٥م.
٥٢. تفسير مجمع البيان، الفضل بن الحسن الطبرسي، حققه وعلّق عليه: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، قدّم له الإمام الأكبر السيد محسن الأمين العاملي، الطبعة الأولى، منشورات مؤسسه الأعلمی للمطبوعات بيروت، ١٤١٥هـ .
٥٣. تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، الطبعة الثانية، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ .
٥٤. تكملة السيف الصقيل، محمّد زاهد الكوثري، الطبعة الأولى، دمشق.
٥٥. تناقضات الألباني، حسن بن علي السقاف، الطبعة الرابعة، نشر دار الإمام النووي، ١٤١٢هـ .
٥٦. تنزيه الشيعة الاثني عشرية عن الشبهات الواهية، أبو طالب التجليل، قم، الحوزة العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ .
٥٧. تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي، دارالمعرفة، بيروت، الطبعة الأولى.
٥٨. تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٣هـ .
٥٩. تهذيب الكمال، يوسف المزني، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ .
٦٠. التوحيد، أبو جعفر محمّد علي بن الحسين بن بابويه القمي، صححه وعلّق عليه: السيد هاشم الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرسين، قم المقدّسة.
٦١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري، قدّم له الشيخ خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ .
٦٢. الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

ص ٢٩٠

٦٣. جامع كرامات الأولياء، يوسف النبهاني اليمني، الطبعة الأولى، نشر دارالفكر، بيروت.
٦٤. جريدة (اللواء اللبنانية)، بتاريخ ٧ / ٧ / ١٩٩٣م.
٦٥. جريدة الرياض، تصدر في السعودية، العدد ٤، ربيع الأول، ١٤١٨هـ.
٦٦. حاشية رد المحتار، محمد أمين المعروف بابن عابدين، الطبعة الأولى، نشر دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.
٦٧. حاشية على تفسير الجلالين، أحمد بن محمد الصاوي المالكي، الطبعة الأولى، بيروت.
٦٨. حاشية مجمع الفائدة والبرهان، محمد باقر الوحيد البهبهاني، تحقيق ونشر مؤسسة العلامة المجدد الوحيد البهبهاني، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
٦٩. الحقائق الإسلامية في الرد على مزاعم الوهابية، مالك ابن الشيخ داود، طبعه مصر، ١٣٠٤هـ.
٧٠. حقائق الإيمان، زين الدين بن علي بن أحمد العاملي، إشراف: السيد محمود المرعشي، تحقيق، السيد مهدي الرجائي، الطبعة الأولى، نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة، قم المقدسة، ١٤٠٩هـ.
٧١. منتهى المطلب، العلامة الحسن بن يوسف الحلبي، تحقيق: قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية، الطبعة الأولى، نشر مجمع البحوث الإسلامية، إيران مشهد، ١٤١٢هـ.
٧٢. حلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني، نشر دار الفكر، بيروت.
٧٣. حوار هادي، محاضرة لعبدالله بن سعيد الجنيد، طبعت تحت عنوان (حوار هادي بين السنة والشيعة).
٧٤. حياة الإمام العسكري، العلامة محمد باقر القرشي، دارالكتاب الاسلامي، الطبعة الأولى.
٧٥. خصائص أمير المؤمنين، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي الشافعي، حققه وصحح أسانيده ووضح فهارسه: محمد هادي الأميني، نشر مكتبة نينوى الحديثية، طهران.

ص ٢٩١

٧٦. خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام، أحمد زين الدين دحلان الشافعى، مصر، مطبعة القاهرة، الطبعة الأولى، وطبعة استانبول سنة ١٩٨٦م.
٧٧. خير الحجّة فى الردّ على ابن تيمية فى العقائد، أحمد بن حسين بن جبرئيل شهاب الدين الشافعى هدية العارفين.
٧٨. الدر المنثور فى التفسير بالمأثور، الإمام جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر السيوطى، الطبعة الأولى نشر دار الفكر - بيروت.
٧٩. الدرّة المضيئة فى الردّ على ابن تيمية، على بن عبد الكافى شيخ الإسلام التقى السبكى، الطبعة الأولى، بدون نشر و تاريخ.
٨٠. الدرّة المضيئة فى الردّ على ابن تيمية، محمّد بن على الشافعى الدمشقى (المعروف بابن الزملكانى)، بدون نشر و تاريخ.
٨١. الدرر السنية فى الردّ على الوهابية، السيد أحمد بن زينى دحلان، طبعه حسين حلمى، إسلامبول، ١٩٧٦م.
٨٢. الدرر الكامنة، ابن حجر العسقلانى، نشر دار الجيل، بيروت، ١٤١٤هـ .
٨٣. دعوى المناوئين، الدكتور عبدالعزيز العبد اللطيف، الطبعة الأولى، طبعه دار الوطن، ١٤١٢هـ .
٨٤. دفاع عن العقيدة، محمّد الغزالى، الطبعة الرابعة، نشر دارالكتب الحديثه، القاهرة، ١٣٩٥هـ .
٨٥. دفع شبهة من شبه وتمرد، أبو بكر الحصنى الدمشقى، داراحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٥٠هـ .
٨٦. الدواء العاجل فى دفع العدو الصائل، القاضى محمّد بن على بن محمّد الشوكانى اليمنى، تحقيق: حامد الفقى، طبع ونشر مكتبة السنة المحمدية.
٨٧. ذخائر العقبى، الحافظ محب الدين أحمد بن عبدالله الطبرى، الطبعة الأولى، نشر مكتبة القدسى لصاحبها حسام الدين القدسى.

ص ٢٩٢

٨٨. ذخيرة المعاد، العلامة المحقق ملا محمد باقر السبزواري، نشر مؤسسة آل البيت: لإحياء التراث، قم المقدسة.
٨٩. رأس الحسين، أبو العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحراني، نشر دارالكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.
٩٠. الردّ على ابن تيمية في الاعتقادات، محمد حميد الدين الحنفي الفرغاني، معجم المؤلفين، الطبعة الأولى.
٩١. الردّ على ابن تيمية في مسألة الطلاق، عيسى بن مسعود المنكلاني، معجم المؤلفين، الطبعة الأولى.
٩٢. الردّ على الشيخ ابن تيمية، نجم الدين بن أبي الدر البغدادي، دارالفكر، بيروت، الطبعة الأولى.
٩٣. الردّ على الشيخ راشد الغنوشي، جلال علي عامر، بيروت، الطبعة الأولى.
٩٤. رسائل الجاحظ، جمع ونشر حسن السندوبي، الطبعة الأولى، مصر، ١٩٣٣ م.
٩٥. رسائل المرتضى، الشريف المرتضى، تقديم: السيد أحمد الحسيني إعداد: السيد مهدي الرجائي، نشر: دار القرآن الكريم، قم، ١٤٠٥ هـ..
٩٦. رسالة في الردّ على ابن تيمية في التجسيم والاستواء والجهة، شهاب الدين أحمد بن يحيى الكلابي الحلبي.
٩٧. رسالة في الردّ على ابن تيمية في الطلاق، محمد بن علي المازني، معجم المؤلفين.
٩٨. رسالة في مسألة الزيارة، محمد بن علي المازني، معجم المؤلفين.
٩٩. رفع المنارة، سعيد ممدوح، الطبعة الأولى، تحقيق ونشر: دار الإمام النووي، ١٤١٦ هـ.
١٠٠. الروضة، أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي، الطبعة الأولى، بيروت.
١٠١. زهر الريحان، حسن بن علي السقاف، طبع ونشر دار الإمام الرواس، بيروت.
١٠٢. السحب الوايلة على ضرائح الحنابلة، للعلامة محمد بن حمد المكي، مخطوط.
١٠٣. سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، طبع ونشر مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥ هـ.

ص ٢٩٣

١٠٤. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، محمد ناصر الألباني، نشر المكتبة الإسلامية.
١٠٥. السلفية بين أهل السنة والإمامية، السيد محمد الكثيري، الطبعة الأولى، نشر مركز الغدير، بيروت، ١٤١٨ هـ.
١٠٦. سمير الصالحين، عبدالله الغماري، الطبعة الأولى، مكتبة القاهرة، مصر، ١٣٨٨ هـ.
١٠٧. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبدالباقي، نشر دارالفكر، للطباعة والنشر والتوزيع، بدون تاريخ.
١٠٨. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، حققه وصححه: عبدالوهاب عبداللطيف، الطبعة الثانية، نشر دارالفكر للطباعة والنشر، ١٤٠٣ هـ.
١٠٩. سنن الدارمي، عبدالله بن بهرام، طبع بعناية محمد أحمد دهمان، دمشق، ١٣٤٩ هـ.
١١٠. السنن الكبرى، أحمد بن شعيب بن علي النسائي، الطبعة الأولى، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ١٣٤٨ هـ.
١١١. سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، هامش وتعليق: شعيب الأرنؤوط، بيروت.
١١٢. شبهات وردود، سامي البدري، نشر حبيب، الطبعة الثانية، مركز التوزيع مكتبة سعيد بن جبير، ١٤١٧ هـ.
١١٣. شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، الطبعة الأولى، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ.
١١٤. شرائع الإسلام، المحقق أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الحلبي، انتشارات استقلال طهران، الطبعة الثانية، ١٤٠٩ هـ.
١١٥. شرح أصول الكافي، المولى محمد صالح المازندراني، الطبعة الأولى، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢١ هـ.
١١٦. شرح حديث النزول، ابن تيمية، الطبعة الأولى، طبع ونشر دارالعاصم.
١١٧. شرح ظلمات الصوفية والرد على ابن تيمية، محمود غراب مخطوط.
١١٨. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧٨ هـ.

ص ٢٩٤

١١٩. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، أبو الفضل القاضي عياض، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٩ هـ .
١٢٠. شفاء السقام في زيارة خير الأنام (عليه الصلاة والسلام)، تقى الدين السبكي، دار جوامع الكلم، مصر.
١٢١. شمس الحقيقة والبداية على أهل الضلالة والغواية، أحمد على أبو المنى مخطوط.
١٢٢. شواهد التنزيل، الحافظ عبيد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني، تحقيق وتعليق: الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى، نشر مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي مجمع احياء الثقافة الإسلامية، ١٤١١ هـ .
١٢٣. شواهد الحق بالاستغاثة بسيد الخلق ٩، يوسف النبهاني، قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست حسين حلمي بن سعيد استانبولي، ١٩٨٤ م.
١٢٤. الشيعة في الميزان، محمد جواد مغنية، الطبعة الرابعة، نشر دار التعارف، بيروت، ١٣٩٩ هـ .
١٢٥. الصحبة و الصحابة، حسن المالكي، الطبعة الأولى، نشر مركز الدراسات، الأردن، ١٤٢٢ هـ .
١٢٦. صحيح ابن حبان، ابن حبان السبتي، الطبعة الثانية، نشر مؤسسة الرسالة، ١٤١٤ هـ .
١٢٧. صحيح الجامع الصغير، محمد ناصر الألباني، الطبعة الثالثة، نشر المكتب الإسلامي، دمشق، ١٤٠٨ هـ .
١٢٨. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، الطبعة الأولى، نشر دار الفكر، بيروت.
١٢٩. الصحيفة الصهيونية، يديعوت أحرونوت بالإنجليزية (١٧/٠٧/٢٠٠٦ م).
١٣٠. صراط النجاة، الميرزا جواد التبريزي، دفتر نشر برگزیده ١٤١٦ هـ .
١٣١. الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية، سليمان بن عبد الوهاب، الطبعة الأولى، ١٣٠٦ هـ .

١٣٢. الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمي، نشر دارالكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ .
١٣٣. ضحى الإسلام، أحمد أمين، نشر دارالكتاب العربي، الطبعة الأولى، بيروت.
١٣٤. الطهارة، أبو القاسم الخوئي، نشر دارالهادى للمطبوعات، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ .
١٣٥. الطهارة، روح الله الإمام الخميني، الطبعة الأولى مطبعة مهر، قم المقدسة.
١٣٦. ظاهرة التكفير عند الإمامية، عبدالرحمن سعيد دمشقية، نشر مكتبة الرضوان، مصر، ١٤٢٦هـ .
١٣٧. عبد الله بن سبأ، العلامة مرتضى العسكري، الطبعة السادسة المصححة، ١٩٩٢م.
١٣٨. العبر في أخبار من غير، شمس الدين الذهبي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٤٨هـ .
١٣٩. العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل، محمد بن عقيل الحضرمي، الطبعة الأولى، دار الإمام النووي، الأردن، ١٤٢٥هـ .
١٤٠. عقائد الإمامية، الشيخ العلامة محمد رضا المظفر، انتشارات أنصاريان، قم.
١٤١. على النشار، نشأة الفكر الفلسفي، الطبعة الثامنة، دار المعارف، القاهرة.
١٤٢. على وبنوه، الدكتور طه حسين، دارالمعارف، القاهرة.
١٤٣. غاية التبجيل، محمود سعيد بن ممدوح الشافعي، الطبعة الأولى، مكتبة الفقيه، أبو ظبي، ١٤٢٥هـ .
١٤٤. الفتاوى، ابن باز، الطبعة الثانية، الإدارة العامة للطبع والترجمة، ١٤١١هـ .
١٤٥. فتاوى الألباني، جمع عكاشة عبدالمنان، نشر مكتبة التراث الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ .
١٤٦. الفتاوى الحديثية، ابن حجر الهيتمي، الطبعة الثالثة، مصر، ١٣٠٧هـ .
١٤٧. الفتاوى السهمية في ابن تيمية، أجاب عنها جماعة من العلماء، بدون نشر و تاريخ.
١٤٨. الفتاوى الهندية، طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦هـ .
١٤٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، الطبعة الثانية، نشر دار المعرفة، بيروت.

ص ٢٩٦

١٥٠. الفتح الرباني، عبد الغني النابلسي، الطبعة الأولى، بيروت.

١٥١. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، دار الندوة الجديدة، بيروت.

١٥٢. فتح الملك العلي، أحمد بن محمد الغماري، مكتبة اميرالمؤمنين، اصفهان، الطبعة

الأولى.

١٥٣. الفتنة الكبرى في الرد على الوهابية، أحمد بن زيني دحلان مفتي مكة، بدون نشر و تاريخ.

١٥٤. الفتنة الكبرى، الأستاذ طه حسين، الطبعة الأولى، دارالمعارف، مصر، ١٩٥٣م.

١٥٥. الفتوح، ابن أعثم الكوفي، تحقيق: علي شيري، الطبعة الأولى، نشر دار الأضواء، بيروت، ١٤١١هـ .

١٥٦. الفتاوى الكبرى، ابن تيمية الحراني، الطبعة الأولى، نشر دار المعرفة، بيروت.

١٥٧. فرائد السمطين، الحمويني، نشر مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر، قم.

١٥٨. الفرق بين الفرق، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر الخطيب البغدادي، الطبعة الأولى، مصر.

١٥٩. فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان، سلامة القضاء العزامي، دارإحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى.

١٦٠. الفصول المهمة في تأليف الأئمة، السيد عبد الحسين شرف الدين، الطبعة الأولى، بيروت، دارالزهراء ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، الطبعة

الثالثة عام ١٣٧٥هـ ، مكتبة النجاح، النجف الاشرف.

١٦١. الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة، ابن الصباغ المالكي، الطبعة الثانية، نشر دار الأضواء، بيروت.

١٦٢. فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل، الطبعة الأولى، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ .

ص ٢٩٧

١٦٣. فقه القرآن، قطب الدين الراوندى، الطبعة الثانية، نشر مكتبة آية الله العظمى النجفى المرعشى، قم، ١٤٠٥ هـ .

١٦٤. الفقه على المذاهب الأربعة، عبدالرحمن الجزيرى، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربى، بيروت.

١٦٥. فى أدب مصر الفاطمية: محمّد كامل حسين، الطبعة الأولى، دار الفكر العربى،

١٩٧٠م.

١٦٦. فى سبيل الوحدة الإسلامية، عبد الفتاح عبد المقصود، الطبعة الأولى، مصر.

١٦٧. فيض التقدير فى شرح الجامع الصغير، محمّد عبد الرؤوف المناوى، ضبطه وصححه: أحمد عبدالسلام، الطبعة الأولى، نشر

دارالكتب العلمية بيروت، ١٤١٥ هـ.

١٦٨. تفسير الصافى، محسن الفيض الكاشانى، الطبعة الثانية، مكتبة الصدر، طهران، ١٤١٦ هـ .

١٦٩. قراءة فى كتب العقائد، حسن المالكى، الطبعة الأولى، مركز الدراسات، الأردن، ١٤٢١ هـ .

١٧٠. القول الفصل فيما لبنى هاشم من الفضل، السيد علوى بن طاهر، طبع أفريقيا.

١٧١. القول المقنع فى الردّ على الألبانى المبتدع، الحافظ ابن صديق المغربى، الطبعة الأولى، طنجة، سنة ١٩٨٦م.

١٧٢. الكاشف، محمّد بن أحمد الذهبى، مطبوع ضمن كتاب تقريب التهذيب، الطبعة الأولى، بيت الأفكار الدولية.

١٧٣. الكافى، الشيخ محمّد بن يعقوب الكلينى، الطبعة الثالثة، دارالكتب الإسلامية.

١٧٤. الكامل فى التاريخ، أبو الحسن على بن أبى الكرم المعروف بابن الأثير، دار صادر، بيروت، ١٣٨٥ هـ .

١٧٥. الكامل فى ضعفاء الرجال، عبدالله بن عدى، الطبعة الثالثة، دارالفكر، بيروت، ١٤٠٩ هـ .

ص ٢٩٨

١٧٦. كتاب السنّة، عمرو بن أبي عاصم، حققه: محمّد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٣ هـ .
١٧٧. كشف الارتباب في أتباع محمّد بن عبد الوهاب، محسن الأمين، الطبعة الثانية، ١٩٥٢ م.
١٧٨. كفاية الأحكام، المحقق محمّد باقر السبزواري، الطبعة الأولى، مؤسسة النشر الإسلامي.
١٧٩. كنوز الحقائق، المناوي، المطبوع في هامش الجامع الصغير.
١٨٠. لسان الميزان، أحمد بن حجر العسقلاني، الطبعة الثالثة، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠٦ هـ .
١٨١. مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، الطبعة الأولى، دارالملايين، بيروت.
١٨٢. مجلة رسالة الثقلين، العدد ٢، سنة ١٤١٣ هـ .
١٨٣. مجمع البيان، الفضل بن الحسن الطبرسي، حققه وعلّق عليه: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين قدّم له الإمام الأكبر السيّد محسن الأمين العاملي، الطبعة الأولى، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٥ هـ .
١٨٤. مجموع رسائل السقاف، حسن السقاف، دارالرازي، الأردن.
١٨٥. مجموعة الرسائل، للشيخ لطف الله الصافي، الطبعة الأولى، طبعة دارالقرآن، قم المقدسة.
١٨٦. مفتاح دار السعادة، ابن القيم الجوزية، نشر دار العلم، بيروت، ١٤١٩ هـ .
١٨٧. ملحق البراهين الجلية في الردّ على الوهابية، السيّد المرتضى الرضوي، الطبعة ١٤١٠ هـ ، وأعيد طبعه في إيران باعداد مركز الابحاث العقائديه، قم المقدسة.
١٨٨. مختصر التحفة الاثني عشرية، عبد العزيز الدهلوي، الطبعة الأولى، الرياض السعودية، ١٤٠٤ هـ .

ص ٢٩٩

١٨٩. مدارك الأحكام، السيد محمد بن علي العاملي، تحقيق مؤسسة آل البيت: لإحياء التراث، الطبعة الأولى، مشهد المقدسة، ١٤١٠هـ.
١٩٠. مدينة المعاجز، السيد هاشم بن سليمان البحراني. تحقيق: الشيخ عزت الله المولائي الهمداني، الطبعة الأولى، مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤١٣هـ.
١٩١. مرآة الجنان وعبرة اليقظان، عبدالله بن أسعد اليافعي، الطبعة الثانية، دارالكتاب الاسلامي، القاهرة، ١٤١٣هـ.
١٩٢. المسائل السروية، الشيخ محمد بن محمد المفيد، تحقيق: صائب عبدالحميد، الطبعة الثانية، دار المفيد للطباعة والنشر، ١٤١٤هـ.
١٩٣. المسائل المنتخبة، السيد علي السيستاني، نشر مكتب آيت الله السيستاني، الطبعة الأولى، إيران.
١٩٤. مسالك الأفهام، الشهيد الثاني زين الدين بن علي العاملي، الطبعة الأولى، مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤١٣هـ.
١٩٥. المستدرک على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، بتلخيص الذهبي في هامش الكتاب.
١٩٦. مستدرکات علم رجال الحديث، علي النمازي الشاهرودي، الطبعة الأولى، الناشر: ابن المؤلف، طهران، ١٤١٢هـ.
١٩٧. مسند أبي يعلى الموصلي، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن المثنى التميمي، حققه وخرّج أحاديثه: حسين سليم أسد، نشر دار المأمون للتراث، دمشق.
١٩٨. مسند أحمد بن حنبل، احمد بن حنبل الطبعة الأولى، نشر دارصادر بيروت.
١٩٩. المصطلحات، إعداد مركز المعجم الفقهي، الطبعة الأولى.
٢٠٠. مطالب السؤل في مناقب الرسول، كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي، تحقيق: ماجد أحمد العطي، الطبعة الأولى، دار الفكر.
٢٠١. معارج القبول، حافظ حكيم، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية.
٢٠٢. المعجم الأوسط، الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، حققه: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد أبو الفضل عبد الحسن بن إبراهيم الحسيني، نشر دار الحرمين.

ص ٣٠٠

٢٠٣. معجم البلدان، الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ.
٢٠٤. المعجم الكبير، الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، حققه وخرّج أحاديثه حمدي عبدالمجيد السلفي، الطبعة الثانية، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٠٥. معرفة الرواة، الذهبي، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ.
٢٠٦. المعيار والموازنة في فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، أبو جعفر محمّد بن عبدالله الإسكافي المعتزلي، تحقيق: الشيخ محمّد باقر المحمودي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ .
٢٠٧. المقالة المرضية في الردّ على ابن تيمية، قاضي قضاء المالكية تقي الدين ابن عبدالله محمود الإقناعي، مطبعة مصر، الطبعة الأولى.
٢٠٨. مقتل الحسين، أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي أخطب خوارزم، تحقيق: الشيخ محمّد السماوي، مكتبة المفيد - قم.
٢٠٩. التوفيق الرباني في الردّ على ابن تيمية الحراني، جماعة من العلماء، الطبعة الأولى.
٢١٠. مقدّمة الرسائل السبكية، كمال أبو المنى، الطبعة الأولى.
٢١١. الملل والنحل، عبدالكريم الشهرستاني، تحقيق: محمّد سيد كيلاني، دارالمعرفة، بيروت.
٢١٢. الملل والنحل، ابن حزم الظاهري، نشر دارالمعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ .
٢١٣. المناقب، ابن المغازلي، إعداد: محمّد باقر البهودي، الطبعة الثانية، دارالكتب الإسلامية، طهران، ١٤٠٢هـ .
٢١٤. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، الطبعة الأولى، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ .
٢١٥. المنتقى من روائع فتاوى المنار، عزالدين بليق، الطبعة الثانية.
٢١٦. المنتظم في التاريخ، ابن الجوزي، الطبعة الثانية، نشر دارالكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥هـ .

ص ٣٠١

٢١٧. منهاج السنه، عبدالحليم أحمد بن تيمية، مؤسسه قرطبه، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ .
٢١٨. منهاج الصالحين، السيد سعيد الحكيم، الطبعة الأولى، دار الصفوة بيروت، ١٤١٥هـ .
٢١٩. منهاج الصالحين، السيد على السيستاني، الطبعة الأولى، نشر مكتب آية الله العظمى السيد السيستاني، قم المقدسه، ١٤٢٠هـ .
٢٢٠. المنهاج القويم، شرح شهاب الدين ابن حجر الهيتمي على المقدمة الحضرمية، الأنصاري.
٢٢١. موسوعة الغدير، للعلامة عبدالحسين أحمد الأميني النجفي، الطبعة الرابعة، دارالكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
٢٢٢. موقع دبي، الإمارات العربية المتحدة التابع لـ (٢٠٠٦/ ٠٦/ ٢٨) CNNم.
٢٢٣. ميزان الاعتدال، الذهبي، الطبعة الأولى، دارالفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ .
٢٢٤. نجم المهتدين برجم المعتدين، الفخر بن المعلم، القريشي، الطبعة الثانية.
٢٢٥. النصائح الكافية لمن يتولّى معاوية، محمّد بن عقيل بن عبدالله بن عمر ابن يحيى العلوي، الطبعة الأولى، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٤١٢هـ .
٢٢٦. نظرات في الكتب الخالدة، حامد حفني، راجعه وعلّق عليه السيد مرتضى الرضوي، الطبعة الأولى، دار المعلم للطباعة، القاهرة، ١٣٩٩هـ .
٢٢٧. نظم درر السمطين، محمّد بن يوسف بن الحسن بن محمّد الزرندي الحنفي، الطبعة الأولى، مكتبة الإمام أميرالمؤمنين ٧ العامة، ١٣٧٧هـ .
٢٢٨. نور الأفهام في علم الكلام، حسن الحسيني اللواساني، الطبعة الأولى، مؤسسه النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤٢٥هـ .
٢٢٩. نور اليقين في مبحث التلقين، للحاج عيدان تونس، الطبعة الأولى.
٢٣٠. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الفكر، بيروت.
٢٣١. هداية العباد، لطف الله الصافي، الطبعة الأولى، دارالقرآن الكريم، قم القدس، ١٤١٣هـ .

ص ٣٠٢

٢٣٢. عبدالله بن سبأ (دراسة للروايات التاريخية عن دوره في الفتنة)، الهلابي.

٢٣٣. الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٢٣٤. وفيات الأعيان، ابن خلكان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية.

www.Islamight.net .٢٣٥

www.Faradawi.net .٢٣٦

http://alqudaih.ws/vb/showthread.php .٢٣٧

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جاهدوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).
قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرًا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بناذر البحار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحدًا من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبي (صلواتُ الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجلَ الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفيء مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.
مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعيدته جمع من خريجي الحوزات العلمية و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: ديتية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافته الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرر الأذق للمسائل الديتية، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايتي المتبدلة أو الرديئة - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامع ثقافته على أساس معارف القرآن و أهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعة ثقافته القراءة و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم الإسلامية، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في الجامعة، و...
- منها العدالة الاجتماعية: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعدة، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافة الإسلامية و الإيرانية - في أنحاء العالم - من جهة أخرى.
- من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثية الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الديتية، السياحية و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدده مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدعم العلمي لنظام إجابة الأسئلة الشرعية، الاخلاقية و الاعتقادية (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائي و اليدوي للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيرة SMS

(ح) التعاون الفخري مع عشرات مراكز طبيعیه و اعتباریه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلمية، الجوامع، الأماكن الديتية كمسجد جمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسة" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين في الجلسة

(ي) إقامة دورات تعليمية عمومية و دورات تربية المربي (حضوراً و افتراضاً) طيلة السنة

المكتب الرئيسي: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / ما بين شارع "پنج رمضان" ومفترق "وفائي" / "بنايه" القائمية "

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الإلكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الإلكتروني: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية والمبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزاتية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكومية، و غير ربحية، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافي الحجم المتزايد والمتسع للامور الدينية والعلمية الحالية و مشاريع التوسعة الثقافية؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقية الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - في حد التمكن لكل احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولي التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

